

# صراع

تأتي

أحيانا رغبة البكاء للإنسان . ففي ذلك الصباح لم يكن في استطاعته أن يخلص من الاستدوار لاخترار رسما من رسومه لقد عاوده الترفيف ثانية . فسرت في صفحة طلاء باكية .

وصك الباب خلفي . وبتسلي المكان وحشة حاملا سيكون المكان المهجور . ونوحى الى تعاليه بأنها كانت تلك الحداث والحياة في يوم ما . وكأنها لم تم ولكنها في الحقيقة ليست كذلك . فهو يترك تعاليه حينما يشعر أن استمرار عمله في التمثال سيحجب الفكرة التي يريد تعثيلها . وكثيرا مايجن التكلف والعهد الزائد عن القزوم في الأداء رؤية الفنان . وهو يكره أن يرى شيئا سحيقا فيها باله بالفكره . فقد ابقى حتى حمامه بصيبت وتغير .

ان أعمال كمال خليفة تعامل مع اللحظة التي يحدث فيها تغير عن لحظة ما وكان اصابع الفنان الزايف تجوس خلايا . أعمال تعليس بالسخا والانساة . أعمال تشابه لانه جهل ان تشابه ايافنا كما أنه من الحب ارجاع ذفيرة مرت . وكما قلنا فانتمثال لدى كمال خليفة وليست لحظة . لذلك فنحن نشعر بأنه مصنوع بالصواب مشفوعة ويحتمر المخاطرة ويروح الرجل الذي يسير على جبل مشهود . واميل أنا بطبعي الى مثل هذا الفن الذي يترك في التعبير عن حالة زمنية بكل ما تحتويه من لعل وقوة وعنف . وربما كان كمال خليفة الوحيد من فنانينا الذي يملك القدرة على أن تعطي أعماله جمال لحظة ما الى الأبد . ومن الحب كذلك ان نطلق على هذه التماثيل والرسوم أسماء فهي تسمى أكثر من أي اسم يمكن أن يطلق عليها وتسمى بالاسماء .

ولهذا السبب قلنا أشعر بكمال خليفة في رسومه ودراساه الأولية . واحد هذه الرسوم هو الرسم الموجود على غلاف هذا العدد . اننا نشعر أن الفنان قد أتى هذه الرسوم بسرعة لكي ينتهي من شؤه بإصاغة في أعماله . شؤه يظنله ويريد أن يتخلص منه وكأنه يرسم هذه الرسوم لنفسه . وتعتمد قيمة هذه الرسوم في الحقيقة على الصراع بين الملاحظة والخلق وبين الحقيقة والخيال . وهي تحيل بجانب التشكيل والتكوين منهجه الخاص للحياة . هذا النهج الذي يستطيع أن يعقله من طريق هذه الرسوم . فيها يستطيع أن يعرض على أكبر امكانيه للحرية ، الحرية من مشاعره الخاصة ، الحرية أيضا

من اصفاة أي معني يطول أو اخلاقي على اشكال الحياة . وساعد على إيجاد هذا التعبير أنه حينما يرسم تتحد عواطفه مع كل من الوعي واللا وعي . ان هذه الرسوم التلقائية التي تنفذ بسرعة على الورقة دون أي تفكير ، رسوما دون أن يكون لديه أية فكرة لترجمتها بعد ذلك الى تماثيل .

وكم كنا نتمنى أن يستطيع ان يسدع نحتا بهذه الطريقة التلقائية ، ولكن النحت يتوقف على عوامل أخرى ، متاهرات الفنان مع المدة وعصر الزمن . فالتمثال لا يتم في جلسة واحدة . وأحيانا يختار كمال خليفة مناسبة لهذه التمثال بملك قوة ودفء رسومه ، ولكن مفرغه وظروف حياته تبع من ذلك الانطلاق وهو في منتصف الطريق ، ويتسلسل الدماش جافا على التمثال ويتساقط العين .

نصلي ونتمنى أن نرصد نحتات ، ولكن للصبح ليست له صحة النحات ولا سواعد النحات ولا شؤه لديه سوى قاب الفنان والخصائص الزهفة للخط والكتلة .

واهم ظاهرة في تماثيل كمال خليفة هي التسطيح والتسطيح لديه يرجع الى أشياء كثيرة ولكن أهمها أنه يريد أن يخفف فراما بدون الكتلة الكاملة ذات الأبعاد الثلاثة . وتمثيل كمال خليفة لاصطناع أيدا الاحساس بالسطح المتسقي المشهود ذلك السطح الذي يبدو وكأنه يخفي شيئا تحت أو كان التمثال غربة ما أو حشوة ممتلئة فشا وقفتا . وفي مثل هذه التماثيل نرى أن السطح دون أي علاقة بعمق الحركة أو الإتران في التمثال ولكن لدى كمال خليفة نجد العكس فنقاط الارتكاز مع محور الحركة مع الخط الخارجي كلها تقضي في صميم واحد . ان هذا السطح أتاح لكمال الفرصة كي يعطي كل أهميته للطلاة الانشائية . ان تماثيله توحى بالكتلة ولا تعطي الكتل . ربما كانت النواحي للتسطيح واحدة لدى كل من النحات الانجليزي والإفريقي والنحات كمال خليفة ولكن الخصاسية الفنية تختلف لدى كل منهما .

واقفنا الى أكوام الورق الرسوم متفاعة هنا وهناك والى تماثيل مغطاة بالتراب تتحدى الضوء في وجوم واصرار . كم يبدو المكان باهتا كثيبا دونه !!

أتى وألقى أنه لن تطول غيبته عن هذا المكان على الزلم من ان الطبيب يأمره أن يكون غافلا ولا يتحرك . وهل يمكن للفنان مع كل حزنه وجماله أن يكون غافلا ؟

حينما تحتاج الاعاصير حياتنا فهي تعمق من جلودنا ونجدنا متصقنا بوجن الا غفلة الزويرة كل شيء لو استهزنا وسالت فطرة ما . فطرة وحيدة حزينة ، سألت على زجاج النافذة . انها تعطر بمشرة بالشتاء . ووجدتني أردد بيتا من الشعر للفراوان

أنا نطر في المدينة  
كما نطر في أعمالني

مسبحه

# جغرافيا الاستعمار

## الحكم عديم الانحياز

### دراسة في استراتيجية السياسة العالمية

بقلم الدكتور جمال حمدان

٣

#### القوى البرية والاستعمار

الروسيا (١)

هناك

تخريبية مدمرة في البداية فقد تحولوا بعد حين الى  
التجارة والمستهجروا في مدن السلاف وحكموها  
سياسيا . اما الجنوب الاستبسي فقد كان ممرا  
اساسيا لمرافق الاستبس ومنسه آتت غاراتهم بلا  
انقطاع على وسط الروسيا .

وبين اخطار هذه الكماشة ، رجال الزوارق ،  
ورجال الخيل ، تبدأ الروسيا سياسيا في القرن  
التاسع في اطار نطاق الغابات بعدد من الامارات  
الصغيرة المستقلة محمية في تضاعيف الغابة ،  
ومسطحات المستنقعات ، اما على تخومها مع الاستبس  
واما على جبهة الالتحام بين النفضيات والصنوبريات .  
وكانت كل مدينة من هذه المدن النهرية اساسا نواة  
لتوسع سياسي بعيد المدى في الغابة سواء نحو  
الشمال الجليدي أو الجنوب السهوي ، حتى اذا  
تلاقت جميعا وسيطرت احداها في النهاية كانت  
تلك بداية التوحيد السياسي للروسيا الحديثة .  
وبهذا أيضا أصبح خط الغابة - الاستبس خطا  
سياسيا بالغ الأهمية .

وقد كانت كييف - أم المدن جميعا - هي أول  
تلك الامارات ، حيث ظهرت في القرن التاسع .

تشابه مثير يلتصق الى كثير من  
النمل بين ظهور الواسطج  
الروسيا الحديثة في الشرق ،  
وبين توسع دول أوربا البحرية  
في الغرب ، سواء في ذلك الأصول السياسية أو  
الضغوط الخارجية أو توقيت التوسع . ففي العصور  
الوسطى خضعت الروسيا لضغوط مزدوجة من  
الشمال والشمال الغربي ومن الجنوب والجنوب  
الشرقي . فمن الشمال الغربي أتت من اسكندناوة  
وغير البلطيق الغزاة النورس ، ويعرفون أيضا  
باسم الفارانجيين Varanpians أو الروس Rus  
( = رجال الزوارق ) . واذا كانت غاراتهم

(١) المصادر الاساسية هي :

فأيفيند ويبرسي ج ٢ ص ٨١ - ١٠٨

East, pp. 212-225; Fairgrieve, pp. 193-199; Faw.  
celt, pp. 429-430;

G.B. Cressey, *Asia's Lands and Peoples*.

McGraw Hill, 1951, pp. 243-249;

Mackinder, *Pivot: Democratic Ideals* pp. 59-88;

Cole, pp. 227-30.

حدث سبوا خطأ في عنوان شكل ٢ في العدد الثاني  
وسمته مراحل الكماش الاستعماري

وبعدها ظهرت كوكبة من مدن الغابة التجسارية  
أهمها : نوفجورود . ولكن طرق رعاة الاستبس  
لم تنقطع ، وكثيرا ما دفعت تلك المدن الجزية لهم  
وخضعت لسيطرتهم ، حتى سقطت كيف في القرن  
الثالث عشر للمغول ( جنكيز خان ) ، الذين اتخذوا  
عاصمتهم على الفولجا الأدنى ، وذلك بحكم وقوعها  
على تقويم الاستبس ، بينما نجت نوفجورود لتوغلها  
في الغابة ، ولهذا انتقلت إليها الأهمية ، إلى أن  
بدأت إمارة موسكو تظهر في موقع أكثر مناسعة  
وتوسعا بين الفولجا ورافده الأوكا أو ما يسمى  
أحيانا : ما بين النهرين الروسية R. Mesopotamia  
فاخذت تسيطر منذ أواخر القرن الثالث عشر .

حتى إذا كان القرن الخامس عشر كانت موسكو  
قد أخضعت جميع الإمارات الأخرى بعد أن ربطت  
بينها الأخطار الخارجية . وهذه الوحدة ، وبفضل  
فرسان القوزاق ، خرجت الدولة من قوقعة الغابة  
لتزحف جنوبا حتى تخضع استبس جنوب روسيا  
- استبس الكيشاك Kipshak - في مدى ٥٠  
عاما . كما دخلت في صراعات متصلة مع بولندا  
حول أوكرانيا . وقد كان بطرس الأكبر - أواخر  
القرن السابع عشر وأوائل الثامن عشر - هو الموحد  
الحقيقي للروسيسيا . ومما لا شك فيه  
أن دور الاستبس قد أحرز الوحدة القومية في  
الروسيا عندها في أوروبا لفترة ما . ولكن بعد  
إخضاعه وضحه بدأ زحف سكان روسيهم نحو  
الجنوب وصل إلى أقصاه في القرن التاسع عشر  
حين أصبح حركة عارمة تاريخية حقا .

وعند هذا الحد سنلاحظ أنه إذا كانت فجوات  
الغابة هي القوقعة التي تبرعت فيها إمارات  
الروسيا ، فإن الأنهار كانت الترابين التي ربطت  
بينها أولا ثم توسعت على طولها تاتيا . والواقع  
أن نمط الأنهار في الروسيسيا الأوربية ، الذي  
يتشعب من الوسط من نقطة مركزية في جميع  
الاتجاهات ، يجعل التوسع سهلا تلقائيا (٢) ، حتى  
ليعتبر أيسن أن تاريخ الروسيا السياسي تاريخ  
نهرى أساسا . ولا ننسى كذلك طبيعة الإقليم كسهل  
متجانس مترام ، يدعو طبيعته إلى الوحدة السياسية  
وضخامة الدولة . ومن مجموع هذا وذاك نخرج  
بدولة من حجم وصفات قارية لا شك فيها .

كذلك لا بد أن يستوقفنا في ظهور الروسيا  
إخضاع الغابة للاستبس . فقد طالما أخضع  
الاستبس الغابة أو على الأقل حصرها حبيسة في  
قوقعتها . ولكن منذ اختراع البارود انقلب الميزان  
الاستراتيجي من أساسه رأسا على عقب اقتسلا  
تاريخيا بالغ الخطورة والدلالة . فقد ضاعت معه  
ميزة حركة الفرسان وسرعة انقضاهم ، وضاع  
إلى الأبد تفوق الرعاة الفزاة على الزراع المستقرين ،  
واخذت الصورة تنعكس ، فإذا بجيوش الزراع  
ومدفعيتهم هي التي تفزوا الآن فرسان الاستبس  
وتخضعهم لأول مرة (٣) . بل لقد اتخذت الغابة  
من فرسان الاستبس القوزاق « بوليسا » يحرس  
الاستبس من الجماعات الرعوية الأخرى . أو كما  
عبر البعض ، لقد تغلب « الدب » على « الحصان »  
بعد أن ظل هذا يحاصره طويلا ويفلقه في قلب  
الغابة .

ولهذا فقد كان ظهور الروسيا الحديثة أيذنا  
بإغلاق ممر الاستبس الأوراسي وانتهاء طوفاناتهم إلى  
الأمام . وبعد أن كانت الخريطة السياسية للروسيا  
ما بين القرن العاشر والخامس عشر تتألف من  
مجموعتين أساسيتين من الإمارات والديولت :  
كوكبة روسية سلافية شمال الخلف ، خط الغابة -  
الاستبس ، وكوكبة سريغسة التغير من الولايات  
الرعية الاسيبية جنوبية ، ابتداء من الخزر إلى  
القفقاز وحتى المغول والتتار ، تقول بعد هذا اندمجت  
الروسيا جميعا في دولة مركزية واحدة موحدة .

هذه وحدة الروسيا القومية تتم اذن في توقيت  
لا يختلف كثيرا ، وإن اختلف قليلا ، عما حدث  
في الدولة الوطنية الحديثة في غرب أوروبا . وكما  
خرجت هذه إلى التوسع والاستعمار عبر البحار  
غربا وجنوبا ، سجد الروسيا تخرج بدورها وفي  
توقيت معاصر تقريبا للتوسع والاستعمار ، ولكن  
برا ، شرقا وجنوبا . هنا نداء البحر وهنا نداء  
السهول . وكل يغري بالتوسع ويدعو إلى بنسائه  
الإمبراطورية .

وكمسا في غرب أوروبا ، يمكن أن نميز بين  
موجتين رئيسيتين من التوسع الروسى : الأولى في  
القرنين السادس عشر والسابع عشر واتجهت كمثليتها

فى غرب أوربا إلى عروض شمالية ياردة ومنساقط شبه خالية من السكان ، وكانت أقسرب إلى التعمير البشرى منها إلى الاستعمار السياسى . أما الموجة الثانية فاتجهت - أيضا كمشيتها فى غرب أوربا - إلى عروض جنوبية أدفا ومناطق ماهولة بدرجة أو بأخرى ، فكانت من ثم إلى الاستعمار السياسى أقرب .

وقبل أن نعرض بالتحليل لهذا التوسع القيصرى ينبغى أن نذكر أنه - فى نظر أغلب الكتاب لا سيما منهم الغربيون - يعد « استعمارا أمبرياليا » كاملا بكل معنى الكلمة ، وينفس المعنى الذى يقصد به الاستعمار الغربى عبر البحار (٤) . ولعلمهم يقصدون بذلك أن هذه المناطق التى ضمتها روسيا إليها واعتبرتها بعد ذلك جزءا لا يتجزأ من الوطن الأب ليست إلا مستعمرات أجنبية عنها وإن لم يفصلها عن روسيا الأوروبية فاصل بحرى أو برى . ومنطقهم فى هذا أن سكان هذه المناطق التى ضمت يختلفون تماما عن سكان روسيا الأوروبية ، فهم سواء فى سيبيريا أو التركستان من العناصر المغولية والتركية والتترية والطورانية ، بينما الروس من السلاف أساسا وإن اختلطوا بنسب ثانوية من العناصر الفنية فى الشمال المتجمد والقيصرية فى الجنوب الاستيسى . وقد كانت القيصرية تنظر إليهم على أنهم أجناب منحطون ، وظيفتهم أن يقدموا العمل الرخيص للمتروبول الصناعية المتقدمة ، وإلا فليهم ليست إلا موارد خامات لها ، بينما كانت هى تعتمد فى إخضاعهم على مضاربة شعوبهم المختلفة بعضها ببعض وبأعنف وسائل الكبت والقهر (٥) .

والنقاد أصحاب هذا الراى يعترفون بأن مسافة الغلف الجنسية والانتولوجية بين تلك الشعوب الآسيوية وبين الروس السلاف أقل بدرجة أو بأخرى منها بين الدول الأوروبية الاستعمارية وبين أبناء المستعمرات عبر البحار الذين لا يربطهم بهم بالقطع أدنى رابطة جنسية أو تاريخية . ولكنهم فى نفس الوقت يحتجسون بأن هذا لا ينفى صفة الاستعمار عن توسع روسيا القيصرية فى آسيا . ومن تساهل منهم عددها أشبه شىء « باستعمار » الأنجلو سكسون لأمريكا الهندو البحرى . وعلى أية حال فإن الثورة الشيوعية تشارك فى هذه النظرة ،

(٤) Goblet p. 200  
(٥) James Gregory, Land of the Soviets, Pelican, 1946, pp. 47-8.

لقد أعلن لينين نفسه أن الإمبراطورية القيصرية لم تكن إلا « سبعين أم » من مقياس رهيب (٦) .

قازا ما عدنا إلى موجات التوسع الروسى قسنجد أن الموجة الأولى قد اتجهت شرقا إلى سيبيريا ، وبدأت أقسرب فى الواقع إلى نوع روسى من « الكشوف الجغرافية » القازية ، وانتهت فى النهاية كزحف قيصرى نحو الشرق A. Drang nach Osten . ولم يبدأ التيار إلا فى أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر ، حين عبر المغامر القوزاقى يرمك Yermek جبال الأورال فى سنة ١٥٨٠ واستولى على مدينة سيبيرى على الارتش . ولم يكن هذا جزءا من خطة غزو منظم موضوعة ، لا ولا يدل على أطماع استعمارية قيصرية ما . وإنما كان الدافع والهدف - كما حدث فى كندا - هو التجارة أساسا ، والفراء بوجه خاص ، ومن تنظيم وعمل كبار التجار فى الأورال . أما الجانب العسكرى فيها فلم يزد على نشاط فرسان القوزاق الذين صاحبوا التوازل التاريخية ، أصلا كحرس وأحيانا كعصابات

نهب (٧) . ولقد كانت سيبيريا هى جبهة الريادة لروسيا مثلما كان العالم الجديد بالنسبة للأنجلوسكسون . بل كانت جديدا « العالم الجديد » بالنسبة للسلاف . بل أن توارىخ الزحف والتقدم تكاد تتمايز وتتسلط فى أكثر من حالة حتى يمكن مقارنتها ومقابلتها بدقة مثيرة . وكما فى العالم الجديد ، جاء الزحف كاسحا سريعا كالسهم المرسل ، لأنه تم فى مناطق مخلخللة السكان جدا إن لم تكن من الناحية العملية فراغا بشريا تقريبا ، كما كان المستوى الحضارى الذى ينحصر ما بين الرعى والصيد بادئيا أو شبه بادئى على الأحسن ، فلم تكن ثمة مقاومة فعلية .

وإذا كانت روسيا قد توسعت فى حدودها الأوروبية على طول الأنهار بالذات ، فقد استمر توسعهم خارجها فى سيبيريا على أساس الأنهار كذلك . وكان كل نهر يؤدى بالرواد إلى النهر الذى يليه ، وهذا يسلمهم إلى ما بعده ، وهكذا . وتم هذا فى نطاق ديميزى ضيق من الاعتشاب الجيدة يقس مباشرة إلى الجنوب من « التاييجا » محصورا بينها وبين مرتفعات وسط آسيا فى الجنوب ، وهو نفس

(٦) الكان السابق

(٧) Fitzgerald, New Europe, pp. 163-8.

منهما من اقصى طرفى أوروبا واعطى ظهره للأخر فى رحلة عكسية حول العالم !

وهنا نجد روسيا لأول مرة تركت اليابس لتعبر المحيط - مطرة غربية فى تاريخها وتكونها القارى البحت - وفضلا عن هذا فقد وصل بها هذا الاندفاع الصاروخى الى نقطة تبعد عن العاصمة الوطنية بمسافة قد لا تقل عن ثلث محيط الكرة الارضية ! ولهذا لم يكن غريبا أن تسحب روسيا الى أوراسيبتها حين قررت - بحكمة - بيع الاسكا للولايات المتحدة فى ١٨٦٧ - ولعل هذا يذكرنا ببيع فرنسا للجزائريين وانسحابها الى أوريبتها - أو كما قد أصبح قانونا من قوانين السياسة الروسية الا تلك أراضى غير البحار يمثل ما أصبح من قوانين السياسة البريطانية ان تملك أراضى غير البحار ..

أما الشعبية الثانية من توسع روسيا شرقا فانخرقت مع التضاريس الى الجنوب الشرقى الى هضبة قتيمة ، التى هى خط تقسيم المياه بين الأمور ولينا ، لتنتهى الى فلاديفوستك ١٨٦٠ - وهذه الشعبية أتت بالروسية الى أبواب الصين ومنشوريا

ذلك الدهليز الذى تتبعته فيما بعد سكة حديد سيبيريا - ولذلك فإذا كانت الأنهار هى حملة الاستعمار هنا ، فقد جاءت بعدها السكك الحديدية لتصبح شريان الحركة فيها ، وذلك دون أن تمر المنطقة مطلقا بمرحلة الطرق البرية -

وعلى طول الرحلة يذر الرواد بذور المدن المحصنة Ostrogs على ملاقى الأنهار : تومسك على الارتش فى ١٦٠٤ ( وتقابل جيمس تاون فى أمريكا ١٦٠٧ ) ، ياكوتسك على لينا ١٦٣٢ ( تقابل هارتفورد فى ١٦٣٨ ) ، وبهذا تكون قد قطعنا أكثر من ٢٥٠٠ ميل فى أقل من نصف قرن !

وحين وصل الزحف الى بيكال انشعب الى شعبتين : الأولى الى الشرق توا نحو الهادى الى أوخنسك وهى التى ستؤدى بالروسية بعد حين الى مواجهة أمريكا الشمالية من بابها الخلفى لتنتهى « بيهرنج » الى اكتششاف الاسكا فى ١٧٤١ وإلى استعمار روسيا لها ، ثم الى الزحف جنوبا على طول الساحل الأمريكى حتى أصبحت روسيا على بعد ٤٠ ميلا فقط شمال سان فرانسيسكو فى ١٨١٢ . لنجد نفسها وجها لوجه مع أسبانيا ، بعد أن بدأ كل



شكل (١) توسع روسيا : الامبراطورية القارية الكاملة

الجغرافى كان طبيعياً أن يأتى دور القوقاز أولاً فى النصف الأول من القرن . ثم التركستان بعد ذلك فى النصف الثانى . ولهذا تأخذ الموجة شكل كماشة فكاهما غرب بحر قزوين أو منطقة Trans-Caucasia وشرق البحر أو Trans-Caspia . وفى كلا الحالتين كان لا بد أن تصطدم الروسية فى نهاية توسعها بالنفوذ الفارسمى الذى كان سائداً فى تلك النخوم ، وفى وقت كانت فارس فيه قوة ضخمة قادرة على أن تتأطع تركيا .

ففى غرب البحر بدأ الزحف مع بداية القرن وانتهى فى ثلاثة عقود بعد حربين مع فارس . وقد سارعت قوى أوروبا البحرية فرنسا ثم بريطانيا إلى مساعدة فارس والوقوف إلى جانبها منعا للتوسع الروسى . ولكن بلا جدوى : فقد فشلت فارس جورجيا وأرمينيا ( أربغان ولكوران ) . وبهذا انتهى الصراع إلى الحدود التى سبطل حتى يومنا هذا . ومن حينها تداعت فارس واتضعت بصورة كاملة وانتهت كقوى كبرى فى المنطقة ولم يعد لها بعداً قبل بأن تواجه الروسية على الإطلاق .

وبعد عقود من اكتساح القوقاز، كانت الروسية قد استبدت فى ١٨٤٠ حول بحر قزوين متجهة إلى سهل كوران لتخضع قبائل التركمان والأذربى والقرغيز وغيرهما من العناصر الطورانية أو المغولية . وفى ١٨٦٤ طاشت قد سقطت ، وفى ١٨٦٨ تلها سمرقند ثم جاء دور خيوة فى ١٨٧٣ ، ولحقها خوقند فى ١٨٧٦ . أى أن أهم المراكز التاريخية سقطت جميعاً فى عقد واحد .

هناك لم يبق إلا اللطاق الجنوبى الأقصى من الحوض ، حيث ضم نهائياً فى العقدين الأخيرين من القرن بعد اصطدام آخر مع فارس التى انتزعت الروسية منها مرو ، ووصلت بذلك إلى الفاصل الجبلى النهائى ، وبه تحددت الحدود السياسية القائمة حتى الآن . كذلك فقد أوصلها هذا إلى تخوم الهند البريطانية وبدأ التوتر يزداد بين القوتين النقيضتين ، قوة البر وقوة البحر .

فى هذا التوسع الجنوبى يشقيه سبيلاً أنه - ابتداء - قد تأخر طويلاً عن التوسع الشرقى فى سيبيريا . فكانت الروسية قد شارفت الهادى حين كانت بالكاد قد بدأت التوسع الجنوبى ، وذلك رغم القرب الجغرافى النسبى . كذلك فقد أنفلتت الروسية فيه وقتاً طويلاً نسبياً ، والسبب فى هذا

حيث بذات صداقة تقليدية ستطور فى المستقبل لتصبح ذات مغزى سياسى كبير . ومع تقدم العمل فى خط حديد سيبيريا إلى فلاديفوستك وبورت آرثر ازداد التعمير الروسى فى شمال منشوريا ، ولكن دون أن يوفق تيار الفلاحين الصينيين العرم إلى هذا الإقليم أو يصطلم به .

ولكن ، من الناحية الأخرى ، كان هذا الخط يحمل الروسية إلى أبواب اليابان التى كانت قد تطورت كثيراً وقطعت شوطاً بعيداً فى التخضر والقوة وبدأت تتطلع إلى التوسع والنفوذ . من هنا جاء الصدام الذى تمثل فى الحرب الروسية - اليابانية عام ١٩٠٥ والذى كشف ضعف الروسية - أو على الأقل سوء موقعها الاستراتيجى فى هذه النخوم المتطرفة بسبب بعدها الساحق عن قلب الدولة غرب الأورال .

تلك هى الموجة التوسعية الأولى للروسية الحديثة . وفيها سنلاحظ أن التعمير الروسى فى سيبيريا طوال تلك المرحلة لم يكن جدياً حقاً . ولم يكن الاستعمار القيصرى مهتماً بأعماله الحديثة فى الشرق لأنه كان منصرفاً إلى الجبال الأوربية . بل لقد ظلت سيبيريا لفترة طويلة مجرد نفق للمجرحين والمبعدين ، شأنها فى ذلك شأن البرازيل بالنسبة لغيرتال ، وأستراليا بالنسبة لبريطانيا . وفى الموقف تغير منذ منتصف القرن التاسع عشر ، حين انعطفت القيصرية على سيبيريا بشدة ونظرت بطموح إلى الهادى بحثاً عن مخارج لها بعد أن فشلت فى الوصول إلى مخارج لها فى المياه الأوربية . والواقع أن التعمير الروسى لسيبيريا يقتصر تقليدياً على سهم أو أسفين يبدو كرشاش متطاير خفيف مرسل من كتلة سلاف روسيا الأوربية على فرشة مخلخلة للغاية من السكان المغوليين الأصليين .

هذه الفكسة التى قابلت الروسية فى سياستها الأوربية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر دفعت بها أيضاً إلى مجال آسياى جديد غير سيبيريا هو القوقاز والتركستان (٨) . فكانت الموجة الاستعمارية الثانية ، أو الاتجاه نحو الجنوب Drang nach Süden التى تناظر وتعاصر الموجة الثانية المدارية للاستعمار الأوربى . ويحكم الموقع

الاستعمار الأوربي عبر البحار في العروض المعتدلة  
وبين موجته الثانية في العروض المدارية .

ما هو الغرض الاستراتيجي لهذا التوسع الخطير؟  
انقلاب ثوري في تاريخ العالم القديم لا يمكن - مهما  
حاولنا - أن نبالغ في تقديره ! فلاول مرة تظهر  
قوة توحد كل قلب أوراسيا في تنظيم سياسي  
واحد ، ولأول مرة لا يكون الاستبس الأوراسي قوة  
رحل رعوية بل قوة زراعية مستقرة دائمة . ان  
الانقلاب الذي بدأت بذوره مع اختراع البارود قد  
استكمل الآن كل مغزاه الاستراتيجي ، وخضع  
الاستبس الأوراسي جميعا لسيطرة حكومة مركزية  
قوية في قاعدة أرضية غنية متحضرة ، لتتسبب  
روسيا أول وأضخم قوة بر في التاريخ لا تعتمد  
على حركة الخيل وكوكبات الفرسان وإنما على حركة  
القطار والمدفعية المدرعة .



من هذا التوسع الجديد تخرج روسيا أيضا  
بصفة أساسية هي بلا شك « القارية » ، القارية  
الطرفة . فهي أولا رقعة واحدة متصلة شحيقة الأبعاد  
من اليابس ، كبقعة زيت تمددت . بل لكل العالم  
لم يعرف في تاريخه دولة أو إمبراطورية برية  
متصلة contiguous في مثل هذا الحجم ، إلا أن  
تكون إمبراطورية حكيمة خان . ثم أنها تخرج وهي  
دولة أوراسية ذات بعدين ، تفسح قدما في أوروبا  
وقدما في آسيا ، وتبدو كما لاحظ دستوفسكي  
أسيوية للأوربيين وأوربية للأسويين (٩) ، وحين  
تلقى أراضيا أو انتكاسا هنا نتجه هناك - والعكس -  
على أنه لما كان مركز نقل المعور والنواة التسوية  
هي روسيا الأوربية ، رغم أن المساحة الكبرى في  
آسيا ، فيمكن أن نقول أن الرأس أوربي والجسم  
أسيوي .

المهم أنها الآن الدولة القارية الكاملة وقوة البر  
الكلاسيكية ، والنقيض المباشر لبريطانيا في القرن  
التاسع عشر ، النموذج التام للإمبراطورية البحرية  
المتناثرة في أركان الدنيا ولقوة البحر الكلاسيكية .  
وإذا كانت الإمبراطورية البريطانية - كما قيل -  
من صنع السفينة البخارية ، فإن روسيا القيصرية  
كالولايات المتحدة هي من صنع القطار .



شكل (٩) توسع القيصرية الروسية في وسط آسيا

وذاك هو أن التوسع شرقا في سيبيريا كان يتم كما  
رأينا في شبه فراغ عمراني وخصاري . أما التوسع  
الجنوبي فجاء في وسط قتل منطقة المستعمرات  
للاستعمار : كثافة سكان أعلى ، وتجمعات أهلية  
مستقرة ، وشعوب ذات تاريخ حضاري طويل ،  
وتكوين سياسي راق ، وتركيب ديني توحيدي  
( الإسلام شرق قزوين ، والمسيحية غربه ) . لهذا  
كان لا بد من القضاء على « الخانات » الإسلامية  
وقمع الحضارة المحلية والشعور القومي بالأرهاب .  
وتاريخ قيصرية آل رومانوف في هذا دعوى ومعروف  
بما فيه الكفاية .

كذلك ، وبالعكس سيبيريا ، لم يكن هنالك مجال  
للاستعمار السكاني أو لانتقال معمرين من الروس  
السلاف للاستقرار في المنطقة وهي الأهلة الصامرة  
بأصحابها من قبل ، ولذا تحتم أن يقتصر التوسع  
على الاستعمار الاستغلالي . ومما يلفت النظر أن  
الفارق في هذا بين التوسع شرقا والتوسع جنوبا  
يكرر في نفس الوقت الفارق بين الموجة الأولى من

الجنوب ، ولو أنها يحار داخلية تتحكم دول في مخارجها كما تتحكم أخرى في سواحلها ، وفيما بعد أضيف الخليج الفارسي ( العربي ) كمفئطيس ثالث . أما الهادي فنصف متجدد فضلا عن أنه متطوع مقطوع ويمثل طريقا غير اقتصادية . ولهذا فقد تركز ضغط السياسة القيصرية في الغرب على ضلوعه الأوروبية . ففي البلطيق بدأ بطرس الأكبر « بنافذة روسيا على أوروبا » حين خلق ميان بطرسبرج ( لتنجسراد ) من لا شيء . ثم كانت أوكرانيا أرض صراع مزمن بين روسيا وبولندة في البداية ، فلما تقلبت روسيا أصبحت بولندة نفسها هي الهدف .

وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر كانت روسيا شريكا في تقسيمات بولندة الثلاث الشهيرة وغالبا ماخرجت منها بنصيب الأسد . أما دويلات البلطيق فقد تمت السيطرة عليها في نفس الفترة ، بينما ضمت فنلندة في أيام الحروب النابليونية بعد انتزاعها من السويد . وبذلك أصبح للروسيا جبهة بحرية حقيقية فسيحة على البلطيق الى جانب نطاق أمان ضد وسط أوروبا . ويلاحظ أن الروسية كانت بهذا أوسع رقعة وأبعد حدودا ناحية الغرب من الاتحاد السوفييتي اليوم .

ولكن البحر الأسود كان الهدف الأكبر بالطبع نظر لوقته ، ولأن الجزء الأكبر من حوضه روسي مباشرة أو على الأقل سلافي بوجه عام . إلا أن مفااتيحه ليست في يدها وإنما في يد تركيا . ولهذا كان الصراع بينهما هو قدرهما المشترك ، لا سيما أن تركيا كانت القوة التي تقهر أكبر عدد من السلاف في البلقان وشرق أوروبا ، بينما أن روسيا هي بطل السلافية الحامي . أقطاب جغرافية متنافرة وأقدار تاريخية متضادة ! هذه قوة بر ، وهذه قوة برمائية بنية .

وقد شهد القرن الثامن عشر سلسلة اندفاعات روسية عاصفة على عهد كاترين الثانية لتتخمس المضائق ، وذلك بعد أن كانت الروسية قد انتزعت السواحل الشمالية للبحر الأسود وشبه جزيرة القرم من الأتراك . وقد بدأ أحيانا أن هدف روسيا هو ضم المضائق ضما سياسيا كاملا ، وفي أحيان أخرى كان ضمان حقوق وامتيازات المرور الخاصة هي الهدف الوحيد . وبعمامة فقد

وهي بعد تخرج من ذلك التوسيع وهي أطول الدول حدودا ، سواء برية أو بحرية : نحو ٣٨ ألف ميل ( ١٠ ) أي مثل محيط الكرة الأرضية مرة ونصف مرة ! ومع ذلك فلم يكن هناك دولة معزولة بالطبيعة وحيدة عن عالم المعصور كالروسيا . فهي وإن بدت ساحلية شكلا فهي قارية موضوعا . فشمالا ثمة المحيط المتجمد ، وجنوبا نطاق عميق من الصحارى والمرتفعات الصارمة ، وشرقا فراغ المحيط الهادي الهائل واضخم صحراء على ظهر الأرض كما يعبر هويتلزي . أنها - تكاد نقول - رهينة المجسسين ، صحراء الجليد وصحراء الرمل .

لهذا جميعا كانت تطلعاتها وسياستها الخارجية انعكاسا مباشرا وتلقائيا لتركيبها الداخلي : هنا القارية الحبيسة، وهناك الخروج الى البحر والبحر الداني ، بالذات ، هنا الحدود الشاسعة ، وهناك الرغبة في خلق نطاق حولها من الدول الصغرى الحيدة أو الخاضعة لنفوذها لتكون حاجزا بينها وبين القوى الساحلية البحرية . وهذا مما المؤثران اللذان يكونان معا بوسلة السياسة الروسية أو حجر المفئطيس في استراتيجيتها. وقد بدأ التوجيه الى البحار الدافئة منذ بطرس الأكبر . وبعده يمكن تفسير كل السياسة الخارجية « برقية » الدب الروسي في المياه الدافئة .

وكان معنى هذا مباشرة أن تصطدم بالقوى البحرية في أكثر من جبهة ، ومن ثم يأخذ الصراع السياسي شكل صراع سافر وبلا موازية بين قوة البر وقوة البحر . ومن الغريب أن السياسة المعلنة للقوى البحرية الغربية في القرن التاسع عشر كان يعبر عنها بالاحتواء Containment والتطويق encirclement - وهي نفس الالفاظ التي تستعملها اليوم - حتى تظل روسيا محصورة في قاريتها ( ١١ ) . وباختصار فقد اتخذت القوى البحرية ازاء الروسية : سياسة الصد Checkmate ذلك كان صراع « الفيل » ( قوة البر ) و « الحوت » ( قوة البحر ) كما وصف في حينه .

وقد كانت المنافذ البحرية الممكنة للروسيا هي أساسا البلطيق في الشمال والبحر الأسود في

Gregory, p. 10.

(١٠)

John S. Badeau, «Middle East: Conflict in Perspective», Foreign Affairs, Jan. 1958, pp. 233-7.

(١١)



على تلك المنطقة ، اتضحت نفس الاستراتيجية ، فقد تكلفت قوتا البحر فرنسا وبريطانيا بكثت الحركة بالقوة في سوريا . وهذه الاستراتيجية وحدها هي التي اطالت عمر وجسد أوروبا المريض أكثر مما كان يمكن له ، ومنحته « سلفة » جديدة من الحياة بكل الوسائل الاصطناعية .

ومع ذلك فلم يجد هذا كثيرا . فقد اجتمعت طرقات الروسية البرية مع طرقات امبراطورية النمسا - المجر البينية ضد تركيا البينية طوال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في البلقان . فالنمسا - التي استطاعت بعد حصار الاتراك لفينا في القرن السابع عشر ، ويفضل موقعها الجغرافي ، ان تطردهم خطوة خطوة من المجر خلال القرن الثامن عشر وان تؤسس بذلك الامبراطورية الثنائية النمسا - المجر . هذه النمسا عادت في القرن التاسع عشر الى انتزاع البوسنة والهرسك من تركيا في حرب ١٨٧٨ . وبعد ذلك اخذت تركيا تتدخل في البلقان بالتدريج حتى كانت النهاية الكاملة في الحرب الكبرى الاولى حين أصبحت قوى البحر الغربية - حاميته القديمة - عودة لتركيا

البينية

لا يبق لنا الآن من مخارج الروسية الى الخليج الفارسي . وهكذا بدأت الروسية تتطلع اليه بعد توسعها الجنوبي في القوقاز ووسط آسيا منذ منتصف القرن التاسع عشر . وقد ازداد نفوذ الروسية في فارس ، بعد انتصاراتها عليها وبعد ان أصبحت تطوقها من ثلاث جهات ، ازديادا خطيرا حتى انتزعت كثيرا من الامتيازات الاقتصادية الهامة فيها . وفي وقت ما اعتبرت السياسة الروسية ان المنطقة الواقعة جنوب القوقاز وفي اتجاه الخليج الفارسي هي الاطماع الشرعية لها ، وان ايران هي « قناة السويس الروسية » وان لا بد لها من « مصر » الى الخليج الفارسي (١٤) .

وفي اوائل القرن العشرين وصل تغلفل الروسية في ايران الى حد ان هذا قد تسقط كاملة لسيطرتها . ولكن - كما حدث مع تركيا - وقفت فرنسا اولا فترة مع ايران ثم جاءت بريطانيا معتمدة على قوتها البحرية في الهندى لتتذمر بان اى محاولة

حدثت سمع حروب على الأقل بين الروسية وتركيا للسيطرة على المضائق (١٢) . وفي كل هسنة الحروب بلا استثناء ولا اختلاف كانت تتقدم دولة بحرية غربية - فرنسا او انجلترا - لتساند تركيا ضد الروسية .

أحيانا كانت انجلترا تصادق الروسية وتقف موقف برود اراء تركيا عندها في قسلا التي تساعد تركيا . وأحيانا تساعد بريطانيا تركيا معارضة لفرنسا حين تتقارب هذه مع الروسية . أى ان الصراع الداخلى بين الأشباه البحرية كان ينعكس على مواقفهما من صراع تركيا مع الروسية . ولكن في كل الحالات لم تكن تركيا تقدم قوة ما منهما في جانبها . ولعل حرب القرم في سنة ١٨٥٣ هي أبرز وأخطر مجابهة من بريطانيا للروسية في تهديدها لتركيا . وقد انتهى الصراع بفشل الروسية في السيطرة على المضائق . وإذا كان قد قبل ان هذا كان اول التحام مباشر ومواجهة بين القبل ( الروسية البرية ) والحدوت ( بريطانيا البحرية ) ، فهل نضيف من جانبنا انه كان يلوح حول التصاح ( تركيا الانغليزية ) ؟

أيا ما كان ، فقد أدركت كل من فرنسا وبريطانيا بالتدريج بعد ذلك خطأ موقفهما التكتيكي المتعارضة السابقة ازاء كل من الروسية وتركيا ، والتي حكمتها مناوآت العداء بينهما في الوطن وسرعان ما أيقنتا وحدة مصالحهما الاستراتيجية العميقة ضد الروسية وبالتالي مع تركيا . ومن حينها أصبحت سياستهما المشتركة المتصلة هي تدعيم تركيا وحققها بكل المساعدات الحربية والسياسية لتكون درعا ضد توسع الروسية ونطاقا صعبا حولها (١٣) . والغزى الاستراتيجى واضح كل الوضوح : في صراع القوى البحرية ( فرنسا وبريطانيا ) ضد توسع قوة البر ( الروسية ) ، كانت قوة بينية ( تركيا ) هي ارض المعركة الطبيعية ، ولما كانت هذه مهددة بالسقوط أمام قوة البر فقد اجتمعت قوى البحر لتسندنها وتدعمها .

حتى حين حدد قطاع من المنطقة البينية - مصر ومحمد علي - كيان تركيا وأندرو بان يوث السيطرة

Mogey, p. 132.

Reader Bullard, Britain & the Middle East, (١٣) Lond., 1952, pp. 28-36.

بالتدريج في أوروبا البنية والظروف التي ساعدت على تفرغ الانقلاب الصناعي . وهكذا يبدأ الانقلاب في بريطانيا حوالي ١٨٢٠ لينتقل إلى فرنسا في العقد التالي ١٨٣٠ ثم لينتشر بعد ذلك شرقا عبر القارة خلال القرن .

والانقلاب مركب حضارى كامل برمته ، لم يخلق علما وقتا وتكنولوجيا جديدة فحسب ، ولا اقتصادا جديدا وكفى ، بل ومجتمعا جديدا وجيوبوليتيك جديدا تماما . وإذا كان هيكل الانقلاب يتلخص في أنه عصر الفحم والحديد ، والبخار والقطار ، فهو بنفس القوة والأهمية عصر التقنية البخارية والمواصلات السلكية واللاسلكية ، أى المواصلات المسكانية واللامكانية ، كما انتهى إلى أن يكون عصر الطائرة في الجو والقواصة في الأعماق . وقد ترتب على هذا كله ثورة جذرية في النقل والمواصلات ، فقلص العالم واختزلت المسافة ، وأصبحت تعيش في « عالم صغير » منعكش بأطراف جغرافيا . كما هو جيولوجيا . حتى وأن تمدد جغرافيا بمعنى كشوف من المجاهيل !

ولما كان القطار قد حقق وحدة اليايس، فإنه لم يزل يخلق تحولات متعددة بل « قارة عالمية » World Island كما يسميها ماكيندر العالم القديم (١٧) . وفيه يشرى من العالم الجديد . ولأن السفينة الحديثة قد جعلت من العالم وحدة المحيط ، فإنه لم يعد هناك عليا محيطات متعددة وإنما محيط واحد يفلق علما واحدا متماسكا مترابطا كما لم يكن قبل في التاريخ . وأتت المواصلات اللامكانية والجوية لتؤكد هذه الوحدة كل التوكيد .

وفي الجانب السياسى ، كانت النتيجة المباشرة لهذه الانقلابات هي سهولة ضبط وربط الدولة من الداخل عمقا واتساعا . فيعد أن كان من المتعذر على الدول أن تتعدى جيما أو مساحة معينة في العادة ، أمكن للدول الكبيرة العجسم أن تظهر . وبعد أن كانت الدولة الكبيرة الرقعة نوعا تتعرض على بعد مئات قليلة من الأميال من العاصمة ، لحركات الانفصال والتمرد ، أصبحت الوحيدة القسومية مضمونة حتى أبعد الحدود وهوامش الأطراف من الدولة (١٨) . ولهذا فإن العصر هو

روسية ليست تقودها في الخليج ستقاوم بالقوة . على أن هزيمة الروسية في حرب اليايسان كشفت عجزا غير متظر ، فاضطرت إلى مساومة تسوية مع بريطانيا بمقتضاها قسمت إيران إلى منطقتي نفوذ ثلاث ، الشمالية للروسيا ، والجنوبية لبريطانيا ، والوسطى محايدة . وهذه التسوية تلخص في نفس الوقت كل استراتيجيات إيران من أجل البقاء والمحافظة على كيائها منذ ظهرت قوة الروسية على ضلوعها ، وهي استراتيجية مضاربة كل من القوى البرية والبحرية حتى تعيش هي على التناقض بينهما ، باختصار سياسة المضاربة Stalemate (١٩) .

وبالمثل اصطدمت الروسية مع بريطانيا على تخوم الهند الشمالية الغربية حيث كانت الأولى تنوسعها في وسط آسيا قد بدأت تقرق باب الهند . من هنا كانت حروب الأفغان في القرن التاسع عشر التي انتهت « بتجديد » أفغانستان لتصبح دولة حاجزة بين النفوذ البرى والبحرى . ومثل هذا اتفق عليه أيضا بالنسبة للثبت . وهذا وثائق تحلقت استراتيجية الروسية على حدودها البرية من خلق نطاق من الدويلات الحاجزة بينها وبين القوى البحرية ، وأن كانت قد فشلت في تحقيق ذلك . استراتيجية الوصول إلى المياه الهائلة .

## الانقلاب الصناعي والاستعمار

إذا كان الانقلاب التجارى قد كشف علما جديدا . فقد خلق الانقلاب الصناعى علما جديدا . وفرق بين الكشف والخلق كبير . ومهما حاولنا فلا يمكننا المبالغة في خطورة ونتائج الانقلاب الصناعى ، ويكفى أن تاريخ البشرية كله قبل الصناعة وحدة واحدة ، وبعد وحدة أخرى بذاتها (٢٠) . فالانقلاب اذن اخطر نقطة انقطاع في تاريخ الإنسانية ، ولهذه كذلك في تاريخ الاستعمار وسياسة القوة .

وإذا كان الانقلاب الميكانيكى في القرن الثامن عشر هو الذى يمهّد مباشرة للانقلاب الصناعى ، فإن له أيضا جرائيم في الانقلاب التجارى الذى سبق الاثنين في القرن الخامس عشر . فإن مكاسب المستعمرات واقتصاديات المراكنتلية الجديدة خلقت

Democratic Ideals, p. 52.

(١٧)

Fawcett, op. cit., p. 428.

(١٨)

W. B. Fisher, pp. 163-4.

(١٩)

V. Gordon Childs, Man Makes Himself, N.Y., 1931, pp. 17-19.

(٢٠)

سيكون صراعا بين صناع ورعاة ، بين الحضارة الميكانيكية والحضارة البدائية ، بل بين العصر الصناعي والعصر الحجري أحيانا ، وبين المدفعية المدركة والقوس والسهم بالنال . ومن ثم فقد كان الفارق رهيبا والنتيجة محتومة . وبهذا وذاك جميعا تستمر الحركة التاريخية المنظمة من اتجاه الامبراطوريات وصراع القوى الى أن يأخذ ابمادا وآفاقا أكبر باطراد .

ولم يكن مفر كذلك ولذلك من أن يصبح العصر الصناعي مرادفا للعصر الاستعماري ، وأن يكون الاستعمار « وباء » القرن التاسع عشر . فإذا كان الانقلاب التجاري هو البعد الأعلى للاستعمار الحديث ، فإن الانقلاب الصناعي هو أبوه المباشر . وتفسير ذلك أن الانقلاب الصناعي خلق اقتصادا مفتوحا الشبهة ، بل حاد الشهوة ، ينتج بالجملة ليستهلك بشراهة ، وهو في النهاية أبعد ما يكون عن الكفاية الذاتية ، ولا يمكن لأي دولة أن يجمع أن يحدد عناصر وأركان صناعته داخل حدوده ، بل حتى داخل أقليمه الجغرافي الطبيعي الرئيسي . وإنما هي تعتمد أساسا على عملية « استقطاب » تركيزية عبيق لها مواضع وحامات وقوى الاقاليم المتباينة وتطروحات متفاوتة والبيئات المتنافرة . إنها ببساطة محاولة لاختزال الكرة الأرضية - اقتصاديا - في نقطة . وكما يتفق ، فإن أخطر طرفين في هذه العملية هما العروض المتعددة والمدارية .

والصناعة بعد هذا لا تخرج من حمى البحث عن الخامات وموارد الخامات ألا لتدخل في حمى البحث عن الأسواق لتصريف ما قد أنتجت . ولذا فالصناعة محبوبة أبدا بتركيبتها الذاتية ، وتزياتها كما تصورت وكما لا زالت تتصور هو الاستعمار ، والاستعمار المداري بالذات . من هنا انطلقت القوى الاستعمارية الصناعية الى استثمار المداريات الجديدة ، أو تعميق استثمارها للمداريات القديمة . فإذا كان استثمار الكشف والحصص التجاري كما رأينا « انطلقا نحو الشرق Drang nach Osten » وان كان بعض هذا « الشرق » غربا في الحقيقة ، فإن استثمار الانقلاب الصناعي هو أساسا « اندفاعا نحو الجنوب Drang nach Süden » الأول استثمار خطوط الطول ، والثاني استثمار خطوط عرض كما قد نقول .

عصر استكمال ما لم يكن قد تم من وحدات في القارة أو خارجها ، كوتوسيع وتوطيد ما كان منها قد بدأ .

ومن ثم فالوحدات التي ولدت في عصر الانقلاب الصناعي تبيل الى أن تكون من الدول الضخمة المساحة والحجم ، كالمانيا وكندا والولايات المتحدة وأستراليا ، وبالتالي سيكون لهما مكان خاص في ميزان القوة السياسية (١٩) . ولولا أن أتى الانقلاب الصناعي بكل أدواته ووسائله لا سيما منها وسائل النقل في الوقت المناسب ، أو لو أنه تأخر عقودا ، لما استطاعت بعض هذه الوحدات الضخمة - ربما - أن تظهر ، ولظهر بدلا من كل منها عدد أكبر من وحدات أصغر . فلولا القطار وخط سكة حديد الماسفيك لما دخلت كولومبيا البريطانية - وربما مقاطعات الوسط أيضا - اتحاد كندا . ومثل هذا وأكثر منه يقال عن الولايات المتحدة . بل لو أن الانقلاب الصناعي تقدم قليلا في محيطه فلربما لم تستقل ، أو لم تستطع أن تنفصل ، الولايات المتحدة عن بريطانيا . ولولا سكة حديد الحبوب لكنت أستراليا الغربية ، وهي الآن « تسمى » من اتجاهات انفصالية ، دولة منفصلة عن القارة الأسترالية (٢٠) .

هذا داخل الدولة الواحدة ، أما خارج الدولة الوطنية فإن انقلاب المواصلات والطباعة مستحيلان للامبراطوريات المأمومت والجبارة من الطهور هما تباعدت أطرافها في أركان المصورة . لا سيما أن الانقلاب الصناعي نفسه خلق مستويات جديدة تماما من القوة المادية والعسكرية لا تقارن البتة بكل ما سبقها . ويتكفى على ذلك دليلا أن أول حرب حديثة في العصر الصناعي ، وهي الحرب الأهلية الأمريكية ، تفوق في حجمها وجيوشها وأهرالها آخر وأضخم حرب في عصر ما قبل الصناعة والتي تحتل مكانة خاصة في كل التاريخ وهي الحروب النابليونية - حقيقة مذهلة ! (٢١) .

ولهذا فإذا كان الاستثمار في الصور القديمة والوسطى هو صراع بين الزراع والرعاة ، فإنه الآن

(١٩) Moge, p. 125.  
(٢٠) Harrison Church, Modern Colonisation, p. 86.  
(٢١) Oswald Spengler, Decline of the West, trans., N.Y. 1946, vol. 2, p. 421.

من أهم الضواغط التي دفعت إلى الهجرة من أوروبا إلى الأمريكتين الطبقة والاضطرابات السياسية والثورات العديدة والاضطرابات المادية والانسانية على البرونزية الكثيفة المسحوقة كانت عوامل طرد مباشرة ومحققة . وليس من الصدفة أن موجات الهجرة من أوروبا تتعاصر زمنا مع تواريخ الثورات الكبرى التي تنقل مجرى القرن الصناعي ابتداء من ١٨٣٠ إلى ١٨٤٨ إلى ١٨٧٠ (٢٢) .

ومع ذلك فلو ما أحدث الانقلاب الصناعي من ثورة في وسائل النقل البري والبحري بالجملة ومن تسهيلات الحركة التي لم تعرف قط من قبل ، لما استطاع هذا التيار الكاسح أن يتحقق . وبعد هذا فانه الانقلاب الصناعي وحده ، بما أنتج من علوم وفنون وطب ووسائل صحية ومخترعات تدفئة صناعية وتكييف . . الخ ، هو الذي خلق الظروف البنية المعقولة والملائمة للسكنى والتوطن في « حيايات الريادة » القارية تلك . باختصار إذن ، بدخول الانقلاب الصناعي من الاستعمار حاجة وامكانية في نفس الوقت .

يقول أخيرا أن الانقلاب نفسه كان عاملا حاسما في تحديد مسار الصراع الاستعماري وصداداته . فكل من تلك القوى السياسية وتوزيعها الطبيعي في العالم ، natural seats of power ، هي موارد العصر التجاري بعمدين أساسيين ، هما موارد الزراعة المحلية وموارد الموقع التجاري . ولكن جاءت الصناعة لتضيف بعدا ثالثا وفيصلا ، أعاد تقييم الأوزان الجغرافية للأقاليم والدول المختلفة ، وأحدث انتخابا جغرافيا جديدا للقوى السياسية ، فاستبعد البعض من الصدارة ودفن البعض إلى المقدمة وخلق البعض جديدا أو من جديد .

وتفسير ذلك أن مركب العزم والعديد - وهو « صدقة جيولوجية » ، إما لك وإما عليك - قد أصبح أساس القوة الجديدة . ولهذا جاء الانقلاب الصناعي لينتهي إلى الأبد الصراع على السيادة العالمية بين فرنسا وبريطانيا ، ذلك الذي كان أبرز طابع في القرن الثامن عشر ، وليضع بريطانيا في الصدارة المطلقة طوال القرن التاسع عشر . ولكنه خلق لها منافسها المقبل - ألمانيا - ليصبح النصف

ليس هذا فحسب ، وإنما خلقت الصناعة أيضا المجتمع الذي يحض على ، ويؤدي إلى ، الاستعمار كواقع وكمثال . فبعد ولد الانقلاب الصناعي في ارماسيات تغيير اجتماعي من الانقطاع إلى البورجوازية ترمز له الثورة الفرنسية ، وجاء هو بعدها بمقدين ليقتز بهذا التغيير إلى ثورة اجتماعية سياسية كاملة وجنسية . فالانقلاب الصناعي منحض عن الرأسمالية وخلق المجتمع البورجوازي الرأسمالي الذي هو في صميمه مجتمع تنافسي تملكى توسعى .

ولهذا فلم يكن منتهاه وفصاره خلق طبقات اجتماعية متصارعة داخل الدولة ممن يملكون ومن لا يملكون The Haves & Have nots من البورجوازية والبرونزية ، وإنما خلق معها طبقات سياسية متنافرة بين الدول المختلفة ممن يملكون ومن يملكون Haves & Hads ، أي من المستعمرين والمستعمرين . فالاستعمار فعلا أعلى مراحل الرأسمالية ، وهو امتداد خارج الحدود للطبقة داخل الحدود ، والمستعمرات . . . ولتأدية السياسة الدولية . . . لذلك جميعا فقد كان الانقلاب لصاعى اشاره البدء بسياك مجتمع جديد . فالاستعمار ، وعاملا حاسما في الصراع الدولي ، وكان القرن التاسع عشر هو بالضرورة والاستعمار قرن الاستعمار .

كذلك لعب الانقلاب الصناعي دورا خطيرا ومباشرا في التمكين للاستعمار والتنمية ، فقد قدم معا وفي وقت واحد « جسم » التعمير وضواغط التهجير وأداة الحركة وظروف التوطن . فمن ناحية حرك الانقلاب « ثورة ديموغرافية » عارمة لم تعرف للبشرية لها مثيلا من قبل ، ففي القرن التاسع عشر ارتفع سكان أوروبا من ١٨٧ مليوناً في ١٨٠٠ إلى ٤٠١ مليون في ١٩٠٠ (٢٢) ، وأصبحت أوروبا متخمة بغاض سكانى تحول بالهجرة إلى طفق بشرى خرج من القارة كالطمسوفان ليتوطن نسيا في المستعمرات والأقطار الجديدة .

ومن ناحية أخرى كانت النظم الاقتصادية والاجتماعية الجديدة التي خلقها الانقلاب الصناعي

E. E. Bergel, Urban Sociology, Mc Graw-Hill, (٢٢) 1955, pp. 251-5.

J.M. Houston, A Social Geog. of Europe, Lond., 1953, p. 152; A. Landry, Traité de Démographie, Paris, 1949, p. 66.

يبيعه معبر سكامي حقيقي يذكر - وتفسير هذا  
أحال أنه ارتبط بالمداريات الكثيفة السكن  
أو انهوله الى لا تشجع طبيعيا على الاستعمار  
السكنى أو لا تسمح به بشريا .

وحى بهيه القرن الثامن عشر كان الوجود  
الاوربي في امزات الجديدة سواء تعميرا أو  
استعمارا هو وجود ساحلي بحث لا يزيد في أعق  
جبهاته عن شقة ساحلية مضغوطة ، بعدها لا يزيد  
عن وجود رمزي . أما في القرن التاسع عشر  
ربعت ثورة المواصلات الجديدة وعد غزا ههنا  
الوجود داخل القارات استعمارا وتعميرا ، ولا ينتهي  
القرن حتى يكون كل شبر منها قد احتل .  
بالاستعمار العالمي من الوجهة الفعالة هو ابن  
الاعلام الصناعي وأحو القرن التاسع عشر .

وقد ملط القرن التاسع عشر وحده من أوروبا نحو  
٦ مليون نسمة - ولو أن نسبة كبيرة عادت  
ل أوروبا بعد ذلك (٢٥) - توزعت على القارات  
التي كانت مسكونة الأوربية ، ابتداء من أمريكا  
في أمريكا الجنوبية ومن استراليا الى  
الهند . ثم اذن انصم وأطول رحلة في التاريخ  
الإنساني . تصاعدت - تصاعد بجائها كل حركات  
التي كانت مسكونة .

الاستعمار هو الرقعة - هذا ادن ،  
التي كانت الشعوب في التاريخ القديم ،  
التي كانت في التاريخ البشرية  
Völkerwanderung

وهو خروج اميض أولا وقبل كل شيء . فقد  
صعدت أوروبا وحدها هذا السيل لتحقيق عالمية  
الجنس الأبيض Universalisation ، أو أوربة العالم  
Europeanisation ، ولتزرع خلايا بشرية انشطارية  
Little Europes تخلف منها أوربات صفرى  
تدين لأوربا الأم ، أوربا الكبرى ، بالولاء والتعبية  
بدرجة أو باخرى . ومن الملاحظ أن هذه الشظايا  
التي انفصلت عن النواة تتخلق حولها من غرب  
وجنوب وشرق ، تحف بها كأكباد تابعة تدور في  
ذلك شمس كبرى ، وتحسد في نفس الوقت  
بالأجناس البشرية الأخرى غير البيضاء وتطوقها  
كحلقة خارجية متصلة بدرجة أو باخرى . أما عالمية  
الحس الأبيض الترتبة فتعكس في أنه أصبح

الأول من القرن العشرين هو عصر الصراع العالمي  
بين بريطانيا وألمانيا ، ثم ليخترله بسرعة ليضمها مع  
بداية النصف الثاني من القرن ، في مواجهة صراع  
جديد من قدر أصخم وأعظم هو هذا الذي نعيشه  
بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي .

تلك اذن هي الخطوط العريضة في الاعلام  
الصناعي كمحرك وصابط للاستعمار والصراع  
الدولي . وعليها الآن أن نتقدم أولا الى دراسة  
الاستعمار في هذا القرن المعظم حواج الفارة فتبدأ  
بالعمير ثم برده بالاستعمار . ثم تعود نائيا الى  
القدرة لمجال محاور صراع القوى داخلها ثم خارجها  
عنتح حركة انتقال مركز القوة العالمية وتنسابع  
ظهور القوى الجديدة واحدة بعد الأخرى - بريطانيا  
ثم الولايات المتحدة ثم اليابان وألمانيا - حتى تصل  
الى قمة الصراع في العصر الصناعي وهي الحروب  
العالمية في القرن العشرين .

#### معبر المعتدلات : الاستعمار السكاني

يسفي لما أن نميز بين ضامرين ما  
القرن التاسع عشر : الأول هو المعبر . أي  
وبما الى القارات والأقطار الجديدة بعدد  
ولاقامة الدائمة فيها واستيطانها .  
أي بعدد الاستعمار السكاني .  
الاستعمار بمعنى الغزو والتملك السكاني ،  
استغلالها لا التوطن الدائم فيها ، أي بعدد  
الاستعمار الاستغلالي أو الاستراتيجي .

ولعلنا نذكر أن أغلب القرارات الجديدة قد  
استعملت بالقوى في ظل الانقلاب التجاري ، ولكن  
تبار الهجرة طوال قرون أربعة لم يزد عن بضعة  
ملايين مصدودة . مثلا لم يكن عدد المعمرين  
البريطانيين في أمريكا الشمالية حتى سنة ١٧٠٠  
ليزيد عن ٣٠٠ ألف ، ولم يكن عدد البيض في  
مستعمرات إسبانيا في أمريكا حتى ١٨٢٠ ليزيد  
عن ٣٢٥ مليون أغلبهم نتيجة للتزايد الطبيعي (٢٤)  
أما التعمير الحقيقي فلم يحدث الا في ظل الانفلات  
الصناعي في القرن التاسع عشر ، أي أن التعمير  
السكاني قد تخلف طويلا عن الاستعمار السياسي .  
وعلى العكس من هذا نجد أن ما تم من استعمار  
سياسي في ظل الانقلاب الصناعي لم يصحبه أو

وحده يملك ٤ قارات ، بينما يملك كل من الجسنيين الآخرين قارة واحدة .

واذن ، فلقد جعل الاستعمار أوروبا قلب العالم ورأسه جغرافيا وسياسيا ، وجعل العالم يتركز حول قبة أوروبا Euro-centric ، وفي نفس الوقت جعل الرجل الأبيض يحاصر بقية الأجناس من حطب ومن قدام ومن خلاف . بل قد يمكننا أن نتحدث عن «أوروقراطية» حقيقية — حكم أوروبا Eurocracy بمعنى الكلمة ، وعن عصر الأوروقراطية العالمية ، عصر لعبت فيه هذه القارة دور 'رستراطيه العالم' . وصرفت فيه كما لو كان الجنس الأبيض وحده دور الجنس البشري كله خيمة الله في الأرض . واتخذت فيه في مجال السياسة والحضارة عقلية وفلسفة أشبه ما تكون بعقلية 'المصور الوسطي' في العلك والكوزموولوجيا حين كانت تحسب الأرض مركز الكون ومحور المجموعة الشمسية ! وإذا كان لهذا انشبيه مغزى فهو أن أوروبا كانت تحتقر 'الجنس البشري' ، بل كان يكتفون بـ 'الجنس البشري' .

سكنوا سقطنها وهايارها فيما بعد .

وانت تطالع أبسط مظهر لأوروبا المستويات ، من الاطوار الى المراتب .

من نيوانجلندا ونوفاسكوشيا سكندند الجديدة ومن قبلها فرنسا الجديدة واسبانيا الجديدة ، الى نيوزيلند ونيوسسوث ويز ونيو برتن ونيو أورليسانو ومن فنزويلا الى هيتيولا . الخ .

أجنسية أوربية صرفة كانوا هي بصغات اصابع اللص ينكرها على جسم جريمتهم .

وقبل ان يحلل تيار الخروج الأبيض العرم الى رواده وحرعه ، ينبغي ألا تغفل عن حقيقة هامة وخطيرة تعدد — ربما أكثر من تجارة الرقيق — نقطة سوداء فاجرة في صفحة الاستعمار الأوربي سكتيا وغير سكتي . فهذا التعمير ، هذا الاستعمار السكتي ، ما قام الا على أشكلاه وانقراض السكان الأصليين في قارات المهجر . فقد صاحب الهجرة

الأوربية وتبعها عليه ايادة رهيبة ، عامدة أو عفوية ، للإعالي الوطنيين ، وصلبت بهم في بعض الحالات الى حد الاقراص . فقد كان على الاستعمار السكتي ليجمع أن ينزع الأرض الجديدة والجديدة ، ومن ثم أن يطرد منها أصحابها الى الأطراف غير الصالحة للسكنى أو للرعاة ، وذلك اما بالحرب والاقناء واما بالمطردة حتى الانزواء .

يصف ابى هذا ان دخول الرجل الأبيض الى وسط يسونوجى مختلف وبمركب بانوجينى مختلف ، حمل معه في حد ذاته عديدا من الأمراض التي لم تكن معروفة في المهجر ولم يكن لاهلها ضدها مناعة ، ولذلك أحدثت الأمراض الوائدة أوبئة رهيبة أفتت مئات الآلاف من الوطنيين . ولا ننسى كذلك دخول الأسلحة النارية والكحوليات والسفخرة الأوربية ، وكلها من عوامل الموت للوطنيين . وبهذا تكون الهجرة الأوربية قد أنت للوطنيين بعوامل المسوت المباشرة وغير المباشرة . من هنا نجد التعدادات في زيادة مطردة في عدد المهاجرين ، وبمعنى آخر ، في زيادة مطردة في عدد المخطوفين . وبمعنى آخر ، في زيادة مطردة في عدد المخطوفين . وبمعنى آخر ، في زيادة مطردة في عدد المخطوفين .

والمشكلة الأساسية في احتلال جنسى (٢٦)

في أمريكا الشمالية — تذكر الشعار الأمريكى الحالي «الهندي الطيب هو فقط الهندي الميت» (٢٧)

حول الهندي الاحمر الى شبح وأسطورة أو على الأكثر الى عبيات متخفية لأجناس بائنة لا يأبه لها أو يحتفل بها الا الاثروبولوجيون وهواة الحفريات البشرية وصناعة الأفلام ! وقد كان مصير هساء الأجناس مقدورا منذ البداية ، لأن أعدادها الأصلية كانت ضعيفة جدا بالنسبة لتيار المهاجرين ، كما كان مستواهم الحضارى بدائيا الى حد لا قبل له بمواجهتهم (٢٨) .

والحالات الوحيدة التي نجت من هذا المصير الأسود على يد الجنس الأبيض هم ماوري نيوزيلند

- (٢٦) Carr-Saunders, World Population, op. cit.  
(٢٧) Whittlesy, Earth & Man, p. 506.  
(٢٨) G. H. Pitt-Rivers, Clash of Cultures & Contact of Races Lond., 1927.

الأوزان والألوان التقليدية للعارات ، ولم يكدجنس  
بعلت من هذه العملية ، ولكنها في جميع الحالات  
كانت يفعل الاستعمار الأبيض وحساب الجنس  
الأبيض .

أما إذا انتقلنا إلى جزئيات الهجرة البيضاء  
وروافد تيارها ، فقد وصلت الهجرة من أوروبا في  
بعض السنوات إلى نحو مليون نسمة ، وكان الذي  
الزمن لبريطانيا حتى منتصف القرن ، وبعد ما وحتى  
أواخره أصبح السبق لشمال غرب أوروبا عاصمة ،  
ثم تحولت بؤرة التصدير إلى جنوب أوروبا وشرقها .  
وقد صدرت بريطانيا خلال القرن نحو ٢٠ مليون  
نسمة ، وإيطاليا نحو ١٠ ملايين ، وتأتي بعدها  
المسانيا (٣٠) .

أما عن الاستيراد فقد كانت الولايات المتحدة  
هي أعظم مستقبل (٣٦ مليوناً أو ٦٠ ٪) ، كما  
كان العالم الجديد كله هو المصب الأكبر للتصدير  
(٩٠ ٪) ، وتلى الولايات المتحدة كندا (٧ ملايين)  
ثم الأرجنتين (٦ ملايين) ثم البرازيل (٥ ملايين)  
بيفلاسلاليا (٣ ملايين) فنيزويلا (٢ مليونان) ،  
وأخيراً جنوب أفريقيا (٥ ملايين) (٣٦)

ومن أهم أن نذكر المفزى السياسي لهذه الهجرة  
التي كانت الهجرة الأوروبية السياسية وقوتها  
في كثير من الأحيان هي التي أكثر ما في ذلك  
شبهه ، وبفضلها أصبحت أوروبا سيادة القسرات  
ومحور ارتكاز العالم . ولكن هذه التبادلات  
daughter countries لن تلبث أن تستقل أما  
تماماً ، وأما كدومينيون في حالة بريطانيا ، ولذا فهي  
في النهاية مخصصة من حساب أوروبا وعامل ضعف  
لها هي ذاتها . ولقد كانت أكثر الدول الخسرة هي  
بريطانيا بعكس ألمانيا مثلاً ، وكان لهذا بالفصل  
تبعكسه المباشر على القوة البشرية لكل منهما وصراع  
القوة داخل القارة وخارجها (٣٧) .

### الاستعمار البحري

البحال الجديد للاستعمار في القرن التاسع  
عشر ، والذي يرمز - لأصالة - الانقلاب الصناعي

(٦٠ ألفاً) الذين بدأوا أخيراً يتزايدون بعد تناقص  
والاستراتيجيون الذين تقلصوا كثيراً (١٥٠ ألفاً) .  
ثم هناك ممن أفلتوا من الاحتراق بنسار الاحتكاك  
الحضاري وارتطام الأجناس هنود أمريكا الجنوبية  
والوسطى - اللاتينية بعامة - فنظراً لضخامة عددهم  
نسيا (١٢ مليوناً) مع صلاحية القارة في معظمها  
للسكنى البيضاء أما بسبب خطوط العرض أو خطوط  
الكتور ، فقد حل هنا محل الاحلال الجنسي الحلط  
الجنسي الذي لا مثيل له في العالم كله ، فهنا يزيد  
عدد العناصر الخلاسية على العناصر النقية من أي  
جنس ، ولا يمثل البيض الخالص الانحلال (٢٩) .

ولهذا السبب فإن أمريكا الجنوبية بوتقة أجناس  
melting-pot بدرجة أكبر في مداها وعناصرها  
الجنسية من أمريكا الشمالية - فهي تجمع بين  
ثلاثة أجناس هي البيض والهنود والزوج ، بينما  
أن أمريكا الشمالية بوتقة انصهار للجنس الأبيض  
وحده أساساً . ومع ذلك فإن الصالح الجديد لكل  
يختلف - كنتيجة لسيادة الاستعمار السكنى -  
القديم في أنه بوتقة جنسية إلى أبعد مدى .

والخلاصة العامة هي أن استعمار  
السكنى في القرن التاسع عشر -  
أجناس أساساً ، أي كان حركة الهجرة  
أحب زيادة أجناس برمه ، أو  
وهو بهذا هو سبب  
والهجرة الأولى حين كان  
زيادة الملون . ولما يحدى في حد تعين  
أو اعتذاره بأنه لم يكن من المقبول أن تترك تلك  
القارات البكر بملكياتها الهائلة لحضارات قليلة  
من البدايين الذين عجزوا عن استعمارها ، فليس  
هذا إلا منطق القوة الفاشية .

ولكم يبدو غريباً شاذاً بعد هذا منطق الاستعمار  
بدأ بإبادة الهنود الحمر في العالم الجديد ، فلما انتقد  
اليد العاملة نقل إليه زواج أفريقيا بالجنسة ، وحين  
دخل أفريقيا بدأ بهجر إليها الهنود والأمستويين  
لسلما الهجرة الناجمة - حركة تفريغ ونقل من الشرق  
إلى الغرب باطراد ! على أنه إذا كان لهذا كله مفزى ،  
فهو أن الاستعمار السكنى قد أعاد توزيع البشرية  
ديموغرافياً واثروبولوجياً على ظهر الأرض ، وغير

(٣٥) Maurice Davie, World Immigration, We Euro-  
peans, p. 201.  
(٣٦) Kimble World's Open Spaces, pp. 25-6.  
(٣٧) Fitzgerald, The New Europe, pp. 222-3.

We Europeans, loc. cit. (٢٩)





حجارة لم يكن هناك أي اهتمام لإبادة الجنس  
والاحلال الجنسي كما عرفت المتدلات الجديدة أو  
مداريات العالم الجديد - ففي أفريقيا كانت حيوية  
الجنس الزنجي ، وهي التي هزمت تجارة الرقيق  
والاستعمار الديموغرافي من قبل ، كغيلة بأن تهزم  
أي مشروع للاستعمار السكاني .

ومع ذلك فتتجه جيوب من إفريقيا المدارية وخارج  
المدارية معا لم تنتج من الاستعمار السكاني : في  
إفريقيا المدارية جزر الكنوت المرتفع التي تصحح  
المناخ للابيض ( alticlimes ) ، وإفريقيا خارج  
المدارية في قطاعات المناخ دون المداري أو المتحد  
المشابه لجنوب أوروبا homoclimes ، فالأولى تتحدد  
في نطاق المرتفعات الهضبية المنخفضة تنقطع من كتلة  
الحشة حتى الروديسيين ، حيث حوله الاستعمار  
إلى « المرتفعات البيضاء » وحاول أن يتوطن فيها  
ببعض مئات من الآلاف موزعة هنا وهناك لا سيما  
في كينيا وروديسيا الجنوبية . أما الثانية فتتحدد  
في الشمال بنسبة جزيرة المغرب الكبير ابتداء من  
شمال حتى المغرب ولكن الجزائر بالذات . وهناك  
وصل الاستعمار السكاني في مجموعته إلى المليونين  
مليونين في إفريقيا الشمالية الغربية في طرف القارة  
التي كانت في السابق مسطوحين .

فقد كانت حوافز الاستثمار الإداري أساساً هي الإستغلال أو الأسر نتيجة أو كليهما معاً . وبصورة عامة يمكن أن نقول أن قلب الاستثمار الإستراتيجي عمل الإستغلال في العالم العربي ، وإن لم يلقه مطلقاً . والعكس صحيح في أفريقيا المدارية والشرق الأقصى، فهناك يأتي الإستغلال في الدرجة الأولى وتترجح الإستراتيجية إلى الصف الثاني .

وتقليب الأهداف الاستراتيجية في العالم العربي  
لاسيما منه المشرق ، إنما يرجع بطبيعة الحال الى  
موقعه الجغرافى البؤرى الحاسم الذى أصبح مركز  
نقل العالم القديم بلا منازع بعد شق قناة السويس  
فى أواسط القرن . فقد أصبح العالم العربى هو  
عق الزجاجة فى طريق الاستعمار الى الشرق الأقصى  
جميعا وبإبواب الامبراطورية - أى امبراطورية -  
و خط الحياة للامبرالية .

في ضوء هذا التحديد والتوجيه ، أصبح حجر  
المنافس في الاستعمار الإداري في العصر الصناعي

أما العالم العربي فله في هذا التحليل وضيق خاص . فهو لم يكن يبعد عن موطن الاستعمار الأوروبي ، بل هو الجار المواجه مباشرة - وهو ليس بالبيئة الطبيعية المغلقة أو العالقة - ولكن الذي أعجز الاستعمار دونه إنما هو العامل الحضاري . فرغم كل شيء ، كان للفرق العربي حضارة قديمة عريقة وقوة أكبر من هينة . ومن هنا ظل صامدا لضغوط الأوروبية المتزايدة التي قاتلت أمامها - مثلاً - حضارة آسيا الموسمية في الهند وجزر الهند - إلى أن كانت طرفة الغرب الحضارية الحاسمة في الانقلاب الصناعي . فكان هذا أيذاً يعلم جدوى المقاومة - فمرة أخرى ، وكما في أفريقيا وإن يكن لأسباب حضارية لا طبيعية، عجزت أوروبا عن التغلب على العالم العربي بحضارة الانحطاط التجاري ولكنها حجت بحضارة الانقلاب الصناعي (٢٤) .

ولعل هذا الذي قلناه ان يكون ردا ضمنيا على سؤالنا عن سبب تعاصر توقيت الاستعمار المداري في قطاعاته الثلاثة - فهو قد تاجر في العالم العربي رغم الموقع القريب والبيئة المفتوحة - أساسا بسبب تماسك وصمود المستوى الحضاري - أي أساسا بسبب الحواجز الحضارية - التي كانت تعيق المدحمة في أفريقيا المدارية ثم الشرق الأوسط في المراحل الأولى من القرن الماضي - كما أن البيئة المغلقة المتمثلة في الجبال والصحاري - وهي المنزلة بين سبب الجفاف أيضا الطبيعية - وفي المنزلة بين المدحمة والشرق الأقصى -

السؤال الآن : ما أغراض الاستثمار المبدارى وأهدافه ؟ وهذه حسمتها الطبيعة مرة واحدة والى الأبد . فلم يكن فى هذه العروص المبدارية بمناخها المضاد للرجل الأبيض antilimes مجال للاستثمار السكى أو التوطن . ولهذا كانت الصيغة السائدة بالضرورة هى الاستثمار الاستغلالى أو الاستراتيجى . وثمة عامل يعمل فى نفس الاتجاه ويجب كل فرصة للاستثمار السكى ، ونمنى به العامل السكان .

فهذه كلها منساقط قديمة العمران ، كيفية السكان ، وبعضها عريق الحضارة ، فليس فيها طاقة أو كوة لدخول مستوطن . وحتى في أذناها

(٣٤) جمال حمدان . الاستعمار والتحرير في العالم العربي .  
ص ٢٢-٢٣ .



شكل (٢) الاستعمار العالمي في أوج ١٩١٤ - ماثل ثلاث أجيال  
وحدها من الاستعمار اليابان، والصين، وجزء من الشرق الأوسط

في الانقلاب الصناعي ، فإنه سرعان ما أصبح وقوده  
ويجدر إليه الصحة ، فمن المحقق أنه 'ولا موارد  
المستعمرات ومكاسها الملكية التي ذهبت لتنصب  
مركز الزخم إلى مال الأوربي ، لما وصل التطور  
العلمي إلى أن يمكنه من تطوير حضاري ومعيشي  
كان الاستعمار لزاما اقتصاديا وحييا أصاب الماديات  
بإشلال الزخرف ، كان يضخ في الاقتصاد الأوربي  
ما لا يمكن حصره بل تخيله من آلاف المليارات  
من الجنيهات .

وقد كان طبيعيا لذلك أن ينتهي الاستعمار إلى  
تقسيم عمل يحتكر فيه الحرف الثانية ( الصناعة )  
والثالثة ( التجارة ) وهي التي تدأ عمل الدخول ،  
ويغرض على المستعمرات الحرف الأولية ( الزراعة  
والتعدين ) التي لا تكاد ترد من الدخل إلا الفئات .  
وبهذه القسمة غير السلمانية الضميري احتكرت  
أوروبا لنفسها دور مصنع العالم وأبقت على المستعمرات  
كمزرعة له ، وبه أيضا أصبحت هي مدينة الصالح  
والمستعمرات ريفه - وهذا هو التكامل الاقتصادي  
الذي زعمه الاستعمار . والحقيقة أن الاستعمار  
كان ينظر إلى الماديات على أنها « أقاليم تكميلية  
Ergänzungsraume » كما سماها الجغرافيون

هو مولده الحام الثينة الرخيصة معا .  
ومعدنية ، غابية أو سكانية . وبمدها تأتي السوق  
المحكرة المسوية لتصرف . . . . .  
الرخيصة الرديئة . وسوق المستعمرات ولي كاس  
فقيرة في قدرتها الشرائية فهي تعجز على شراء  
حجمها .

وتجربة الاستثمار الاستعماري لم يدرج يوما  
وباعتراف كتابه ، عن اقتصاد هدمي إنشائي سافر  
Raubwirtschaft لم يكنف بأن يسرق السكان بل  
والطبيعة أيضا ، فثاقوبه هو امتصاص زبد الأقليم  
Skim the cream حتى يتركه زبدا وغشاء أحوى .  
حتى الزراعة الاستعمارية ، الإيعاديات التي هي  
مشروع صناعي بقدر ما هي عملية زراعية ، وصفت  
بأنها زراعة تعدينية . mining agric . أي تخريبية  
هدمية بمسافة (٣٥) . ميكانيكية الاستعمار باختصار  
أنه مضخة ماصة في المستعمرات ، كاسبة في  
المتروبول ، ورياضياتها عملية طرح هنا وجمع  
هناك . .

الاستغلال إذن هو بوصلة الاستثمار المادي  
وقبلته . وإذا كان هذا الاستعمار قد وجد محركه

Karl J. Pelzer, Geog. & the Tropics, in Geog. in (٢٥)  
20th Century, Lond., 1951, p. 321.

وفيما عدا هذا - فقد تشمل الحروب الدامية داخل أوروبا ، ولكنه احتلال عسكري مؤقت أو تسوية حدود داخل اطارات القوميات ، ذلك الذي يحدث ، اما أن تستمر دولة أو شعب أوربي دولة أو شعبا أوروبا آخر هذا قط لم يحدث - لقد كان الاستعمار بوضوح - صناعة أوربية مسمجة ولكنها للتصدير إلى خارج أوروبا فقط وغير قابلة للاستهلاك المحلي .

ولقد كان الاستعمار في أوج بطشه يبرو نفسه  
- متبجحا - بنظريات الفهر والتفوق العنصرى ،  
حتى اذا استشعر نهائيه وطاردته عقيدة لدنـب  
بعض - متنافقا - عن التبرير في نظريات الانسانية  
الاحوة ! وبين النقيضين خرج من النظريات  
ما يندى له اليوم جبين العلم والحقيقة خجلا . فمن  
نظريات الفهر والتفوق الى تقسيم البشر الى  
الاجناس او تقسيم جنس البشر الى العنصرات ، فزعم مرة  
ان الرجل الاصفر يعيش في الماضي ، والاسود في  
الحاضر ، والبيض في المستقبل . (٢٩) .  
ثم اشترى وضع نظرية الاجناس الاطفال . . .  
وحسب انهم انتهى الاستعمار مع العنصرية النازية الى  
هذا - بيوت - للاجناس يميز بين الاجناس  
بـ : race ، وهو البيض ، والاجناس القليلة  
اللون ، والملون ، وكلا جعل مراتب  
درجات (٣٠) .

وأذا كانت معصية الاستعمار في عقوباته سافرة بلا حياة ولا خجل ، فهي لم تفعل في شيخوختها إلا أن تفتت بنقش الرباء والزيف دون أن تغير حلداء ، وكانت النظريات ، الانسانية والأبوة ، Paternalism ، في الاستعمار ( كذا ! ) مثل « عبه الرجل الأبيض ورسالة الحضارة » أو الأب الأبيض White Father أو الأخ الأكبر Elder Brother ... الخ » (٤١) . ولكن هذا جميعاً مطبق تبرير فج لا يبرر أكثر مما يبرر ، ويظل الاستعمار وصمة في جبين المستعمر أكثر منه في الجبين المستعمرات وعاز أوروبا أكثر منه عاز المداوير ، ويظل في النهاية ظاهرة معصية جنسية بعنة . ويكفي أن يتحدث بعض الكتاب الأوروبيين أنفسهم

ومن الحقائق الجديرة بالتأمل والتي تؤكد هذا الذي نقول عن عنصرية الاستعمار وصراع الأجناس، أن الاستعمار كله ما تم الا على يد أوروبا وما تم الا خارجها. علم يحدث في التاريخ الحديث أن استعمار جزء من أوروبا بالاستيتماء، نقط من الاستعمار الاستراتيجي في جبل طارق ومالطة وقبرص.

والذي شارك في هذا التكاليف هو دول أوروبا  
البحرية بالذات، لكن مع تحلف واستبصار بعض  
القوى القديمة كهولندا والدنمرك ودنمرك بعض  
القوى الجديدة كالمانيا وإيطاليا وبلجيكا . وقد كان  
الصراع في إفريقيا انعكاسا للصراع في أوروبا ،  
وتحدثت نتائجه بأفكار وأوزان تلك القوى في  
قارتها ، كما أن هذه النتائج بدورها أكدت تلك  
الأفكار والأوزان والهيبة فيما ضاعفتها واما أضعفتها .  
فبازر القوي الكبرى بخاصة الأسد ، وخرحت  
القوى الصغرى بفئات المائدة .

وقد بدأ التوغل البريطانيا ، وبدأت بريطانيا في  
التوغل من قواعدها الساحلية في غرب افريقيا حيث  
حلفت توسعا بحريا ، يستل في عدة مستعمرات  
متوسطة الاحجام ولا تتعمق كثيرا في الداخل  
فضلا عن انها منفصلة عن بعضها البعض (١٥) -  
كذلك دخلت المانيا يافنتين منفصلين في توغو  
والكامرون - اما فرنسا فقد دخلت من الكوة او  
الوابة الحقيقية لغرب افريقيا وهي ذلك الشريط  
السهلي المحصور بين الصحراء شمالا والفسابي  
جنوبا ، وقد قادها هذا الى الشارح الرئيسي احركة  
في غرب افريقيا وهو نطاق السودان (١٦) ،  
فاندفعت فيه شرقا واندمجت منه جنوبا لتدخل

Farragleye, *op. cit.*, pp. 278-9. (27)

أقليم غالة من اليباب الخلفى ولتلا الفجسوات  
الأرضية الراسعة بين الأسافين البريطانية  
والألمانية .

وبهذا أصبح النبط السياسى متاخلا على التوالى .  
مستعمرة فرنسة بريطانية ، مرسية ثانية ،  
ففرنسية فيبريطانية ، وهكذا . وهنا أيضا نرى  
« قارية » التوسع الفرنسى واضحة كل الوضوح ،  
لاسيما أن خلف ذلك جميعا كانت تتراعى لفرنسا  
امبراطورية عسكرية قارية صغراوية بدأتها من  
الجزائر من قبل . وكما دخلت فرنسا من شمال  
غرب إفريقيا ، دخلتها بريطانيا من شمالها الشرقى  
فى مصر حيث اتخذتها قاعدة للتوسع فى السودان  
التيلى .

وفى شرق إفريقيا بدأت بريطانيا بمستعمرة فى  
كينيا وأوغندة ، لم تلبث أن انضمت بمستعمراتها  
النيلية فى الشمال ، ولم تلبث أن ناظرتها المانيا  
بمستعمرة واسعة فى تنجانيقا ، بينما أغلقت بلجيكا  
جذع القارة من الغرب بمستعمرتها الضخمة فى  
الكنغو . والى الجنوب من هذا كانت البريتانيا  
تتوسع من شريطها الساحلى القديم  
موزمبيق وأنجولا . وفى نفس الوقت ، بعد أن  
انتزعت الكاب من هولندة ، ثم بعد ذلك  
النابوليونية ، قد اتخذت منها راس حوزة للانديع  
الى قلب القارة شمالا على طول المسود العفرى  
للمرتفعات والهضاب السفانية . بينما ملأت المانيا  
الفرار على الساحل الغربى بين الكاب وأنجولا  
بجنوب غرب إفريقيا .

وهنا حاولت كل من المانيا والبرتغال أن تصل  
ما بين أراضيها شرقا وغربا لتفلق الطريق على  
التوسع البريطانى : المانيا ما بين تنجانيقا وجنوب  
غرب إفريقيا ، والبرتغال ما بين موزمبيق وأنجولا .  
ولكن كانت اليد العليا لبريطانيا ، فنجحت فى أن  
تتمدد شمالا عبر الروديسيين . إلا أن هذا كان  
معناه فى الحقيقة وللغاية . « امبراطورية  
داخلية » لبريطانيا القوة البحرية أساسا  
وبالضرورة ، وصاحبة الاستعمار الساحلى  
بامتياز ! (٢٧) على أنها لم تر بأسا أن تعتمد على

المستعمرات البرتغالية كمبرج ( وذلك لصداقتها  
التقليدية بل حاشتها الحقيقية لبرتغال . ويبدو  
هذا بدأت بريطانيا تتطلع الى حلم ضخم هو طريق  
الكباب - القاهرة فى محاولة عطى لربط  
مستعمراتها فى أقصى شمال وجنوب القارة على محور  
طولى عطى فى الجنوب لىلى فى الشمال .

وقد اصطدم هذا المشروع مع مشروع مسائل  
- ولكنه عرضى - لفرنسا للتوسع على طول محور  
السفانا عبر السودان الأوسط حتى يصل عبر  
سودان النيل الى حبيها الصغير فى الصومال  
الفرنسى على البحر الأحمر . وكان اللقاء بين الأسد  
والنمر فى سفانا فاشسودة ، فكانت « الحادثة »  
المشهورة التى حسمها فى الحقيقة توازن الأساطيل  
الحربية فى الأطلسى أكثر منه توازن الكتاب  
المتوغة فى إفريقيا (٤٨) ، فراجعت فرنسا وتحطم  
المحور العرضى الفرنسى ، ليسود المحور الطولى  
البريطانى ، إلا من حلقة فى شرق إفريقيا لم تلبث أن  
عشلت فى الحروب الكبرى الأولى حين آلت  
حاشا الى بريطانيا التى تقاسمت مع فرنسا  
ت الماسا المصنعة .

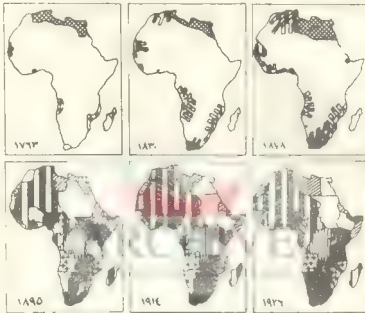
Stalemate  
لصراع الثلاث بين بريطانيا وفرنسا وإيطاليا  
هناك . وقد حدث هنا فى الواقع تكالب صغير يعرف  
محليا « بالتكالب الثانى Second Scramble (٤٩)  
تقاسمت فيه القوى الثلاث الصومالات الثلاثة  
وإرتريا . وحاولت إيطاليا غزو الحبشة ولكنها  
هزمت فى معركة عدوة ، حتى عادت فى ثلاثينات  
العصر العشرين . سمعت آخر معل مسهل فى  
إفريقيا . إلا أن هزمه إيطاليا الأولى لم تسف نفذ  
وكانت صفة لادعائها الامبراطورية ولهس فى  
ميدان القوة ، إذ أنها كانت أول قوة أوربية تهزم  
فى العصر الحديث على يد غير أوربية وتسبق فى  
هذا هزيمة الروسية على يد اليابان .

(٤٨) Fairgrieve, p. 279.  
(٤٩) J. Drysdale, The Somali Dispute, Lond., 1964. (٢١)  
p. 25

(٢٧) G. Hamdan, «Political Map of the New Africa», Geog Review, Oct 1963. pp 425-6

مساحة مترامية ، لكن رقعة صالحة جدا منها  
صحاري وأشياء صحارى ، هذان اذن هما .  
« الاستعمار الكبير » ، ينتشر فى كل اركان القارة  
وفى أغلب اقاليمها الطبيعية ، فى النصف الشمالى  
والجنوبى ، شرقا وغربا على السواء .

واذا نحن الآن حللنا المحصلة النهائية للصراع  
كما اخذت شكلها النهائي بعد الحروب الكبرى  
الاولى ، فسنجد ان بريطانيا هي التى خرجت  
بنصيب الأسد مهيمنة على نحو ٤٥ ٪ من سكان  
القارة ومروعة فى وحدات كلها من أعنى مناطق



مستعمرات فرنسا مستعمرات بريطانيا مستعمرات إيطاليا مستعمرات ألمانيا مستعمرات بيلجيا مستعمرات البرتغال مستعمرات إسبانيا

شكل (٥) زحف الاستعمار على افريقيا . مرحلة طويلة من  
الاستعمار الساحلى والديومغرافى ، ثم مرحلة حاطه من  
الاستعمار الداخلى والجنوائى يلخصها « التكالب »

أما « الاستعمار الصغير » - وهو محل التوزيع  
كثافة - فتحمله إيطاليا التى خرجت « بصندوق  
من الرمال » فى الأعم الأغلب ، داخل بقدر ما هو  
ساحلى ، ويضئ على البحرين المتوسط والأحمر .  
ويتألف من أربع وحدات تلتهم فى كتلتين منفصلتين .  
وتأمن البرتغال بوحشتين كبيرتين وأسبغيتين  
قرصين . ولكن اذا كان الاستعمار الإيطالى هو أحدث

أمريكا طبيعيا واقتصاديا - أنها « الامبراطورية  
الثالثة » لبريطانيا بعد أمريكا سابقا والهند لاحقا .  
ثم تلى فرنسا بنحو ٢١ ٪ من السكان (٥٠) فى

United Nations, Review of Econ. Conditions in Africa, 1951

انظر ايضا : جمال حمدان ، افريقيا الحديثة ، دراسة فى  
الجغرافية السياسية - تحت الطبع

## العالم العربي (٥٢)

لم يأت الزحف الاستعماري في المسالم العربي دفعة واحدة ، بل يمكننا بالتقريب الى منطقة شاسعة مثل أفريقيا اللدارية ، أن نقول أن زحف الاستعمار في العالم العربي كان بطيئاً متسكماً . فلم تتحول له السيطرة على المنطقة الا في مدى ٩٠ عاماً من ١٨٣٠ الى ١٩٢٠ . وقد تم هذا الزحف في ثلاث موجات رئيسية واضحة التحديد . ولم تنته كل موجة في

استعمار في الغارة ، فالبرتغال أقدمه اطلاقاً (خمسـة قرون ) . وإذا كانت مستعمرات إيطاليا لغرضها اعجز من أن تتلقى الاستعمار ، فإن البرتغال على العكس قوة اعجز من أن تتحمل أو تستثمر مستعمراتها . ومن الناحية الأخرى فإن امبراطورية اسبانيا في أفريقيا لا تخرج عن امبراطورية جيوب واساقين هزيلة فقيرة مشتهة ما بين المغرب وحليج بيسافرا . هي امبراطورية رمزية بحسب ، وميكروسكوبية عند ذلك .



لاخيم جاك ، الإمبراطورية الأوروبية ، باريس ، ١٩٠٥

تدريجها تماماً بل كان لها ما بعدها من توسيع وتعميق بحيث تؤدي نهايات كل موجة الى طلائع التالية . وبوجه عام كانت كل موجة لاحقة أوسع انتشاراً وطاقاً من سابقتها .

فاما الموجة الأولى ففي ثلاثينات القرن التاسع عشر ، وفيها وقعت الجزائر في يد الاستعمار الفرنسي في ١٨٣٠ ، وعُدن في يد البريطانيين في ١٨٣٩ . ومنذ ذلك الوقت أخذ الاستعمار البريطاني يزحف بانتظام وأطارد من عدن على طول الساحل الجنوبي والشرقي للجزيرة العربية حتى سميحتر عليها جميعاً حتى الكويت شمالاً قبل نهاية القرن .

وجاءت الموجة الثانية في الثمانينيات حين مدت فرنسا يدها من الجزائر الى تونس في ١٨٨١ ،

لا يبقى الا دول المستعمرة الواحدة - ثمة منها بلجيكا التي لا تملك في المسالم الا الكنفو ، لكن الكنفو قد يكون أغنى مستعمرة في أفريقيا اقتصادياً (٥١) ، كما يبلغ ٥٠ مرة مساحة بلجيكا ! على أن هنا حالة أخرى لقوة صغرى تستعمر ولكنها وحدها اعجز عن أن تستثمر - ثم هنالك الولايات المتحدة في ليبيريا ، وكالماثوف مع الولايات ، ليس هذا استعماراً رسمياً بل علاقة مثل عليا وفروسيـة سياسية ، ترجع الى محاولة توطين الرقيق الأمريكى المحرد العالـد ، وتترجم في الواقع الى استعمار غير رسمي كما يعترف الكتاب الأمريكـيون أنفسهم (٥٢) !

٥١ : Church, Modern Colonisation, p. 24.

٥٢ : G.T. Renner, Africa : A Study in Colonialism, in World Political Geog. ed. Pearty & Field, N.Y., 1951, p. 411

(٥٢) جمال حيدر . - الاستعمار والتحرير في العالم العربي من ٢٦ - ٢١ .

واحتلت بريطانيا مصر في ١٨٨٢ . وفي العقدين التاليين استطاعت بريطانيا أن تتخذ من مصر قاعدة للتوسع في السودان تحت ستار التبعية التركية ، وبعد دورة القرن كان قد استقر به تماما .

الموجة الثالثة والأخيرة في انعقاد النامي من القرن الحادي قبل وفي أثناء الحرب الكبرى الأولى . وقد بدأت بانتفاضة إيطاليا على ليبيا وأقتطاعها من نفس الوقت بدأت فرنسا تتوسع من الجزائر غربا في مراكش لتنفرد بها من بين مناورات القوى المختلفة . وتم لها هذا خلال الحرب حتى ١٩١٤ . أما في المشرق العربي فقد كانت هذه الموجة أخطر نبرة في تاريخه ، فقد سقط أغلبه - الهلال الخصيب - للاستعمار دفعة واحدة وذلك كجزء من مساومات الصلح . فاستولت فرنسا على سوريا ولبنان ، وبريطانيا على فلسطين والاردن والعراق .

من هذه الصورة نرى أن الاستعمار بدأ في كل موجة ساحليا ثم توسع تدريجيا نحو الداخل ، حيث طبيعة الاستعمار البحري والسيطرة الساحلية . كل موجة من الاستعمار ، أو جزء من موجة ، أو انكار لجميع منها دائرة أو جزء من دائرة ، أو جزء من مصر إلى السودان فمصر ، أو جزء من ليبيا إلى ليبيا ، وخطيا كما حدث من الجزائر إلى تونس فمراكش حيث - كما قيل - افطرت فرنسا بالجزائر وتفتت بتونس وتمتعت بمراكش !

كذلك نرى تناظرا وسمتريّة نادرة بين الزحف في المشرق العربي والمغرب . ففي كل موجة يسقط عضو أو أكثر في كل من القطاعتين مما بحيث يصبح لدينا هذه الأزواج المتناظرة على الترتيب الزمني الجزائر - عدن والجنوب العربي ، تونس - مصر والسودان ، مراكش وليبيا - الهلال الخصيب .

وعند هذا فسرى أن العالم العربي الأفريقي كان أسبق وقوعا في مجموعته في يد الاستعمار من العالم العربي الآسيوي . والجزء الأكبر منه وقع بالفعل في القرن الماضي ، بينما لم يسقط نظيره الآسيوي إلا في القرن الحالي . هذا ولم يفلت من الاستعمار في العالم العربي كله إلا قطاع ضئيل في الجانب الآسيوي هو قلب الجزيرة العربية وقلمة اليمن ، وكل منطقة فقيرة في ذاتها صحراوية أو جبلية ، وداخلية بعيدة عن محال واهتمامات الاستعمار البحري .

وأخيرا نرى أن الاستعمار اللاتيني في المغرب احتل ليبيا سائرا ومقابلا للوطان . الأم ، عسلي ساحل الشمال للبحر . فالاستعمار الإسباني في مراكش الخليجية أو الريف يواجه إسبانيا ، والجزء من - من حوضه شبه الصحراء - بينما في - في الشمال - ينفذ بحري فرنسا في القارة .

وبعد نرى الاستعمار في العالم العربي في الميزان ، فإن الحلول التي يعطي النسب التي افتسم بها المصلحة كما كانت حوالي منتصف القرن الحالي قبيل التحوير .

الاستعمار	المساحة بالكم <sup>٢</sup>	%	السكان بالآلاف	%
البريطاني	٤٦٥٤٧٠٠	٤١٦	٣٨	٤٨
فرنسي	٢٩٣٣٠٠٠	٢٦٢	٢٧	٣٤
الانجليزي	١٧٥٩٥٠٠	١٥٧	١	١٢
الإسباني	٥٠٠٠	٠٤	١٧	١٤
الوحدات المستقلة	١٧٩٥٠٠	١٥٥	١١٥	١٥٤



فقد اتجهت فرنسا الى التمدد الصينية نتيجة لطردتها من الهند وتوضيها عنه ، واستطاعت منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى آخره ان تكون لنفسها مستعمرة الهند الصينية الفرنسية باقسامها المختلفة ، اما بريطانيا فقد تبعتها امتدادا لوجودها في الهند . فمن هناك اتساحت تلتاليا الى بورما حيث كونت مستعمرة ضمتها الى الهند حتى فصلتها في اخريات ايامها بها . كذلك توسعت بريطانيا من الجنوب من سنغافورة التي اشترتها في ١٨١٩ بأبخس ثمن والتي أصبحت قاعدة ونواة لاختضاع الملايو حتى أصبحت مستعمرة بريطانية خلال القرن ، لكن دون أن تتصل أرضيا ببورما (٥٤) .

وهكذا بقي بين شقي الرحي نواة شبه جزر الهند الصينية - سيام . فأصبحت هدفا لضغوط توسعية عنيفة من الشرق والغرب ، حتى انقشت القوتان المتنافستان على تهديدها ، في آخر القرن التاسع عشر (١٨٩٦) لتكون دولة حاضرة تحفظ التوازن بينها . تمتع الاسطلام . وهذا أصبحت سيام - لا تستمر قط من قبل في التاريخ - الوحدة السياسية . في آسيا التي تحت من رعاها الأبرار الحديث ، ومن هنا عرف اسمه الى غايلايد أي أرض الأحرار . ولكن دور الدولة الخارجية هو نيلديا دور المضاربة stalemate بين القطبين المتساخمين وذلك حتى تحفظ استقلالها (٥٥) . وهكذا كان . فقد ظلت تايلاند مسرحا للمؤامرات الاستعمارية والدسائس المزمعة . فكانت بمثابة « أفغان موسمية » .

ولا بد أن تشير هنا الى الصين في مجال النشاط الاستعماري الأوربي في الشرق الأقصى ، فاستعمار هذا العملاق - نائما أو غير نائم - لم يكن قط مجال تفكير الاستعمار الأوربي ، وهو في الواقع أحد متطقتين اثنتين في العالم كله ( نانيتهما في شرق الشرق الأوسط ) املتئبا من الاستعمار بشكله المطلق (٥٦) . ولكن توغل النفوذ الأجنبي كان ممكنا

وسيببدو أن نحو سبعة ائمان الوطن والشعب العربي ( ٨٥ ٪ ) سقطت فسيحية للاستعمار ، وبالأخص للاستعمار البريطاني والفرنسي - الاستعمار الكبير - فكانا مما سيطران على ثلثي مساحة العالم العربي ( ٦٧٨ ٪ ) وأكثر من ثلاثة أرباع الأمة العربية ٨٢ . وكانت بريطانيا بالذات هي القوة الاستعمارية السائدة : نصف السكان وحسب المساحة ، وبذلك تعادل الاستعمار اللاتيني جميعا من حيث المساحة تقريبا ولكن تفوقه كثر من حيث السكان .

اما الاستعمار الصغير ففيه يتقارب الاسياني والايطالي سكانا ، ولكن يختلفان جدا في المساحة . فالأول شريط كثيف نسبيا ، اما الثاني فبسه اعل نسبة من المساحة الى السكان . وفيما عدا هذا فيلاحظ أن الاستعمار كان يملك في العالم العربي مساحة تزيد على مساحة أوروبا بأسرها ، وفيما عدا اسبانيا فكانت كل قوة استعمارية تمسك به - تبلغ أضعاف مساحتها هي نفسها عدة مرات .

## الشرق الأقصى

شهد القرن التاسع عشر مسرحا جديدا للصراع الاستعماري في الشرق الأقصى في ثلاث دوائر : الهند الصينية بما فيها الملايو ، والصين لاسيما سواحلها ، وجزر الأوقيانوسية المنتشرة . فاما الهند الصينية فهي - ابتداء - لم تخضع لأي قوة خارجية من جهة القارة طوال التاريخ قيعا عدا بعض فترات من السيطرة الصينية . والفضل في ذلك يرجع الى طبيعتها الجبلية الغاية المنزلة . الى أن جاء الاستعمار البحري : فبدأ يحوم حول المنطقة منذ القرن السابع عشر حين بدأ يعمل في شسبه القارة الهندية ، الا أنه لم يتقدم الا امد منتصف القرن التاسع عشر . وكانت القوى الاستعمارية هنا هي بريطانيا وفرنسا ، وقد بدأ صراعهما المتبادل في الهند حتى ادا انتهى فيها انتقل الى الهند الصينية ليصبح هو النعمة السائدة في كيانها السياسي .

Cresscy, Asia's Lands & Peoples, pp. 494 ff

Ibid, p. 509.

Cole, p.

(٥٤)

(٥٥)

(٥٦)

التاسع عشر • فحوالي منتصف القرن كانت فرنسا قد استولت على مجموعة من الجزر أهمها نيوكاليدونيا • • بينما تأخسرت نيوهبريد إلى العقد الأول من القرن الحالي حين اقتسمتها فرنسا مع بريطانيا • وإلى الشمال كانت أسبانيا قد وضعت يدها على جزر كارولين وماريانا في العقد السابع من القرن، بينما استولت ألمانيا على جزر مارشال في العقد التالي • ولكن بعد الحرب الأسبانية - الأمريكية في نهاية القرن باعحت أسبانيا جزرها لألمانيا فيما عدا جوام التي آلت إلى الولايات المتحدة • ثم فقدت ألمانيا بدورها تلك الجزر لليابان بعد هزيمتها في الحرب الأولى ، إلى أن فقدتها اليابان بدورها للولايات المتحدة بعد هزيمتها في الحرب الأخيرة (٥٨) •

على السواحل ، وبالفعل أرغمت القوى الأوروبية العصر على فتح أبوابها وموابها للبعود والامتيازات الأجنبية • وذلك بعد حرب الأفيون في أربعينات القرن التاسع عشر • وكسجة لهذا انتزعت بريطانيا هونغ كونغ ، وظهرت مناطق الامتيازات المعروفة Extra-territorialities • ومنذ ذلك الحين كانت سياسة القوى الأوروبية هي الإبقاء على الصين كمجال معنوح لنفوذها جميعا ، وهي ما تعرف بـ « سياسة الباب المفتوح » (٥٧) •

أما في الأوقيانوسية - هذا الأرخيipel السديسي المترام كنهر مجرة في غرب الهادي - ففسد كان مجالا سهلا للسيطرة البحرية الأوروبية في القرن



# يوم والليلة

بتم الدكتور  
عبد العزيز الاهواني

ثلاثة أيام وجه يشع صبياء ، يعرف أنه محمد رسول المسلمين ، ثم وصل إلى الوحدة مع برهمن الله . - أن نهر الإسلام الزاخر حمله إلى المحيط الذي ليس له حدود - إلى المطلق - وكانت تلك التجربة كما سجلها تلاميذ راما كرشنا في سنة ١٨٦٦ -

اجتماع

دات صبايح ، انه اجتماع غير رسمي لم يكن في برنامج الدرة . ولم تكن في التمساعة الكبرى ، ولكن القضايا التي

أثيرت وتثار في الندوة خلال الفترة التي انقضت ، تأتي إلا أن تفرض نفسها فرصاً على عقول المتدربين ، فلا يستطيعوا الإفلات منها حينما التقوا وفي أي وقت أحضروا . وهكذا دارت الأحاديث حول الفكر المعاصر في الهند وفي الوطن العربي . والمجتمعون من الهنود منهم من يدين بالهندوسية . ومنهم من يدين بالإسلام ، وآخر يدين بالمسيحية . وكذلك كان بين العرب مسلمون ومسيحيون . وفي مثل هذه الاجتماعات الودية ، التي يلتقي فيها من اختلفت أديانهم ، تدور الأحاديث حول الاختلافات وتتركز على نقاط الالتقاء والتدبر . بأسلوب المتبادلة بين المذاهب والملل . ويظهر في أحداث قدر من المجاملات وتستبعد عابثاً الاعتقالات الحرجة .

وكان طبعياً أن يتألق في مثل هذه الاجتماع اسم راما كرشنا ، فإنه في تاريخ الفكر الهندي الحديث يعتبر علماً على الأخوة الدينية ، وأماماً لذهب ، له أنصار وأتباع ، يبشر بأن وراء الظواهر المختلفة للأديان جوهر واحد ، وحقيقة واحدة . أنها - أي الأديان كلها - تنتهي إلى غاية واحدة كما تنتهي الأنهار على اختلاف مجاريها إلى المحيط . وأن - المطلق - واحد وأن تعددت الأسماء بتعدد الأديان . ولم يبقَ راما كرشنا عند حدود النظر ، بل مارس ذلك تجارب حيه .

لقي راما كرشنا أحد المسلمين - واسمهم جوفندا راي - فوجداه مستغرقاً في صلواته استغراقاً ثبت له منه أن هذا المسلم في حال شهود من الله . لذلك طلب إليه أن يرشدته إلى الطريق . وعاش راما كرشنا هذه التجربة الدينية الجديدة بكل قوته . وأخذ يكرر لفظ - الله - مراراً ، ويأبى عمادة الإسلام ، وكف عن التردد إلى الهيكل الهندوسي ونسب آلهته ، فتجلى له في رؤياه بعد

سبب طوبى • وهو رئيس لدير فيه سبعمائة من  
الرهبان • وكان قوتابورى لا يجعل ببطاهر المباد  
وتقاليدها • وكان يرى أن الوسائط التى يتخذها  
المحبسون يجعلون منها آله صغيرة يتشبعون بها  
ليصلوا الى ( المطلق ) ليست الا خيالات صنعتها  
نفوس ضعيفة لا زالت فى مرحلة الإدراج ، أى  
مرحلة الفصل بين الذات الإنسانية والذات الإلهية،  
وكان راما كرشا قد اتخذ لنفسه واحدة من هذه  
الآلهة يحتف بها ويستعصر بتأييدها ويسمىها  
( الأم المقدسة ) •

وهنا يقول ربنا كرشنا نفسيه : ان الرجل  
اللباسي - يريد برتايوري - طلب مني أن اخلص  
روحي من كل العلائق ، وأن اغوص الى اعماق  
البحر ، حتى لو كان ذلك على أن اسقط ان اخترى  
تحت الأسماك والأشكال لأبلغ بروحي حالة

لقد حاولت مرات عديدة أن أركز خواطري على تعاليم الأديفينا (مذهب شيخه) ولكن صورة(الأم) كانت تحول دائما بيني وبين ذلك . فحسابيت تودوري حائلا . هذا مستحيل اننى لا أستطيع أن أصل بروحى الى حال الانطلاق لواجه الأطماس . وأجاب تودورى أمرا : بل يجب . ثم لقي نظرة فيما حوله فوجد قطعة صغيرة من زجاج فأسك بها عند طرفها الحاد بين يميني تلميذه وصاح به : ركز روحك على هذه النقطة . فطاع التلميذ . ويذكر اما كرسنا ان صورة الام المقدسة تجلت له مرة ثانية وهو فى هذا الموقف ، ولكنه استلم من لكره شيئا وقطم الصورة الى نصفين - ولما سقط هذا

أما حياة راما كرشنا بين حرب ديامته الأصبغة الهندوكية، فكار لها عنده معنى واحد وهدف واحد هو اللقاء في برهمان ، ولا يتم ذلك إلا بالمجاهدة والتأمل والتركيز الذهني حتى يبلغ الواحد - ص - بل ما يسمى في الاصطلاح الهندوسي « نريفاكليا » صمدهي ، أو الوحدة مع الله - وأنها لرحلة مثيرة تلك التي وصل فيها راما كرشنا إلى هذه الحالة - ولقد سجلها نريفاكليا عنه - كان راما كرشنا كان آمبا لا يتكلم ولا يقرأ ! - ونقلوا وصفه لها -

الحالة التي يتمتع فيها الموضوع والمحمول معا في وقت واحد . انها التجربة التي لا يبلفها الا من تعرض لصدمة عنيفة تستلب الجسد والعقل ، وتذهب بهما في سباحة روحية ، والتي فيها يتمتع الوعي ويتخفى في الور الذي يبهه . لقد ذكرت كتب الفيدنا ان هذه التجربة تترك الجسد اشيء ما يكون بالورقة الجافة الميتة . وليس يستطيع الهبوط من علوها الشاهق والعودة الى الحياة العادية الا اولئك الذين اصطلتهم العناية السماوية بأداء رسالة خاصة على الارض ، وزودتهم في سبيل ذلك بقوة سامية لينفذوا الانسانية . ان المجدد الالهى ينأى بهم .

لقد عاش راما كرشنا المراحل الثلاث في طريق الحقيقة حسب وصف الفيدنتا : حالة الازدواج العادى التي تميرها « أيها المولى » ما دمت أحس بجسدى فصلتى بك صلة العبد بسيدى ، ثم حالة الازدواج البسيط التي تميرها « أيها المولى » ما دمت أشعر بكيونى الروحانية ( جيفسا ) فأنا « جيفسا » أى معة منك . ثم حالة التوحيد ( ادفيتا ) التي تميرها « ما دمت أحس بوجود روحك المنبثقة في العالم ( اطمان ) فليس الا الوحدانية تجمعنا فأنا

أنا رسالة راما كرشنا فهي في المقام الأول مصممة الروح الانسانية من كبد المادة وأدران الجسد ، والتطلع الى المطلق حتى تتلاشى التناقضات وينمحي التعدد والازدواج ، وتصبح الكثرة وحدة ، والوجود خيرا محضا .

وما دام ( المطلق ) بغير حدود ، فمن الطبيعي ان تكون الطرق اليه أيضا بغير حدود ، ومن هنا كان موقفه الذي رأيناه من الاسلام والمسيحية وسائر الأديان .



وطال حديث المجتمعين عن راما كرشنا ، ذلك الفكر الدينى الذي يرى الحضور أنه يقوم في حياة الفكر الهندى الحديث مقام سقراط في الفكر اليونانى القديم . وأنه بعد وفاته في سنة ١٨٨٦ ترك في الهند تلاميذ من أشهرهم خليفة فيعكامندا . كما ترك سقراط لليونان تلاميذه . وما كان لحلس يذكر فيه راما كرشنا أن يتسع لذكر غيره . وان الحديث عنه ليمتد ويمتد الى غير نهاية . انه يمثل



الحجاب الأخير انطلقت روحه الى ما وراء الطواهر ، وعاب في حال ( نرفيكليا صمادى ) . وبقي راما كرشنا هكذا ثلاثة أيام في غيبوبة كاملة . وكانت هذه مفاجأة غير متوقعة لدى شيوخه توتابورى فصاح متحميا : « أيمكن أن يحرز في يوم واحد ما كلنى احرازه أربعين عاما من جهد » .

لقد وجد الشيخ ما يمكن أن يتعلمه من تلميذه . فقد كان كل ما يرجوه ان يصل بتلميذه الى حالة ( صمادى ) فقط ، أى الحالة الأولى البسيطة . فاذا تلميذه في ضربة واحدة يصل الى أعلى حالات صمادى واشتها ، وهى حالة ( نرفيكليا ) ، تلك

سجد لمة تحس معها كان الحجر قد لان تحت  
أصابع الكف وراحتها .

لقد تذكرت وأنا في القلعة الحمراء من دلهي ،  
زياراتي العديدة لقصر الحمراء في غرناطة - ما  
أشبه ما أرى الآن بما رأيت هناك ! انه ليس  
مجرد التشابه في الأسماء وفي ألوان البناء  
الخارجي أو الداخلي ، انه القصر والقلعة يعيشان  
معاً ويقوم بينهما انسجام غريب تصميمياً وفنياً  
ومنظراً . ولا استبعد أن يكون الفنان الهندي قد  
عرف الفنان الأندلسي .

ووقفت في شرفة أحد الأبراج أجعل النظر بين  
آثار الفن وبين منظر الطبيعة الخصبة المعتية التي  
تمتد خلف القصر . وأشار الى أحد الهنود نحسو  
شيء يلعب قريباً من الألق ، وقال انه نهر الكنج .  
والشرفة التي نحن فيها لا تملأ كثيراً عن  
ظهر الأرض ، والناسول الممتد بيننا وبين النهر  
قد ازدهت فيه شجيرات وأزدهم فيه نبات ...  
البحر لم أر نهراً تستطيع العين أن تتبصع مجراه  
بحر دلت راسطته . وأما رأيت ما يشبه حوضاً  
مستديراً من ماء بين الخضرة الدلكنة يبرق كالمرآة  
تحت أشعة الشمس الفارية ، كأنه عين من الأرض  
المعجب . لقد تركت الهند دون أن ألق على شاطئ  
الكنج ، رأيت على ذلك . ولكن العين اللامعة  
أنتى نظرت إليها عن بعد وقت الأصيل هزت نفسي  
هزا ، وأرسلت شعاعاً مشحوناً بالأسرار والألفاظ  
بحر قلبي فاختلج واضطرب .

وفرغنا من الزيارة مع غروب الشمس ، وعدنا  
إدراجنا الى حيث السيارة الكبيرة ، واتخذنا أماكننا  
فيها منتظرين أن يقتل المدد ويدركنا من تغلغوا  
لشراء بعض الهدايا . ونظرت فرأيت على خطوات  
من امرأة هندية تحرك يديها وتشير نحونا إشارة  
من يريد أن يعرض بعض خدماته . كانت واقفة ،  
وبين قدميها دويبة من هذه الدواب الصحراوية  
الشكل ذات أرجل قصيرة معوجة وذئبت يابس ،  
ورأس مقلع يتصل بمنق كثير المقعد انه حيوان دأكن  
اللون يجمع في خصائصه ما بين الزواحف وذوات  
الأربع ، وهو كربه الشكل سريع الحركة ، أحسب  
انه البربوع في لغة العرب . وقد ربطت المرأة هذه

تياراً في التفكير الهندي كان له رواد مسبقون ،  
وأن اختلعت المناهج ، منهم الامبراطور المغولي المسلم  
( أكبر ) الذي حكم الهند منذ أربعمئة عام مضت .  
لقد أراد الامبراطور أن يوحد أديان الهند في دين  
واحد يشتمل على جزء من كل دين . أما راماكروشنا  
الفيلسوف المتصوف ، فلم يرد توحيد الأديان ، ولم  
يكتف بفكرة التعايش السلمي بينها لصالح الحياة  
والإحياء ، فهذا أمر يسير وجد ويوجد بين البشر ،  
وانما أراد أن يعترف أهل كل دين بأن ( الحق )  
ليس مقصوراً على دينهم وحدهم . وانما ( الحق )  
قائم في كل دين ، تختلف الأسماء والمسمى واحد ،  
وتتعدد أشكال الأواني وألوانها والمسائل التي  
بدخلها واحد .

كان ذلك حديث الصباح ، أما المساء من اليوم  
بعده فكانت زيارة القلعة الحمراء وفق برنامج  
موضوع . والقلعة الحمراء من المعالم الأثرية التي  
لا بد لمن يزور دلهي أن يزورها ، وهي تقع بين  
المدينتين الجديدة والقديمة .

حرباً بنا أسبارة الكبير .  
دأرت دورة قصيرة بلغت بعدها جبهة .  
اجتازت أحد الأسوار . ونزلت على من سيرة  
وصعدنا قليلاً ، واجتازنا البنية التي  
اربع على ساريتها العلم الهندي .  
القلعة الحمراء يشغلها الجيش الهندي ، ثم سرنا الى  
مبنى طوبى انصى الى خدمه واسعه . كتب  
أرضه غشاش شديدة الحصرة ، وفأبى الى  
جوانبها بعض أشجار وشجيرات . وهناك أمام  
البصر قامت أنيسة متفرقة ذات اليمين وذات  
الشمال ، تصل ما بينها قنوات رخامية تجري  
فيها مياه صافية . والنظر يسدو أول الأمر  
غير مثير . انه أشبه من بعيد بمباني المسكرات ،  
حتى اذا دخل الداخل الى قاعات هذه المباني وتأمل  
أعدتها الرشيقة وأبوابها المفتحة الجوانب ، ونظر  
الى سقفوف غرفها ونقوش حدرانها ، رأى آيات  
رائعة من فن الزخرفة ومن التخريم الدقيق البديع  
في الرخام الناصع المصقول . وهناك مسجد صغير  
أنيق قام بجانب هذه المجموعة من القصور لا يمتع  
النظر وحده ، وانما يمتع اللبس أيضاً . انه كله  
من المرمر الثمين اليراق الذي لا تملك معه الكف  
الا أن تسابق النظر فتمتد لتلامس هذا الحجر



أخضع عنى ثيابي لأحوض فى مائه المقدس . ولكنى  
 خشيت أن يبتلعنى الماء ، وأنا لا أحسن السباحة ،  
 ونظرت إلى الماء فوجدته يتموج يتموجا غريباً  
 ويثب وثوباً ، كأنها امتلاء بكائنات حية . فزددت  
 خشيتى وتراجعت حالاً - وتلفتت خلفى فرأيت على  
 بعد خطوات مئى رجلاً شبه عار وهو مقبل على  
 ولم أكد أنظر إليه حتى عرفت أنه رامبا كرشنا(١) .  
 لم يكن ملبساً كما توقعت . وإنما كان ساهم  
 تقشى وجهه سحابة رفيقة من حزن ، ولكنه مع ذلك  
 استعبلنى بشاشة ابنهجه لها قلبى واتنسست بوجوده  
 وأحسست بالطمأنينة .

وعلمت أن أسأله عن رأيه فى الهند بهذه ومدى  
 رضاه عن الدعوة والسلام . وعن حظ ميسدته من

(١) اعتماداً على الحدث من حياة رامباكرشنا وأقاربه على :

Solange Lemaitre : Ramakrishna et la vitalité  
 de l'hindouisme.

V. S. Narayana : Moderne Indian Thought.

الشيوع والانتشار . ولكنى أحسست بحرج  
 شديد ، إذ تذكرت أن الهند التى عاش فيها رامبا  
 كرشنا قد أصبحت اليوم هنذا وباكستان وكشمير .  
 وبقيت فى حسمى وترددى لا أعرف كيف أخرج  
 منه . ولا أدري كيف أنتقل إلى موشوع آخر .  
 وبينما أنا فى حيرتى إذا بجموع هائلة من الهندوس  
 ترحف صوب النهر المقدس فى ابتهاج عظيم وروعه  
 تفوق كل تصور . وإذا الجموع تقترب صمماً وراء  
 صف من أهر . وإذا بها تخوضه خوفاً . . .  
 ونظرت إلى رامبا كرشنا فوجدت على شفتيه ابتسامة  
 حلوة مبهدة . وأحسست أن ليس لى مكان فى  
 الموضع ، فودعت رامبا كرشنا ، وساءلت نفسى :  
 أتراه كان مع هذه الجموع على موعد ؟ ورجعت  
 أدراجى عن النهر وأنا مطروق ، حتى إذا بلغت من  
 تسير مدى رجع بصرى . فوجدت المرأة الزمجة  
 تسير وحدها خلف آخر صف من الجموع . . .  
 أحد فى نده ميا . فسألتهما وابن الأسمى  
 والبروع . فابسمت ابنتهما خبيثة ماكورة ،  
 وقالت : أنهما هنالك بالمان معا فى سلام .







بقلم حمدي حافظ



الجمهورية العربية المتحدة أيما  
واسمها بأسمه الأمم المتحدة ،  
وبضرورة يمكن عبده المظهر  
الدولي من القيام بدورها

الذي لاغنى عنه ، في المحافظة على السلام والأمن  
الدوليين وتنمية التعاون بين مجتمعات دول العالم  
وشعوبه في شتى الميادين السياسية والاقتصادية  
والاجتماعية والثقافية ، على أساس الالتزام بالثاني  
التي نص عليها ميثاقها وفي إطار سليم من عالمية  
التمثيل فيها .

جمال عبد الناصر مع زعماء الاتحاد السوفيتي،  
والرئيس اليوغوسلافي جوزيب بروز تيتو ، في أثناء  
رحلة السلام التي قام بها إلى الاتحاد السوفيتي  
ويوغوسلافيا . وفي هذا الصدد ، نص البيان  
المشترك الذي صدر عن نتائج مباحثاته في موسكو  
على اصرار الجانبين على أن تشغل جمهورية الصين  
الشعبية مقعدها في الأمم المتحدة ، وأن هذه الخطوة  
ضرورية لتمكين المنظمة من أداء وظائفها في اقرار  
السلام العالمي والأمن الدولي ، ودعم التعاون بين  
الدول في إطار سليم من عالمية التمثيل . وتؤكد  
هذا المعنى مرة أخرى في البيان المشترك عن نتائج  
مباحثات الرئيسين العربي واليوغوسلافي في  
بلجراد حيث نص البيان على تأكيد الجانبين لأهمية  
تطبيق مبدأ العالمية في الأمم المتحدة ، وإيمانهما

ومنذ اعتراف حكومة الثورة بجمهورية الصين  
الشعبية في ١٦ مايو ١٩٥٦ ، أعلن الرئيس جمال  
عبد الناصر مراراً ، في مختلف المؤتمرات الدولية  
والإقليمية ، وفي خطابه التاريخي في الجمعية  
العامة للأمم المتحدة عام ١٩٦٠ ، وفي محادثاته مع  
مختلف زعماء العالم ورؤساء الدول ، أن عالمية  
التمثيل في الأمم المتحدة - وهي شرط أساسي  
لجاحها في القيام بوظائفها الرئيسية وتحصيل  
مسئولياتها الخطيرة في المحافظة على السلام الدولي -  
لا يمكن أن تتأتى إلا إذا شغلت جمهورية الصين  
الشعبية ، التي يمثل شعبها أكثر من ربع سكان  
العالم ، مقعدها في المنظمة الدولية .

وحاء آخر تأكيد لهذا الموقف في البيانين  
المشتركتين اللذين أذيعا عن نتائج مباحثات الرئيس

بوجوب شغل جمهورية الصين الشعبية لمقدمها  
في المنظمة الدولية .

ولعله من الضروري ، قبل الاستطراد في بحث  
مشكلة احتلال جمهورية الصين الشعبية لمقدمها  
في الأمم المتحدة ، واستعراض وجهات النظر المختلفة  
تجاه هذه المسألة ، وتطورات المشكلة في الأمم  
المتحدة ، أن نتبين أولا ماهية المشكلة والوضع  
الفانوني لها حتى تكون لدينا صورة واضحة  
لطبيعة المسألة ، خاصة وأن الكثيرين يخلطون بين  
حقيقة القضية بوصفها تناول احقاق الحق فيما  
يتعلق بتمثيل الصين في الأمم المتحدة ، وبين  
قول جمهورية الصين الشعبية كمضو جديد في  
المنظمة الدولية . فالصين عضو مؤسس من أعضاء  
الأمم المتحدة ، بوصفها إحدى الدول الأربع التي  
دعت الى عقد مؤتمر سان فرانسيسكو لتوقيع ميثاق  
الأمم المتحدة في ٢٥ ابريل عام ١٩٤٥ . وبهذه  
الصفة ، فهي أيضا أحد الأعضاء الحسنة الدائمين  
في مجلس الأمن ، والتي لها وحدها حق الـ  
« الفيتو » .

فمشكلة تمثيل الصين في الأمم المتحدة ،  
تختلف اختلافا بينا عن مشكلة قبولها بعد  
جديد في الأمم المتحدة . ومع هذا ، فنادرا  
ما المسألة من وجهة نظر الاشتراك الفعلي الى أعمال  
الأمم المتحدة ، نجد أن الحيلولة دون احتلال  
الصين الشعبية للمقعد المخصص للصين في الجمعية  
العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن ومختلف المجالس  
والوكالات المتخصصة التابعة للأمم المتحدة يترتب  
عليها نفس النتائج العملية كما لو لم تكن الصين  
عضوا في المنظمة الدولية . أي أن شعب الصين  
الذي يقطن الأراضي الصينية ، والذي يدين بالولاء  
لحكومة بكين يعتبر ، عمليا ، محروما من الاشتراك  
في أعمال الأمم المتحدة ما دام ممثلو حكومته  
الشرعية لا يحتلون مقاعدهم في المنظمة الدولية .  
وهو وضع لا يختلف من حيث الجوهر عن حرمان  
الصين من عضوية الأمم المتحدة

### مشكلة « التمثيل » و « العضوية » :

والواقع ، أن مشكلة التمثيل ، في المنظمة  
الدولية لا تؤلف عادة أية مصاعب إذ أن الأمم المتحدة  
قد درجت دائما على قبول الممثل الذي تعينه

الحكومة المعلقة لاية دوله من الدول الأعضاء دون  
أي اعتراض . ولا تواجه الأمم المتحدة مشكله  
« التمثيل » سوى في حالة واحدة ، عندما تكون  
هناك سلطتان في دولة واحدة من الدول الأعضاء ،  
تدعي كل منهما أنها الحكومة الشرعية لهذه  
الدولة . ولم تواجه الأمم المتحدة مثل هذه المشكلة  
في تاريخها قبل نشوء مشكلة تمثيل الصين - سوى  
مرة واحدة ، وذلك عندما اختلقت الدول الأربع  
الداعية لمؤتمر سان فرانسيسكو لتوقيع ميثاق  
المنظمة الدولية على دعوة وفد بولندا للاشتراك في  
المؤتمر حيث كانت هناك سلطتان تقول كل منهما  
أنها الحكومة الشرعية لبولندا ، وهما حكومة المنفى  
- في لندن - والتي سبق أن وقعت إعلان الأمم  
المتحدة في يناير عام ١٩٤٢ ، والحكومة التي أنشئت  
في وارسو باسم حكومة الوحدة القومية البولندية ،  
في ٢٨ يونيو عام ١٩٤٥ وكانت نتيجة الخلاف حول  
هذه المسألة أن حرمتم بولندا من الاشتراك في  
العمل ، وتم حل المشكلة فيما بعد باعتراف الدول  
بالحكومة وارسو التي قامت بعدئذ بتوقيع  
ميثاق المصدق عليه ، ودخلت في عضوية الأمم  
المتحدة . وبعد ذلك حدث فيها مثل هذا الموقف  
مرة أخرى ، عندما سورد الساعه عشر لمعمره  
« الأمم المتحدة » وعلى إعلان الجمهورية في  
الشرق ، وأورسالك وفد عنها يمثلها في الأمم المتحدة  
الامر الذي قبله الهيئة في ذلك الوقت ، حيث أقرب  
الحماية العامة طلب الحكومة الجمهورية وأزاحت  
مثل الامامة عن مكانه الذي احتله المندوب الجمهوري  
في الحال .

أما مشكلة تمثيل الصين في الأمم المتحدة ، فقد  
سبقت في يوم أول أكتوبر عام ١٩٤٩ ، عقب انصار  
الثوار الشيوعيين بقيادة ماوتسي تونغ على قوات  
الجنرال شانج كاي شيك ، وانتخاب الأخير نهائيا  
من أراضي الصين الى جزيرة فورموزا ، وإعلان قيام  
جمهورية الصين الشعبية وتأييد حكومتها المركزية  
في بكين . وفي ذلك التاريخ بحث وزير خارجية  
الحكومة المركزية ببوينة الى رئيس الجمعية العامة  
للأمم المتحدة يبلغه فيها ان الحكومة الجديدة قد قررت  
اعاد ، يرجى اعتماد المندوب الصيني لدى الأمم المتحدة  
برئاسة السيد ت . ف . تسينج ، وبذلك لم يعد  
لذلك الوفد - الذي سبق أن عينته حكومة شانج  
كاي شيك - أية صفة قانونية تميز له تمثيل الصين

الدولية وفقا لميثاق - فاذا ما تحققت الأمم المتحدة من أن الحكومة الجديدة تمارس السلطة الفعلية في أراضي الدولة المزعومة ، وأنها تمتنع طاعة عنلبه انتمت بها - وجب على جميع احرره الأمم المتحدة والولايات المنصوصة التابعة لها أن تسمح حق التمثيل للحكومة الجديدة حتى اذا امتنعت الدول الأعضاء في المنظمة عن الاعتراف بالحكومة المذكورة لأسباب سياسية .

وهكذا نجد أن مذكرة السكرتير العام للأمم المتحدة حول شرعية تمثيل حكومة جمهورية الصين الشعبية كانت قاطعة وواضحة منذ بداية النزاع في مجلس الأمن عام ١٩٤٩ . لما من أحد يستطيع الادعاء بأن حكومة شانج كاي شيك في جزيرة تايوان تمارس أية سلطات فعلية على الصين اوتتبع بطاعة شعب الصين لها أو يمكنها توجيه شعب الصين ومواردها بما يضمن الوفاء بالتزاماتها للأمم المتحدة وفقا للميثاق . ومع هذا ، فقد تمكنت أمريكا من تأخير قرار في مجلس الأمن في تمثيل حكومة بكين . بالرغم من مذكرة السكرتير العام للأمم المتحدة وتأييد كل من بريطانيا والهند جميعا الدول الثلاثة لها .

#### المشكلة أمام الجمعية العامة :

وانثرت المسألة لأول مرة في الجمعية العامة للأمم المتحدة في أثناء دورتها الخامسة في عام ١٩٥٠ عندما تقدمت بريطانيا - بتأييد عدد كبير من الدول - بمشروع قرار يقر حق حكومة بكين في التمثيل ، استنادا على ما جاء في مذكرة السكرتير العام . وقوبل هذا المشروع بمعارضة شديدة من جانب الولايات المتحدة الأمريكية . وبذل الوفد الأمريكي جهودا ضخمة لتعبئة الأصوات ضد هذا المشروع ، وأخيرا اتخذت الجمعية العامة قرارا مائلا تهربت فيه من مواجهة المشكلة ، إذ أوصى هذا القرار بأن يتم البت في مشكلة تمثيل الدول الأعضاء في ضوء أغراض ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة ، وأن تؤخذ بعين الاعتبار الظروف المحيطة بكل حالة من الحالات . وأضاف هذا القرار أن البت في مثل هذه المشكلة هو من حق الجمعية العامة للأمم المتحدة . وأن على جميع أجهزة الأمم

أو التحدث باسم الشعب الصيني في الأمم المتحدة . وأعاد وزير خارجية جمهورية الصين الشعبية تأكيد هذا الموقف في برقية أخرى بعث بها يوم ٨ يناير عام ١٩٥٠ إلى حكومات الدول الأعضاء في مجلس الأمن ، وأيد هذا الموقف مندوب السوفيتي في المجلس ، وأثيرت مناقشة حادة حول هذا الموضوع انتهت برفض المجلس امتنعاد وفد حكومة شانج كاي شيك . وتمتع مندوب السوفيتي احتجاجا على هذا القرار . وفي ذلك الوقت ، كان شانج كاي شيك قد أعلن أن حكومته - التي أطلق عليها اسم حكومة الصين الوطنية - قد اتخذت لها عاصمة مؤقتة في تايبيه بجزيرة تايوان ( فورموزا ) مدعيا أنها الحكومة الشرعية للصين ، وكانت غالبية الدول في الأمم المتحدة ، بصفة في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وجمهورية أمريكا اللاتينية ، لا زالت تعترف بشرعية حكومة شانج كاي شيك فيما عدا بريطانيا والهند التي اعترفتا بحكومة جمهورية الصين الشعبية في بكن إلى جانب دول الكتلة الشرقية .

#### الجوانب القانونية :

وعندما اسرب المسألة لأول مرة في مجلس الأمن طلب السكرتير العام للأمم المتحدة من أعضاء الدائرة أعداد مذكرة سرية عن الجوانب القانونية للمشكلة . وبشرت محتويات هذه المذكرة فيما بعد ضمن المحاضر الرسمية للدورة الخامسة لمجلس الأمن . وقد اوضحت هذه المذكرة أنه من الخطأ الربط بين مسألة التمثيل في الأمم المتحدة وبين اعتراف الدول الأعضاء أو عدم اعترافها ، بحكومة الدولة المبتلة . وأن المبدأ السليم الذي يجب تطبيقه فيما يتعلق بمسألة التمثيل هو أن تكون حكومة الدولة المبتلة هي المالكة لزام السلطة الفعلية في بلادها مما يتيح لها القدرة على الوفاء بالتزامات المفوضية في الأمم المتحدة وفق المادة الرابعة من ميثاق المنظمة . ومن ثم ، فإن الحكومة التي يجب أن تعطي بالتمثيل في الأمم المتحدة ، هي حالة ما اذا تقدمت حكومة ثورية بدعوى تمثيل الدولة بدلا من حكومة سابقة - كما هو الحال فيما يتعلق بتمثيل الصين - هي الحكومة التي ثبتت عمليا أنها في موقف تسمح باستخدام موارد الدولة وتوحده الشعب بما يحقق وفاء تلك الدولة بالتزاماتها

المتحدة ووكالاتها المتخصصة أن نلزم بقرار الجمعية العامة في هذا الشأن .. وبهذا ، انتقلت مسألة تمثيل الصين في الأمم المتحدة نهائياً من مجلس الأمن الى الجمعية العامة .

وفي خلال الأعوام الستة التالية لم يطرأ أي جديد على الموقف إذ كانت أمريكا تنجح في كل عام في تجنب إثارة الموضوع في الجمعية العامة عن طريق الاقتراع ضد ادراج المسألة في جدول أعمال الجمعية عند اعداد هذا الجدول في اللجنة الخاصة المكلفة باعداده كل عام .

وكان اعتراف مصر بحكومة جمهورية الصين الشعبية في عام ١٩٥٦ ، واعلان وفدها في الأمم المتحدة عن تأييدها لحق حكومة بكين الشرعية في احتلال مقعدها في المنظمة الدولية . مثلاً احتدى به عدد كبير من الدول الحديثة الاستقلال التي رأت في مناصرة الحق الشرعي لحكومة بكين رمزاً لتأكيد ارادتها الحرة في الميدان الدول ودليلاً على تخاضعها من التبعية لسلطان الغرب . خاصة بعد نجاح مؤتمر بانكوك الأول وتكوين حبه الدول الأفريقية الآسيوية في الأمم المتحدة .

### المجموعة الآسيوية الأفريقية فتح المسألة على الجمعية العامة :

وفي عام ١٩٥٨ ، رأت وفود الدول الآسيوية الأفريقية في الأمم المتحدة أن تقوم بمحاولة جديدة لطرح القضية للمناقشة في الجمعية العامة بالرغم من نجاح الولايات المتحدة الأمريكية لسنه الثامنة على التوالي في منع ادراجها في جدول أعمال الجمعية .

في يوم ٢٢ سبتمبر ١٩٥٨ تقدمت كل من الهند والجمهورية العربية المتحدة وبنما واندونيسيا وسيلان ونيبال وأفغانستان الى الجمعية بمشروع قرار مشترك - نيابة عن مجموعة الدول الآسيوية الأفريقية - يرفض قرار لجنة اعداد جدول الأعمال الخاص بمنع مناقشة مسألة تمثيل الصين في الجمعية العامة خلال تلك الدورة . وأثيرت مسألة حامية حول المشروع اشتركت فيها ٣٢ دولة . وقد تحدث في هذه المناقشة السيد « المرحوم » عمر لطفي ، رئيس وفد الجمهورية العربية المتحدة لدى الأمم المتحدة مؤكداً أن احتلال الصين الشعبية

للمقعد في الأمم المتحدة يعد من الخطوات الهامة والضرورية لمنع قضية الأمن والسلام الدوليين ، وتمكين المنظمة الدولية من القيام بعملياتها الخطيرة .. أيد هذا الرأي مندوبو ٢٩ دولة ، ومن بينهم أندريه جروميكو ، وزير خارجيه الاتحاد السوفيتي الذي أوضح أن هذه المشكلة المصطنعة

ما كانت لتشتغل بال الأمم المتحدة على الإطلاق لو أن الدول الأعضاء التزمت بروح ومنطق ميثاق الأمم المتحدة في هذا الصدد .. وتحدث كذلك السيد كريشنا مينون ، ممثل الهند ، مؤكداً أن رفض بحث هذه المشكلة في الجمعية العامة للأمم المتحدة يعد تحدياً صارخاً لرغبة أغلبية شعوب العالم .. كما أنه يعتبر من الأسباب المباشرة لتوتر الموقف في الشرق الأقصى وعجز الأمم المتحدة عن اتخاذ الإجراءات المناسبة لقرار السلام في هذه المنطقة الحيوية .. وأشار كريشنا مينون الى احتلال ممثل بايون للدفاع المخصصة للصين في الأمم المتحدة

في ٨ سبتمبر ١٩٥٨ ، سدى ما حسن السامح أن يرى أن خاصاً لا يمنون الشعب الصيني يحتلون في الوقت الذي يحرم فيسباً المثلث في المنطقة الدولية .. وحذر كريشنا مينون مندوبو العرب لأنهم موقفهم المتصلب تجاه هذه المسألة قائلاً أن عليهم أن يأخذوا في محل الاعتبار الأول أن مستقبل آسيا بأكملها يتوقف على استقرار الأحوال في الشرق الأقصى ، الأمر الذي لا يمكن أن ينأى إلا إذا اعترفت الدول الغربية بأهمية إسرائيل الصين في معالجة شئون تلك المنطقة داخل نطاق الأمم المتحدة .. وأن هذه المسألة - مهما طال لأمم - سوف تحل في نهاية الأمر وفقاً للحقيقة التاريخية التي لا مجال لتكرارها ، وهي أن حكومة بكين هي الحكومة الشرعية التي تمثل شعب الصين .

وإذا كان الاقتراع على مشروع القرار الآسيوي الأفريقي قد أسفر في النهاية عن رفضه ، فإن ذلك لا يقلل من أهمية هذا العمل الإيجابي حيث تمكنت مجموعة الدول الأفريقية والآسيوية ، على كل حال ، من إثارة مناقشة المسألة على نطاق واسع في

هذه الفرصة لأكرمطالبة الجمهورية العربية المتحدة بضرورة فتح باب الأمم المتحدة أمام الصين الشعبية ٠٠ إذا أن شعبنا لا يرى ، ولا يتصور أن يبقى هذا الباب موصدا أمام ربيع سكان الكرة الأرضية »

### تمثيل الصين في الأمم المتحدة ومشكلة نزع السلاح :

وفي نفس الدورة ، تحدث نيكيتا خروشوف ، رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي الى الجمعية العامة ولخص وجهة نظركومته في ضرورة تمثيل جمهورية الصين الشعبية في الأمم المتحدة ، وقال انه الى أن يحين الوقت الذي تحتل فيه الصين الشعبية مقعدها الشرعي في الأمم المتحدة لن يكون في الامكان احراز أية مفاوضات فعالة أو الوصول الى أي حل سلمي لمشكلة نزع السلاح ، وان أية اتفاقية حول نزع السلاح لا تكون الصين الشعبية طرفا فيها لا يمكن أن تكون ذات جدوى ، خاصة وأن الولايات المتحدة الأمريكية ذاتها قد أعلنت في لجنة نزع السلاح في جنيف انه لن يكون في وسع الحكومه الأمريكية تنفيذ أية اتفاقية حول نزع السلاح الا إذا وافقت عليها الصين الشعبية . ومع هذا فان الأمم المتحدة بما هي التي تسعى بكل قواها الى تحقيق نزع السلاح لمفعدها اشروع في الأمم المتحدة ، أي انها تمتع استمراريها في أية مفاوضات جدية بشأن نزع السلاح .

ومضى خروشوف يقول ان ثمة حقيقة واضحة يجب أن تواجهها الجمعية العامة وهي انه لن يكون هناك اتفاق حول نزع السلاح الا اذا اشتركت الصين الشعبية في الأمم المتحدة ، ولن تتمكن المنظمة الدولية من القيام بمسؤولياتها الكبرى التي تمثّل عليها شعوب العالم آمالها في تحقيق سلام دائم الا بمشاركة الصين الشعبية في اعمالها .

وفي يوم ٨ أكتوبر ١٩٦٠ تقدم ممثل كوبا في الجمعية العامة باقتراح ادراج مسألة تمثيل الصين في أعمال الجمعية ، وبعد مناقشات طويلة اشترك فيها عدد كبير من رؤساء الوفود ، رفض الاقتراح بأغلبية ٤٢ صوتا ضد ٣٤ صوتا وامتناع ٢٢ دولة عن التصويت . ورغم هذا النجاح الظاهري للدبلوماسية الأمريكية الا انه بدا واضحا من تضال

الجمعية العامة لأول مرة ، وبذلك تغلبت على التكتيك المهود الذي ابعده الوفد الأمريكي في السنوات السابقة يمنع ادراج المسألة في جدول أعمال الجمعية العامة تجنباً لاثارة المناقشات لحدية حولها .

وفي الدورة الرابعة عشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة في عام ١٩٥٩ ، تقدمت الهند ، باسم مجموعة الدول الآسيوية والأفريقية ، بطلب الى لجنة اعداد جدول الأعمال بادراج مسألة تمثيل الصين في أعمال تلك الدورة ، ورفض هذا الطلب بأغلبية ١٢ صوتا ضد ٧ أصوات ، وامتنع عن واحد عن الاقتراع .

### الرئيس عبد الناصر يعهدد مؤلف ج.ع.٠ في الأمم المتحدة :

اما دورة الجمعية العامة الخامسة عشرة - في عام ١٩٦٠ ، فقد كانت من أهم الدورات في تاريخ المنظمة الدولية ، اذ كان التناقض بين الشرق والغرب قد وصل الى حد يهدد الحضر الدائم ، عقب فشل مؤتمر باريس ، سحب نيكيتا خروشوف رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي من المؤتمر بسبب حادث اسقاط طائرة امريكية في ٢٠ - ٢١ ، في اراضي الاتحاد السوفيتي . وقرر اقطاب دول عدم الانحياز حفسور تلك الدورة شخصيا والعمل على تخفيف حدة التوتر وتجنب البشرية أخطار الحرب المهددة . وقام الرئيس جمال عبد الناصر برحلته التاريخية الى نيويورك والتي خلالها الشهير في الجمعية العامة للأمم المتحدة ، والذي عرض فيه بصراحة ووضوح موقف الجمهورية العربية المتحدة تجاه مخاض المشاكل الدولية - ومن بينها مشكلة تمثيل الصين في الأمم المتحدة .

وفي هذا الصدد ، قال الرئيس جمال عبد الناصر : ان الجمهورية العربية المتحدة ليجعلها الأمل في مزيد من المشاركة الفاعلة في الأمم المتحدة بحيث تكون ابوابها مفتوحة أمام جميع الشعوب دون تحيز أو تعصب ، ودون عوائق أو عقبات ، بحيث يكون المسير الحر العاقل هو الصمدى الحقيقي لأمانى الشعوب والميزان الدقيق لاحتياجاتها بمسؤولياتها كاعضاء في المجتمع الدولي . . لهذا ، فليس ادري

أو « دولتي الصين » في المظلة الدولية، الأمر الذي يعد بمثابة اعتراف ضمني، أو اعتراف رسمي من جانب الولايات المتحدة الأمريكية بمبدأ التقسيم. وذلك يؤلف بالتالي، تراجعا عن السياسة التقليدية التي التزمت بها الحكومة الأمريكية منذ نهج سياسة الحرب العالمية الثانية إزاء الصين، والتي تخلص في عدم الاعتراف بأن الحكم الشيوعي في الصين له صفة الدوام. إذ أن التراجع عن هذه السياسة سوف يحدث أثرا سيئا للغاية في الدول المقيمة الأخرى مثل فيتنام وكوريا وألمانيا.

٤ - أن الأمم المتحدة، بعد أن أصبح كيانها مهددا بسبب المناورات العنيفة التي تقوم بها حكومة الاتحاد السوفييتي داخل المنطقة سوف تفقد كل قدرتها على العمل وعلى تحمل مسئولياتها تجاه المحافظة على السلام العالمي والأمن الدولي، إذا تمكنت الصين الشعبية من الفوز بعصويتها.

٥ - هي الدوافع التي تضمنها تقرير مجلس الأمن في ١٩٦١، وجرس الأمريكي في عمام ١٩٦١، والذي جرس في صولها قرارا مشتركا بحث حكومة الأمريكية على بذل قصارى جهدها لحماية الأمن في دول الصديقة، لنحب منظمة الصحة العالمية للامم المتحدة.

## ادراج المسألة لأول مرة في جدول أعمال الجمعية العامة :

وعلى الرغم مما بذلته الحكومة الأمريكية من جهود في هذا السبيل إلا أن انضمام الدول الأفريقية الحديثة الاستقلال إلى الأمم المتحدة، منذ عمام ١٩٦٠، كان من العوامل الإيجابية التي دعمت جبهة الدول الأنرو - آسيوية في المنظمة، وأقعد أمريكا قدرتها على المناورة في لجنة اعداد جدول أعمال الجمعية العامة. ولذلك، تمكنت اللجنة في مستهل الدورة السابعة عشرة في عام ١٩٦٢ من ادراج مسألة تمثيل الصين الشعبية في جدول أعمال الجمعية العامة، بعد أن فشلت أمريكا - لأول مرة منذ ١٢ عماما - في الحصول على الأغلبية المطلقة للأصوات في اللجنة.

وتقدم الوفد السوفييتي في الجمعية العامة بشروع قرار يقضي بإبعاد وفد حكومة فورموزا عن المقاعد المخصصة للصين في مختلف أجهزة الأمم

نسبة المؤيدين لها في هذا الاقتراح أن مسألة تمثيل الصين سوف تفرض نفسها كمشكلة هامة وملحة في أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة في الدورات المقبلة.

## وجهة النظر الأمريكية :

وفي مواجهة القوة المتزايدة التي أصبحت تتمتع بها مجموعة الدول الأنرو - آسيوية، والدول المنحرة في الأمم المتحدة، الأمر الذي بدأ يشكل تهديدا واقعا لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية الرامية إلى مع الصين الشعبية من احتلال مقعدها في الأمم المتحدة بحيث أصبح من المتعذر على أمريكا الاستمرار في منع إثارة الموضوع في الجمعية العامة في دوراتها المقبلة. اجتمع مجلس الأمن الأمريكي في ١٨ يونيو عام ١٩٦١ - أي قبل انعقاد الدورة السادسة عشرة للجمعية العامة - وأعيد تقريرا خاصا عن المسألة، من وجهة النظر الأمريكية، طالب به الكونغرس الأمريكي.

بحث الحكومة الأمريكية على التمسك بموقعها وبذل أقصى الجهود الممكنة للحيولة دون احتلال الصين الشعبية لمقعدها في الأمم المتحدة، كما أن مجلس الأمن الأمريكي، في نقاش أربع، نودها جميعا إلى، يحصل علانها :

١ - أن مركز الولايات المتحدة الاستراتيجية الشرق الأقصى سوف يضر ضررا لا سبيل لصلاحه بتمثيل الصين في الأمم المتحدة، خاصة بصدد النكسة التي منيت بها أمريكا نتيجة لانتصار الشيوعيين في لاوس.

٢ - أن المركز المعنوي الذي تتمتع به أمريكا بوصفها زعيمة عدد من الأحلاف الحيوية في العالم الحر، سوف يتحطم إذا عجزت الحكومة الأمريكية عن منح تأييدها غير المحدود لعلقتها المخلصة حكومة الصين الوطنية.

٣ - يجب على الولايات المتحدة الأمريكية أن تتجنب، بكل وسيلة ممكنة، الانزلاق إلى مناقشات في الجمعية العامة حول تمثيل الصين الشعبية في الأمم المتحدة، وذلك خشية أن تضطر، تحت ضغط المناورات، إلى قبول فكرة تمثيل «حكومة الصين»

السوفييتي في التصويت نظرا لامتناع الحكومة  
السوفييتية عن دمج حصتها في مصروفات قوات  
الامم المتحدة في الكونغو وغيرها .

ول كرت شعوب العالم تعلق اهمية خاصة على  
الدورة العشرين العالية للجمعية العامة للامم  
المحدة ، والتي بدأت يوم ٢٦ سبتمبر ، فقصيد  
اتجهت الانظار الى ما سيحدثه رؤساء الدول  
الاعضاء في هذا الموضوع الهام الخطير .

ولقد اعرّب الرئيس جمال عبد الناصر وحوريب  
برود تيتو مؤخرا في بيانها المشترك الأخير الذي  
صدر بتاريخ ٤ سبتمبر سنة ١٩٦٥ عن ايمانهم  
بان هذه الدورة تقدم فرصا للتوصل إلى تفهيم  
الحية السلام ان تسعدها لتتكون المنظمة الدولية  
من ممارسه اعمالها بصورة اكثر فاعلية في سبيل  
القيام بمسئولياتها الكبرى من اجل المحافظة على  
سلام العالم وتممه التعاون الدولي .

ونعرا لان تطبيق مبدأ عالمية التمثيل يعد من اهم  
عوامل زيادة فعالية المنظمة فقد نصحت  
مجموعة من الدول من بينها الجيسرائر وزورودى  
وفيمبودي والكونغو برازافيل وكوبا وغانا وغينيا  
وسالي وزوجا على ان يطلب رسمى لىظر مسألة تمثيل  
الصين الشعبية في هذه الدورة . . ويصعب في  
الوقت الحاضر التكهين بنجاح الاقتراح حول هذا  
الطلب في الدورة العشرين ، خاصة وان هذه هي  
المره الاولى التي سوف يتم فيها الاقتراح حول هذا  
الموضوع منذ اعتراف فرنسا بالصين الشعبية .

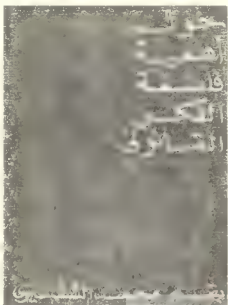
على ان موقف الجمهورية العربية المتحدة في هذه  
المسألة حدد . . وقد رده ايضا السيد محمود  
زياى وزير الخارجية ورئيس وفد الجمهورية  
العربية المتحدة في الدورة الحالية . مطالب في  
اصرار بقول الصين الشعبية عسوا في المنظمة  
العالمية دون لقاء البال الى مايلعبه خصوم الصين من  
انها عامل من عوامل عدم استقرار السلام الدولي .

ولا شك ان قرار الهيئه المرتقب سوف يعنى هذا  
الادعاء ويجلس الصين في مقعدها الذى كان يجب  
ان يحس فيه من زمن .

المسلحة ووكالاتها المتخصصة ، على ان يحل محله  
وفد حكومة بكين . بوصفه الممثل الشرعى والفعل  
لشعب الصين . . وبدأ واضحا في صوه ماحدث  
في لجنة اعداد جدول الاعمال - أنه لو تم الاقتراح  
على مشروع القرار السوفييتي بوصفه يتناول مسألة  
تعلق بالاجراءات - مثلما هو الحال في شمسبان  
الطلبات التي تقدمت بها مختلف الدول الجديدة  
الاستقلال للانضمام للامم المتحدة - لفاز المشروع  
بالاعنية المطلقة المطلوبة في هذه الحالة . وفقضا  
لتمشاق . . وذلك لحاج امريكا الى منورة جديدة  
لجلبولة دون الوصول الى هذه النتيجة المحتمنة ،  
اذ تقدم الوفد الأمريكي ، بالاشتراك مع وفود من  
اسرائيل وكولومبيا وايطاليا واليابان ، بمشروع  
قرار آخر يقضى باعتبار مسألة تمثيل الصين  
الشعبية من المسائل الهامة ، وبذلك لا يمكن  
الموافقة عليها الا بأغلبية ثلثي الأصوات وفقا للمادة  
التامة عشرة من الميثاق ، وواقف الجميع على  
مشروع القرار الأمريكي رغم المعارضة الشديدة اى  
واجهها من جانب الاتحاد السوفييتي ودول الكتلة  
الشريرة والدول الامر - تسببه . . .  
ذلك تجديد مسألة قبول الصين الشعبية في الامم  
المحدة مرة اخرى بسبب صغر - الحصول على  
. . . . . ثلثي عدد اعضاء الجمعية العامة . . . . .  
يرى الى اراحة وفد حكومة فورمورا واحلال وفد  
الصين الشعبية محله في المنظمة الدولية .

وتكرر نفس الموقف في دورة الجمعية العامة  
التامة عشرة في عام ١٩٦٣ اذ تعمدت الامم  
وكيمبودا بمشروع قرار مشترك يقضى . . .  
حق الصين الشعبية في التمثيل في الامم المحدة  
وازاحة وفد حكومة تايوان . . . . . ورفض المشروع  
بأغلبية ٥٧ صوتا ضد ٤١ صوتا وامتناع ١٢ عضوا  
عن التصويت .

وفي الدورة التاسعة عشرة ، في عام ١٩٦٤ كانت  
الامال مفعودة على ان يؤدي اعتراف فرنسا بحكومة  
الصين الشعبية في ذلك العام الى تغيير محسوس  
في نسبة عدد المقترعين لصالح تمثيل الصين  
الشعبية في الامم المتحدة غير ان الموضوع لم يعرض  
على الجمعية العامة في تلك الدورة بسبب الامة  
الحادة الى انارتها امريكا حول حق الاتحاد



لنعد

الى الوراء . الى ذلك العهد الذي قرر فيه الحدو اسماعيل وحاشيه من المعاء

قصر هانيق الشريع الاسلامي على مسائل الاحوال المحصيه واصدار قوانين اعليه مقتبسة من قانون نابليون الفرنسي . اى الى العترة ما بين عام ١٨٧١ و١٨٨٢ . وكان الشريع الاسلامي في هذه الحقبة

محاولات فرديه لتجديد مثل محاولات الامام محمد عبده

في حاله يرئى لها من الانهيار والجمود . على هذا الانهيار والجمود السياسية في الاستقلال عن صدور القوانين المدني الاهلي في سنة ١٨٨٣ .

كله من القانون الفرنسي . واستقر الحال كذلك فظلمنا امدا طويلا نقتبس من القوانين الاجيبه سواء اكانت فرسية ام المانية ام بلجيكية . دون نظر الى جوهر هذه القوانين او الى تاريخها او اسسها الفلسفي .

وما من شك في ان المشرعين لم يلمعنوا اطلاقا الى المذاهب الفلسفيه التي ارتككت اليها القوانين المقتبسة . اى قالوا الشكل واعقلوا الجوهر وبمخصص ذلك عن امتداد اجيال طويلة من القانونيين في مصر ان لغة القانون ومصطلحاته لغة جامعه مائعة لا سبيل الى التشكك فيها ، وان تقسيم الحقوق مثلا الى حقوق عيبية وحقوق شخصية بعد تقسيما صالحا لكل زمان ومكان . وان لكل فرد ارادة وسلطة ، اذا تصرف تحت حمايه القانون الى شيء امسحت حقا على هذا الشيء ، او اذا انصرف الى شخص في علاقة مدبوبة مثلا كونت ما نسميه بالحق الشخصي .

يجب لما فرغه بعض . قد عرفنا ان فلسفته تنبع من عدة . ارسطو على الاخص . وسفات حديثه يمثلها هوبز مذهب القانون الطبيعي التي . ومعمار بوربوس وودروف . هذه اعلمت بها حارس . ولكننا لم نشعر به كما شعر به النقاد الاوربيون الذين ادركوا ضرورة واقع فلسفتهم القابضة مع نشرها . وادركوا ان النبل عثرنا الى القانون ما اختلاف . هان المطرانان هما نظارة ارسطو . هذه في سرته الى اقامون على الغاية الاخلاصية لكل نظام سياسي او اجتماعي او قانوني . ففى رايه ان الله قد خلق هذا الوجود بطريقة . مرتبه . ولكل شيء ولكل اساس في هذا الكل مكان خلاصه معه . ولكل شيء مركز معين يتفق مع طبيعة المكان والزمان الذي وجد فيه . ولو توصل العقل البشري . ولو الى حد ما ، الى معرفه كيبه تنظيم هذه المراكز لتوصل الانسان الى اقصى درجات



الحديثة ، بعد تمام العقد الاجتماعي ، يتكون من مجموعة ارادات هي : ارادة الله في قانونه الطبيعي ، و ارادة الافراد في حالة ما قبل الدولة ، و ارادة سلطان الشرع ، ثم الارادات الحرة للمحكومين ، و تمخض ذلك عن ظهور نظرية في القانون العام ، و اخرى في القانون الخاص .

ففي القانون العام ، كانت نقطة البداية بطبيعة الحال هي الحرية الفطرية للانسان . انها حرية بحتة ، لا وجود فيها لاي خضوع ، او اية علاقة بين حاكم ومحكوم . وما دام الانسان حرا ، فان تكون اية دولة او ساطة شرعية الا في حالة حدوث موافقة سابقة ، ولم يتردد لوك في سبيل تسليم هذه الفكرة الجهورية في الاجواء الى اجرا انواع الخيال والوهم . اذ ذكر ان الانسان الاول قد عقد عقدا اجتماعيا نسي بمرور الزمان . والافراد لم يكونوا الدولة الا لفرض واحد هو المحافظة على وجودهم وزيادة سعادتهم الفردية . **بمعنى** لا يتنازلوا عن حريتهم للدولة . وكل ما حدث «و سار» عن جانب يسر منها ، يمكنهم من المحافظة على حديق الفردية . بمعية الدولة **المحافظة** هي المحافظة الوليسية على حقوق **المحافظ** L'Etat gendarm . وترتب على ذلك هامة اهمها عدم اختصاص السلطة بامانة اية عدالة توزيعية لان قانون الحرية الطبيعية فيه الكفاية ، وعدم التوازن في توزيع الدخل لا يخص السلطان من قريب او بعيد .

واهم ما اسفر عنه ذلك هو بناء دستوري كامل اعتمد على هذا الاساس الفردي ، الذي اعترف بحق السيادة الشعبية لمجموع الافراد الاحرار الذين لم يتنازلوا من حريتهم الا من جزء يسير . وما حدث في الحقيقة هو انتقال السلطة الى ممثلي الاغلبية من اصحاب الملكية ، و تمتعهم وحدهم بحق اتخاذ القرارات السياسية التي تمثلت في فرض رقابة على السلطة التنفيذية ، وعدم تمكنها من فرض اية ضرائب الا بوافقة نواب الامة ، الى غير ذلك من المبادئ التي سادت العصر الفردي الحديث ، في انجلترا تحت اسم الملكية الدستورية ، وفي فرنسا ظهر اثرها في الثورة الفرنسية و اعلان حقوق الانسان ١٧٨٩ .

ومن ناحية القانون الخاص ، كانت اهم نتائج هذه الفلسفة الجديدة ، انفصال قانون العمام

فالانسان قد وجد في البداية مجردا عن كل حياة اجتماعية منظمة . خلق حرا ، وحرته تمثل في ارادته وقوة سلطانه . وهي حرية مطلقة او شبه مطلقة لا يقيد بها شيء الا قانون طبيعي او الهى يامر به بالحفاظة على ذاته ، وبالبحت عن سعادته ومراساة الآخرين وهم يسلكون نفس المسلك بحثا عن اشباع رغباتهم ولذتهم . واله لوك اله بورجوازي طيب ، لم يخلق الخلق في نظم اجتماعية تتضمن واجبات وامتيازات تتفق مع العدالة التوزيعية حسب ظروف كل فرد ومكانته . انه اله الحرية المطلقة . اله سلطان الارادة غير المقيدة ، التي لا تخضع في فطرتها الا لقيود واحد هو البحث عن المنفعة والمحافظة على الذات .

ومن اهم ما جاءت به نظرية « لوك » هو نظريته الى الحق ... اذ ذكر « لوك » ان سلطان الفرد المطلق على نفسه ، وعلى ما يقع عليه يده ، هو الاساس الذي بنى عليه حقه . فالحق اذن ليس المركز ، والعمل لم يعد يتمثل في ميزان تتوازن كفتاه ، كما كان الحال عند ارسطو ، بل اصبح الحق هو الحرية . وحق استغلال كل فرد لما يحقق سعادته وملكه . ومن ثم اصبحت فكرة الحرية هم ساس كل شيء . انها حرية غير مقيدة ولا مشروطة . ... **بمعنى** اي واجب غير البحث عن قمة السعادة والمنفعة ، ويستبدل لوك فري ان حالة الاساس الفطرية لا يمكن ان تدوم ، اذ قد تصطدم ارادات الافراد ، اي سلطانهم في استعمال حقوقهم . ولذا فتمنا للدمار والتخريب او حتى للمحافظة على الحرية التي خلقها الله لنا ، رات الجماعات عمل عقد اجتماعي تعين بمقتضاه حاكما يلتزم بمراعاة الحقوق الفطرية للانسان ( الحق المطلق في الحرية وفي الملكية وفي المساواة ) . وبذلك أصبحت دعامة الدولة البورجوازية ما يسميه علماء الغرب « نظرية المحافظة على الحقوق الذاتية للفرد » Les droits subjectifs de l'individu

معنى هذا ان الفرد قد اصبح نقطة البداية ، وان سعادته المطلقة قد أصبحت من الآن فصاعدا هدف كل تشريع . واهم شرط لهذه المنفعة هو استتباب الامن وترك الحرية بلا تقييد . وبذلك يكون لوك قد ساعد على تثبيت الوضعية القانونية بمعناها الاول . اذ اصبح المجتمع في الدولة

القوانين وتعيم الحدود ، حتى حد الموت نفسه ، من أجل المحافظة على الملكية . وأول عمل لها هو إقامة القضاء والنظام وتشريع القوانين المدنية على أسس الحرية والمساواة والعدل ( وهو ما يعني عنده الحرية في امتلاك الأشياء المتعلقة بهذه الحياة ، أما الظلم فعني عنده انكار المساواة ، وحرمان الأفراد من ثرواتهم نتيجة عملهم ومجهودهم لذلك وإدخالهم ) .

من هذا يتضح مدى اختلاف هذه النظرية الحديثة عن نظرية أرسطو ، والنظرية الإسلامية في التشريع وغيرها من النظريات التي لا تفترض حالة فطرة أولى أو حرية وملكية مطلقة ، فالأساس عندها هو أن لا وجود لمجتمع يعبر عدالة توزيعية وتنظيم جماعي سليم .

غير خفى أننا قد نقلنا عن فلسفة الحق العردي بشير أن نفري وابتمدنا عن نظرية أرسطو والنظرية الإسلامية ، بل لقد حورنا هذه النظرية الإسلامية

المسألة

بعد ذلك للتعلم في تقسّد نظرية  
في كثير من الأحيان بعير  
الاحسان وساطهم وقدراتهم !

لما هما هنا هو تقرّر صلة النظم القانونية والمبادئ العامة أو القيم الحيوية الأولى التي تقوم عليها هذه النظم ، وضرورة العمل على توافقهما عند وضع أي قانون ، وما من شك في أن المشرعين في الخارج قد أدركوا هذا التوافق . ولهذا تتجه دراساتهم التقديرية دائماً إلى القضاء على كل تمارض قائم في الأسس الفلسفية التي اعتمدت عليها قوانينهم وتشريعاتهم . وتبدأ هذه الدراسات في جامعاتهم ومعاهدهم التي ندر أن خلت منهاهجنا من دراسات لفلسفة الفكر القانوني وتاريخه ، كما ندر خلو مقدمات قوانينهم من إشارات إلى الأسس الفلسفية التي استندت إليها هذه القوانين . أما نحن فقد بقلنا في الماضي بعير تعمق واستقصاء وحاولتسنا التلعيق بين أسس متصاربة ومعارضة .

وبعد ثورة سنة ١٩٥٢ - وبعد ظهور الميثاق الذي نهنا إلى ضرورة إعادة دراسة مناهج التعليم

عن القانون الخاص ، والقانون العام - يخضع - كما رأينا - لتنظيم الدولة وفقاً للأسس التي دكرناها . أما القانون الخاص ، فلا علاقة الدولة به ، إلا من ناحية استثنائية لأغراض التنظيم . والقانون الخاص ثابت لا يتغير ، فهو امتداد لسلطان الحقوق الطبيعية ، وأهم حق في هذه الحقوق طبيعة الحال هو حق الملكية . وتسم لوك حالة الطبيعة الأولى أو الفطرة إلى تقريبن : العنرة الأولى ، وهي فترة ما قبل اختراع النقود ، كان الناس فيها سعداء عددهم قليل ، ومصادر الثروة متوافرة وليست لها في حد ذاتها أية قيمة غير قيمة العمل الذي يبذل فيها . فعلاك الحقل له حق شرعي قد جاء نتيجة عمله في هذا الحقل ، ومالك المين يتمتع بحق في هذه الملكية نتيجة جهده الذي بذله في المين . وهذا الحق مقيد بثلاثة قيود هي أن لا ملكية بعير جهد شخصي ، ولا ملكية أكثر مما يستطيع الفرد أن يستهلك ، وحتى مطابق في هذه الحدود للتملك والاستعمال . أي تحريم الآخرين من الاعتداء على حق العير في التملك . وبعد اختراع النقود ، تغير الأمر بعد زيادة عدد الأفراد ونقص موارد الطبيعة ، قيمة العمل تقوم بالنقود . والقدرة على الإنتاج من السعادة والتمتع والعمل . م . قيمة ، ما عليها من دحر قيمة أعمالهم . فمعنى هذا هو جمعهم ، وأن يرد من ملكية ، دون مراعاة لحقوق الغير . فلكل استعمال عقله ودكانه بعينه المحافظة على ذاته ونسله . وزيادة الملكية الفردية تؤدي طبيعة الحال إلى نقص في موارد الآخرين . ومن حقنا الطبيعي في هذه الحالة أن نستعملهم عمالاً أو خدماً ، وكان ذلك جزاء لقلّة ذكائهم أو خبثهم في جمع الثروات . وقد أباح جون لوك حق جمع الثروة هذا إلى حد تكوين أكبر أنواع الاحتكارات . والعمل والخدم لهم حق طبيعي في الحرية والتمتع والملكية كالأغنياء سواء بسواء . لأن الإنسان ولد حراً . ولكن القانون الطبيعي قد أعطى الأذكيا نتيجة عملهم وعاقب المتقاعسين والكسالى على كساحهم وغبائهم .

والغريب أن لوك قد اعتبر حالة العنرة هذه حالة سعيدة لا ينقصها الا نظام قضائي عادل ( بالمعنى العردي للعدالة ) يتحقق عندما تظهر الحكومة التي يعرفها بأنها السلطة التي تعمل

بحث حكم الديمقراطية الرجعية . فان الرجعية الحاكمة كان لا بد لها ان تفتش الى سيطرة المعايير المبررة عن مصالحها ، ومن ثم انكسرت آثار ذلك على نظم العلم ومناهجه . واصبحت لا تسمح الا بشعارات الاستسلام والخضوع . . . والثورة العربية - وهي تواجه هذا العالم - لا بد لها ان تواجه بعكر جديد لا يحبس نفسه في نظريات مفاقة يقيدها طاقته . وان كان في الوقت نفسه لا ينمزل عن التحارب الفنية التي حصلت فيها الشعوب المتأصلة بكمالها . . . وما يدل لهم في المناهج التقليدية لدراسة القانون « بان العقد شرعية المتعاقدين وان الحقوق تنقسم الى حقوق مادية عينية واخرى فردية شخصية ، وانها في جوهرها سلطة لشخص على شيء » .

وينبغي ان يكون التغير في المناهج مصحوبا بتغير في موضوعات الابحاث التي تجرى في دراساتنا العليا سواء كان ذلك بالجمهورية المتحدة ام في البعثات الخارجية . فكم اود ان درأ رسائل في الصلة بين القانون والأخلاق ، والا نسير وراء الفلسفة الحديثة التي تعمل على فصلها عن القيم الأخلاقية . . . اذ الحق انه من غير ممكن ان يكون القانون الدولي العام ومصطلحاته ، بعد ان كانت لها روح العودة للناس في اعمال نظريات وآراء فيه .

وإذا كانت قوانين السابقة قد حاولت مسح الدين بان أرجعته الى أسس فلسفية غريبة عنه بمسدة عن اتجاهه ، فمن واجبنا ان نصحح ذلك ، فلا نسي الى الاسلام دين عقل ودين مسئولية . وبعد ان حدثت ثورة في نظم الاثر والمعاهد الدينية اصبح الواجب ببحث كذلك أحداث ثورة في مناهج هذه المعاهد . ولا أقل من استحداث اقسام خاصة لدراسة مقارنة لتاريخ علم الاخلاق والتشريع الاسلامي وفلسفته .

هذه افكر لا أعتقد انها لم تمر بخاطر الكثيرين ، وعلى الأخص عندما يشعرون بالحنين الى اوطانهم فيرون أنفسهم منساقين - حتى عندما تكون الدراسة خاصة بمسائل بعيدة عن احوال الوطن - الى تأمل ما يحدث في بلادهم ، ومقارنته بما يقرأون او يدرسون .

في جميع الفروع لكي يكون هدفها هو تمكين الانسان الفرد من القدرة على اعادة تشكيل الحياة . كما حدثنا على اعادة صياغة القوانين لتخدم العلاقات الاجتماعية الجديدة التي تقيمها الديمقراطية السياسية تمهيدا عن الديمقراطية الاجتماعية - قد اصبحنا مطالبين بطوير دراساتنا الجامعية حتى نوافق مع روحنا الثورية الجديدة . نعم لقد اصبحنا مطالبين باعادة النظر في كل قوانيننا ابتداء من الاعاظ المستخدمة في هذه القوانين - فمن الواجب ان يراجع كلمات : ملكية وحقوق وعقد والنزاع ، اي كل الاعاظ القانونية التي عبرت عن نزعة فردية مطلقة قائمة على فلسفة « ملكي » و « ملكك » و « ارادتي » و « وارادتك » فمن الواجب ان نترك ان هذه المصطلحات قد نقلت من قوانين اخرى وبينت الدراسة التاريخية تغير مفهوم هذه المصطلحات وابتعادها عن جوهر فلسفتها الاولى . ولذا علينا الاستعاضة عن هذه الاعاظ بلغة جديدة تتفق مع قيم الحديثة المنحمة الى انشاء عدالة اجتماعية .

وهذه مهام لن يستطيع الاضطلاع بها الا جماعة بورية من العلماء ، فليست في مقدور الفكر العائلي ومارجه .

وإذا جازي ذكر بعض « زوايا » من الاهتمام اليها في أثناء دراسي هذا الموضوع في الخارج - وارجو ألا يفهم من لاشارة اليها أنني أقصد عرض نظرية كاملة عما ينبغي ان يكون عليه قانوننا في عهد الثورة . فهذا عمل شاق يحتاج الى مجهود جماعات كثيرة . ونحن ان تتبعه عدة خطوات لعل أهمها هو العناية بدراسة فلسفة الفكر القانوني ، والا نكتفى بالاشارات القليلة التي قد تجيء متضمنة في بعض مناهج الكليات النظرية المختلفة .

وغنى عن البيان ان الاهتمام بهذه التوجيهات سيؤدي الى اعادة تنظيم جميع المناهج المتبعة في دروس القانون كافة ، كما سيؤدي الى أحداث توافق بين جوانب متعددة ، بينها تعارض ظاهر . وان كرس بصر على عور بمجرد أي تأمل بسيط . إلا يبدو هناك تعارض واضح بين ما يقال للطلبة نقلا عن الميثاق « بتعرض حرية العلم التي كان في معسرهما أن تمتنع طاقات جديدة للأمل لنفس العيب

# الكاف

قصيدة للشاعر فؤاد بدوي



بصوه المحزون  
كانها ينوء بالحكاية  
بصورة الذي يجيء من بعيد  
كانها تدهو مسيرة طويلة  
عبر المسافات البعيدة  
سمعت صاحبي يقص لي حكايته  
يلقى بها كأنها عن آخر قريب  
سمعته يقول  
وعشت طارفا معبرا غريبا  
وليس بينكم وبين قلبي المحب من نسب  
سوى تعشق الإنسان والكلام  
لم أكتب اسمي مرة بأحرف دقيقة  
من أجل أن تختال في البطافة الانيقة  
دوما أقول من أنا بكبرياء  
قد ضل سعي منذ أول الزمان  
أسائل الأيام عن مناعة الميون  
لم أنم  
كم ردتني الطريق فارغ اليدين  
ودائما يفوتني القطار  
قيل لحظة السفر  
يفوتني مع اللهاث والنسب



وكم شربت من صقيع الليل نار  
 وكم اذابني الهجير في النهار  
 الليل ينسج الابنن والاول  
 كل الذي في الكف خافى كسير  
 بنوح الغنسات  
 لم تعطني الايام يوما ما اريد  
 كل الذي اريد  
 ان اعرف الامان  
 الابتسام  
 لو ان لمسة من العنان  
 تسكن السواد  
 اخرجت قلبي للصديق  
 قال ليس في مكان

# فلسفة العقل

عند هيجل

بقلم الدكتور زكريا ابراهيم

الذي نسمي الكثير من الجمال الطبيعي ، لأنه خلقه من  
شأن العمل البشري و الروح الإنسانية ، ولما كانت الروح  
- في رأي هيجل - أسمى من المادة ، فإن كل ما يصدر عن  
الروح لابد أن يكون أسمى مما يوجد في الطبيعة ، بل أن  
يمرأ فكرة تظهر على نال ذلك إنسان ، هي أفضل وأسمى بكثير  
من أعلام أساج طبيعي ، بل أن لها مصدر عن الفكر ، ونشأته  
في الروح - في رأي هيجل - أسمى من  
الروح - نفس إلى حد أبعد من ذلك فيقول أن  
الروح لا تخرج من كونه مجرد انعكاس لروح ، وإنما  
ملاك الشيء لا تكون جميعاً إلا بقدر ما يشارك في الروح ، وإنما  
لذلك فإن هيجل يبرز في موضوع علم الجمال أيضاً هو تلك  
المعتقدات القديمة التي جعلها الروح (البشرية) من غير عن ذاتها  
في العالم الخارجي ، وواضح من هذا التعريف أن علم الجمال  
- في نظر هيجل - ليس علماً كونياً Cosmologique  
بل هو علم إنساني science humaine أو هو  
على حد تعبيره علم من « علوم الروح » .

ولكننا بمجرد ما سمعنا عن علم يدرس « الجمال » ، فأننا  
سرعان ما نبتغي أن « الجمال » ظاهرة عامة تتدخل في معظم  
ظروف حياتنا ، بحيث أننا لنستكاد لننتهي إلى كل مكان  
وحديثنا أن نقود إلى تاريخ البشرية إلى نتحقق من أن  
« الجمال » قد وجد في كل زمان ومكان ، وأنه قد كان دائماً  
وثيق الصلة بكل من « الدين » و « الفلسفة » ، والحق أن  
الإنسان قد استعان دائماً بالثمن من أجل التمييز بين أسمى  
افكاره وأرفع اهتماماته الروحية ، وهكذا جاءت النحسبات  
التي منازية لتجليل حياة لأنفسهم وصلت إليه قصوى  
التعبير المختلفة ، كما كان « الفن » دائماً أبداً بمثابة أداة  
فضالة لتحقيق عملية « تقوية الروحية » لدى القسيمات  
المعددة ، وأن نظرة واحدة بانها المرء على الإنشغال الفتيبة  
المختلفة التي خلفتها لنا الشعوب العديدة قديماً وحديثاً ،  
هي العلية لنا تظهرياً على أن الفن مفتاح هام يرمح لنا بأن

مظهر - في مظهر الانسانيات  
الجمالية - بعد كتاب كاتن Kata  
الشهور . « فليس منكاه الحكم »  
( ١٧٩٠ ) ، كتاب آخر فسيارة هي



الاجمالية ، أن لم يزد منه شيء ، سيلاً وموضوعاً ، وهم  
الأجله هيجل المصنم الموسوم باسم « علم الجمال » . وقد  
كان هذا الكتاب - في الأصل - كتاباً في  
الصناعات هيجل على طبيعة هي جامعة يبرز في « علم الأرواح  
الفرنسية ١٨٢١ » و ١٨٢٤ و ١٨٢٧ و ١٨٢٨ ، علم رمزي  
الكلسوف - بعد وفاته سنة ١٨٢١ - يجمع ذلك الفرنسي ،  
ومراجعتها على المخطوطة التي عروا عليها ضمن أوراقه -  
وظهرت الطبيعة الأولى لهذا الكتاب سنة ١٨٢٢ في مجلدات  
ثلاثة ضخمة مثل ثروة عليه هائله ، وقد ترجم هذا الكتاب  
بعد ذلك إلى معظم اللغات الأوروبية ، وظهرت له أخيراً في  
فرنسا طبعه جديده باسم طباعة أجزاء صغيرة (في عشرة كتب)  
قام بنشرها أوبييه : Aubier في سنة ١٩٦٤ و سنة ١٩٦٥  
ولكن كان كتاب هيجل في علم الجمال قد أصبح اليوم كتاباً  
كلاسيكياً ، إلا أن من المؤكد أنه قد خاض من صاحبه « كثير علم  
جمال ظهر في القرن التاسع عشر ، فمسلماً عن أنه لابد كان  
مؤثراً المصدر الأكبر ، الذي أسس على منه معظم فلاسفة الجمال  
في القرنين التاسع عشر والعشرين الكثير من آرائهم .

الجمال الفني - لا الجمال الطبيعي - هو موضوع علم  
الجمال :

وبدا هيجل دراسة الجمالية بتحديد موضوع الاستمتاع  
( أو علم الجمال ) فيقول أن الجمال الفني - لا الجمال  
الطبيعي - هو موضوع هذا العلم ، كما قد رآه الرأي العام  
على وضع الجمال الطبيعي في منزلة أسمى من كمال الفني  
فضلاً عن أن الفكرة السائدة بين الناس هي أن مهمة الفنان  
معدودة على معناه الجمال الطبيعي ، ولكن الواقع أن الجمال

بأربعة أفكار: أعتقد أن تسهيل إلى صورة شمسية لتسهيرو  
الخطوة والخطوة الحقيقية، ولكن العمل الذي من ذلك ناسي  
الطاقة روحية تتجسد تحت التفكير الصوري، وبالتالي  
فإنه موضوع يقلل الدراسة العلمية، ونحن نسمى الفيل  
الشرى نحن نعلم ظاهرة الجمالية، بأن حين بعد في إضمار  
الشيء للفهم العلمي، فإن عندنا تسليط لمعاجير علمية  
منها على نزعها من تسليط الفهم الفكري على كل  
حقيقته كقائمة كانت، وعلى الرغم من أن الفيل - في رأي  
ميجل - لا يمثل أي صورة من صور التشاؤم الروحي  
الإنسان، بل نطلي البشرى لا بد من يجد نفسه مدفوعا  
بأنه انشغال بغاياته الروحية إلى صميم النتائج الفنية  
منها في ذلك كمثل غيرها من مظاهر التشاؤم الروحي  
الإنسان، من أجل التعرف على ذاته في هذا النشاط الفني  
الإنساني.

أخرى . ولكن هيجل يرى أن كل محاولة تأويلية تفسل من أجل التوفيق بين « الفاعل » و « الواجب » عن طريق «الفن» أما هي في الحقيقة محاولة عقيمة أن يلبس منها أي طرف من الطرفين ، خصوصا وأن كلا منهما أحرص مايكون على الاحتفاظ بلبابه المثالي الخاص من كل شائبة (1) . ولما أن نفسه فاته سيكون في هذه الحالة خادما لمبدعين أو معلقا لثابتين غاية جديدة نبيلة من جهة ، وغاية كمالية لاخلاق من حيث وبطالة من جهة أخرى . وبالتالي فانه إن يكون غاية في ذاته ، بل سيصبح مجرد « واسطة » أو « تداءة » . ولما أن شك في أننا حينما ننسب إلى التشاغل الفني مثل هذه الهمة ؟ فلاننا لن ننجح في جعله موضوعنا جدريا ما لبثت المأساة .

### هل يكون عالم الفن هو عالم المفاهيم والإلهام ؟

ولمة حجة أخرى يرددها البعض ضد إمكان قيام علم لدراسة الفن ، وذلك هي الحجة القائلة بأن عالم الفن هو عالم المفاهيم والإلهام ، فهو لا يصلح موضوعا لبحث علمي أو لدراسة فلسفية ، واصحاب هذا الرأي يؤكّدون أنه لا كانت الأهداف الحقيقية الجديدة باستتارة الجهود من أجل العمل على بلوغها إنما هي تلك الأهداف الواقعية التي لا آثر فيها للوهم أو الخداع ، فإن التشاغل الفني الذي يترن عادة بالأوهام والظواهر لا يمكن أن يكون هدفا حقيقيا نعمل من أجل دراسة طبيعته واكتشف عن حقيقة غايته . وهيجل موافق اصحاب هذه الرأي على أن الفن يفتي « مظهر » *appearances* ويعيا على « الظاهر » ، بل هو يفتي إلى حد أبعد من ذلك فيقول أنه قد لا يتجلى الصواب إذا فهمنا أن للفن وجودا وهما *illusoire* ، وأن المبدأ الحقيقي إنما هي *essence* « بوحه » . ولكن من واجبتنا في سؤال ماذا هي كلمة « الظاهر » أو « المظهر » ؟ وما هي حقيقة أو المصداق بين المظهر « أو « المثير » ، أو بين « المظاهر » و « الباطن » ؟ ليس من الضروري لكل ماهية ، بل لكل حقيقة ، لكي لا يتلج معنى لبريد ، أن « يتبدد » أو أن « يظهر » ؟ فهل يكون « المظهر » أو « الظاهر » مجرد شيء غير جوهري ؟ أم ينبغي - على العكس من ذلك - أن نعدّه لحظة جوهريّة من لحظات « الجوهري » أو « الماهية » ؟ الحق أنه لا بد لكل حقيقة من أن « تظهر » أو « تتجلى » وليس « المظهر » - في حد ذاته - وهما أو خداعا ، بل أنهم يجرّ نفث إلى مضمون كل « المظهر » ، حتى نستطيع أن نراق بين « المظهر » الحقيقة . وقد يكون الفن مجرد « مظهر » أو « ظاهر » ، ولكنه « المظهر » من نوع خاص ، أو « الظاهر » لا يصبح اعتبارا مجرد « حقيقة سطحية » .

وربما لننكر أن عالم الفن كثيرا ما يبدو لنا عالما وهميّا خداعا ، بالقياس إلى العالم الخارجي الذي ندرسه بعواثنا وسطر أليه من وجهة نظر متاعنا وبغائنا العملية ، ولتكننا لو اتصنا أنقل إلى ذلك الواقع الحسي الذي نضد تصديق من العالم الفني ، لننتقنا من أنه أشد خداعا وأكثر سطحية من عالم الفن بكل عظيم من « المظهر » و « الوهم » . والواقع أن

(1) يلاحظ أن هيجل سيؤد إلى هذه النقطة ، ولكن يمد أن يخلق عليها طامعا جديدا يتلادم مع نظريته في وحدة الإبداع .

عالمه باسم « الحقيقة » في حياته العادية إنما هو مجموع المواضيع الخارجية والإحاسيس التي تزودنا بها . ولكن كل تلك المواضيع والإحاسيس ليست من الحقيقة في شيء ، وإنما هي مجرد عالم من الإلهام . ونحن نعلم أن الواقع الحقيقي مما يوجد فيما وراء هذه الإحاسيس المشرقة ، وبذلك المواضيع التجريبية . ولأن فلان صلة « الوهمي » أو « الخداع » إنما يصدق على العالم الخارجي أكثر مما يصدق على « المصالح » التي « يكل عليه من « مظاهر » . ولما كان « الطبيعي » - في رأي هيجل - إنما هو ذلك الذي يوجد في ذاته وله وجوده أو ذلك الذي يكون جوهر الحقيقة والروح ، بحيث يكون له من جهة وجود في المكان والزمان ، ومن جهة أخرى وجود حقيقي واقعي لذاته وفي ذاته ، فإن للفن طابع « الحقيقي » ، نظرا لأنه يتجلى أمامنا دائما واسدة لاندرك لحيث ليست القوى الكونية ، ففلا عن أنه يكشف لنا عن « المطلق » على صورة مرئية محسوسة . وعلى حين أن تجربتنا العادية لا تلتقي على الحقيقة الجوهريّة الإلهام إلا خلال ضباب الإعراس والصدف ، ففعلها تبدو لنا مشوهة حائلة بشوائب الأحداث ولواظف ... الخ ، نجسد أن الفن يلهم قوة غير محدودة بين أوهام أحلام الأزل ومظاهر الخداع من جهة ، وبين المضمون الحقيقي للأحداث من جهة أخرى ، ففعلها على تلك الأحداث والظواهر حقيقة اسمي يستعملها من صميم الروح ذاتها ، ونسب مظاهر الفن - في نظر هيجل - مجرد أوهام خداعا أو الوهمي كاذب ، بل هي تلك - حتى بالقياس إلى الواقع المادي نفسه - حقيقة اسمي ووجودا أصليا .

### الفن - كالتنكر - يصد « الحقيقة »

... في القسم أصبح الفن في مستوى أدنى بكثير من أكثر ، بحيث أن الفن يتولّد عند الظاهر أو المظهر ، في حين أن الفكر يخلّد إلى الجوهر أو الباطن ، ولكن التشاغل الفني - في جوهره - نشاط روحي يشد الحقيقة ، مثله في ذلك كمثل التشاغل الفني سواء بسواء . وحتى حين يصلح الفن أمام أنظارنا بعض المظاهر ، ففله يتبع له الفرصة لأن نستشبع فيها وراء تلك المظاهر حقيقة روحية في طبيعتها من مضمون « الفكر » . وهنا يبدو لنا الفرق الكبير بين الصالح الفني والصالح الحسي ، فإن الأول منهما ينشد الحقيقة من وراء المظهر ، في حين أن الثاني منهما يفتي عنا الحقيقة تحت ستار من الواقع الحسية الخداعية ، وكأن كل مهمته أن يوهنا بأن الحس - أو « الخكر » - هو وحده الحقيقة ، ومن هنا فإن العالم الحسي يارح في الخفاء « الباطن » عنا ، ما هو في إبراز « المظهر » بمهم عيونا ، في حين أن الصالح الفني عريس دائما على جبل « الصخر » مشاهدا لك « داخل » ، معنى باستمرار برد الحقيقة الحسية إلى الحقيقة الروحية ، حتى تصبح « المدة » بمثابة جلي إلى مظهر لك « روح » . وهذا التكاثر بين الظاهر والباطن ، أو بين الطبيعة والروح ، إنما هو المثل الأعلى للفن لأن من شأنه أن يرفع التشاغل ليس من الحياة المادية والحقيقة الروحية ، حقا أن الروح مجرد موهبة كبرى في أن تلتقي بذاتها وتترفع على نفسها في صميم الطبيعة ، ولكن مهمة الفن أن يعمل على صيغ الطبيعة بصيغة روحية ، حتى يسحو بالفن إلى مستوى الروح . وعالم الفن



— كالفير — ينشد الحقيقة ، فلا موضع إذن لتقول برقميرد نشاط مغزوي أو « غلبية سطحية » ، وبالتالي فإنه ليس ماوجب أنرم بأنه لايقبل المدرسة العلمية .

### الفن — كالدين والفلسفة — تعبير عن أحتمية الآلية

وهنا قد يترسى البعض بقوله أن الفكر نشاط حر يصعد فاعية في ذاته ، في حين أن الفن مجرد وسيلة — تحقق لنا بعض التمتع والشفقة ، فكيف نقيم من التشاؤم الفني موضوعا مستقلا ليبحث على قائم بذاته ؟ . هذا مايرد عليه هيجل بقوله أن للفن رسالة سامية تضمه على قدم المساواة مع كل من الدين والفلسفة . وأية ذلك أن الفن إنما هو وسيلة من وسائل التعبير عن « الحقيقة الآلية » le divin ، وعن شئنا المصاحبات السامية والمخالب الرقيقة للروح ، ولكن الفن يختلف عن كل من الدين والفلسفة من حيث أنه يعطى القدرة على محاكاة تلك الأفكار السامية على صورة « تمثيل حسي » يعاملها في متناول إدراكنا ، فلأعمال الفنية تمثل الحلقة الأولى التي تقوم بدور الوسيط بين الخارج والداخل ، أو بين الحسوس والمفول ، أو بين الطبيعة والفكر الحسي . وبهذا المعنى يمكننا أن نقول أن الفن يعاق التوافق بين الطبيعة والتوافق المتأخر من جهة ، وبين الحرية الانتماعية والفكر المتأمل من جهة أخرى .

بعد أن هيجل يؤكد أنه وإن كان الفن راء فعليه سر — الروح واشتملها باهتماماتها ، إلا أنه بعيد كل البعد عن أن يكون أسس ورسالة من وسائل التعبير عن الطبيعة . والسبب في ذلك أن الفن عاير نشاطه في المادة الحسوسة ، فهو لايملك موضوعا آخر سوى تلك الدرجة المحدودة من موضوع « الروحية » أو من درجات « الحسوسة » ، ولا فرق إذن « للفكر » وجودا أمعن مما يمكن أن يمسح به كل حسيوية وبالتالي فإن لمضمون الحقيقة الروحية هو في متناول القديس والمفسرة أكثر مما هو في متناول الفن . وهذا هو السبب في أن هيجل يقيم تدرجا في وسائل التعبير عن « المطلق » ، والحضارة الناشئة من الطل .

والواقع أن الفن — في نظر هيجل — عاجز عن استيعاب حاجتنا القصوى إلى « المطلق » . ولم يعد انتمسان أخصر الحديث يقضي الفن ويشتد له — كما كان يفعل الأقدمون — بل لقد أصبح موقفه من الأعمال الفنية أكثر جفافا واشتد برودة . وأية ذلك أننا اليوم حينما نجد أنفسنا نقرأ بعض الأعمال الفنية ، فإننا لانظر إليها على أنها أسس وسيلة من وسائل التعبير عن « الفكرة » (أو « الحقيقة الروحية ») ، بل نحن نميل إلى تعاطي الحكم عليها ، من أجل التعرف على مدى دقة تصويرها ورسالة مضمونها . هنا أننا لاقرأنا نعظم الفن ونعجب به ، ولكننا لم نعد نرى فيه الوسيلة الوحيدة التي لايمس عليها من أجل التعبير عن الحقيقة البديهة للمطلق ، ولهذا فإننا نضف من الفن موقف الفكر الذي يرد التعرف على الوظيفة الحقيقية للفن ، والوقوف على مكانته الحقيقية في نطاق حياتنا ، وهيجل يخلص من كل هذا إلى القول بأن الفن قد أصبح بالنسبة إلنا اليوم شيئا مغشيا — أو في حكم الماضي — لأنه فقد في نظرا طابعه الحي وضروره الحيوية ، ووجوده الحقيقي ، ولم يعد له سوى

مجرد وجود تصويري لغنى . ونحن اليوم حينما نوجد بناءه أن عمل فني ، فإن ما يستثيره في نفوسنا مثل هذا العمل — التي جلب أتمة الغلبة البائسة — إنما هو ذلك الحكم العلوي الذي تصدره على مضمونه ، وعلى وسائل تعبيرة ، وعلى مدى تكافؤ تعبيرة مع مضمونه .

### هل تكون غاية الفن هي محاكاة الطبيعة ؟

يتم هيجل بدراسة طبيعة الفن ، فتراه يستعرض شتى التيارات التي أيلت في تعديد ماهية التشاؤم الفني ، مبينا بالنظرية الكلاسيكية الشهيرة التي تنسب إلى الأنا مهمة محاكاة الطبيعة . وأصحح هذه النظرية — فيما يحول هيجل — بقرؤن أن الإنسان يجد لذة كبرى في إزديانها الطبيعة بل يخلق بميمات فنية تجرعه مطابقة لبعض الموضوعات الطبيعية التي يلتقي بها في تجربته العادية . ومعنى هذا أن الفنان يريد أن يثبت مهارته بخلق أشياء يكون لها « مغزوي طبيعي » ، وكقما هو يجد في إبداعه تلك الأشياء تأكيداً لعدوه الخلقة على محاكاة الصانع الإلهي نفسه ؛ ولكن هيجل يرد على هذا الأزم بقوله أن الإنسان لايتستعير حقيقة ، اللهم إلا حين يسعد شيئا يعمل طبعه الخاص ، ولا يكون مجرد تكرار لموضوعات أخرى تقع عليه فيوتنا كل يوم في الدام الطبيعي . فالهارة الفنية الحقيقية لاتجلى في تقليد الطبيعة ، بل هي تتجلى بالأحرى في إبداع منتجات تكون وفية التشاؤم الروحي للفكر البشري . وليس أيسر من الدفن من أن يقع تحت إظلالنا موضوعات طبيعية يعاى بها الدال الخارجى تمام المحاكاة ، ولأنه عندئذ إنما يحكم على الفنان بقدر ما يملكه من موضوع « الروحية » ، ولا فرق إذن « للفكر » وجودا أمعن مما يمكن أن يمسح به كل حسيوية وبالتالي فإن لمضمون الحقيقة الروحية هو في متناول القديس والمفسرة أكثر مما هو في متناول الفن . وهذا هو السبب في أن هيجل يقيم تدرجا في وسائل التعبير عن « المطلق » ، والحضارة الناشئة من الطل .

هنا أن الفنان في حاجة إلى العودة إلى الطبيعة من أجل التعرف على طاقات الألوان بعضها بعض ، ودراسة التأثيرات الموسيكية ولذبات لشمسة الشمس ، والوقوف على التوافيق البديهة التي تميز الأشكال الطبيعية بعضها من البعض الأخرى ، ولكن هذا كله لايعني أن تكون العنقدة الأساسية للفن هي الاتصاف على محاكاة الطبيعة . ولما كانت القاعدة الرئيسية للفن هي التعبير عن « الروحية » ، فإن التزينة الطبيعية لايمكن أن تكون مجرد نقل لبعض الملامح ، أو محاكاة لبعض القسمات ، بل هي لابد من أن تجيء منظومة على تعبيرة روحية ينقل الفنان من خلال إدراكه الخاص لشخص صاحب تلك الصورة . هذا إلى أن « التمثيل » قد يتوافر في بعض الفنون كالتصوير أو النحت ، ولكنه يمكن أن يكون معنوية أو شبيه معنوية في فنون أخرى كالصا والتسمي . ونحن يقتصر الفنان على محاكاة الطبيعة ، فإنه إنما يقدم لنا أعمالا تشيع ذاكترنا وحيدها التي لايتأ بعد إلى الخلفنا صور تلك الموضوعات التي سبق لنا أن شاعناها في الطبيعة . ولكن من المؤكد أن مهمة

الإنسان لا تنحصر في أشباع ذائقتنا ، بل هي لابد من أن نستشير كل ما لدينا من قوى نفسية ، بحيث يعتمد تأثير الفن إلى « الذات » أو « النفس » ككل .

## هل تكون مهمة الفن هي استناده للنفس ؟

وما النظرية الثانية التي يتعرض لها هيجل بالبحث فهي تلك التي تقول أن وظيفة الفن إنما تنحصر في إثارة حواسنا وعواطفنا ، وحتى إنساننا ، بحيث يكون مضمون الفن مشتملا على كل مضمون للنفس . وأصحاب هذه النظرية يذهبون إلى أن من شأن الفن أن يزودنا بفترة شائعة من الحياة الوافية فهو يسمح لنا بأن نعاين من أوهامات والخيال والواقف ما لم نتح لنا الفرصة لعنايته ، ومن ثم فإنه يوسع من أفق رؤيتنا ، ويعمق من صميم خبرتنا في الحياة . وكثيرا ما يجيء الفن فيكشف للإنسان عن إبعاد جديدة من إبعاد الوجود البشري ، إذ يستثير في نفس المتلقي عواطف كائنه ، ويهده وجهها لوجه بائنا . اهتمامات روحية لم يكن له بها عهد . وتبعا لذلك فإن فاعلية الفن إنما تتمثل في تلك البرزخ النفسية التي يبعدها في أعماق أعصاب القوى البشري ، حين يستثير في مضمونها الكثير من المواقف العميقة وتكتلر البديهة والخيالات النفسية .. الخ . وبهذا المعنى يمكننا أن نقول أن الفن يبرهن على صقل الحياة الإنسانية المشورة حتى قول : « أنه ما من شيء إنساني يمكن أن يقلل في بساطة على الإنسان » ( لرنس : ١ )

Nihil humani a me alienum puto Heaut. Tim. I. i.

وهنا لا يكون أهم هو المضمون ، بل ستكون الأعمال الفنية مضمائين شتى تؤثر في طرفها على ترويض النفس البشري بالحب ، أو الكراهية ، أو العجز ، أو السخط ، أو الفخر ، أو الخوف ، أو الإحباط ، أو الفرح ، أو الحزن ، أو الحب المجرد .. الخ . وبهذا لذلك فإن دور الفن لن يفرج عن استشارة كل هذه المواقف والإنصاف في دروسنا ، سواء أكانت هذه المواقف نبيلة أم حقيرة ، سامية أم دنيسة ، جليلة أم قذيفة .. وهيجل يذهب على هذا الرأي بعله أن قدرة الفن في هذه الحالة ستكون قدرة صورة محسوسة ، لأنها ستكون مستقلة : تمام الاستقلال عن مضمون الفن أو موضوعه . وليس من شك في أن الإنسان فن يكسب الكثير من معاناة شتى للكثيرات البشرية : فإن بين تجارب البشر ما هو حافل بالثبور والآلام والمواقف الحزينة والمسايات الواسعة .. الخ . وبهذا لذلك فإن من واجبنا ألا نعطى أهمية أكثر مجرد استشارة المواقف البشرية ( كائنة ما كانت ) ، وإنما يجب أن نحرص على أن تكون هذه الاستشارة مضمونة بنوع من الأهمية أو التخليف من جهة البريرية البشرية بوجه عام . والحق أن من شأن الفن أن يخلط من جهة مواطننا وإنساننا ، وأن يجعل على تهيئة وإيقاظ وشهوته ، عن طريق الجمع من دورها وغلواتها . وكثيرا ما يكون في التمييز الخارج عن تلك الأوهام والإنفعالات ما يجد من اندماجها وعزيمتها كما نرى . النوع فتختلف من جهة إلى ، أو كما يجيء الاندماج فيدهم من احساساتنا بالآلام . وحينما يميز الإنسان عن شعوره الخاص في صورة خارجية ، فإن هذا التمييز الخارج عن نفسه سرعان ما يطفئ من جهة شعوره ، إذ يراه الفنان مالا أمامه

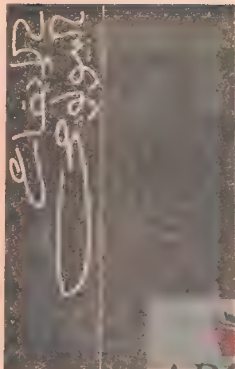
على شكل لعلق أو تيفام أو أنشك أو الوان .. الخ . فيتمز بأنه قد انفصل عن شخصه بوجه ما من الوجوه .

## هل تكون للفن رسالة أخلاقية ؟

ربما أننا إذا جعلنا مهمة الفن هي تهيئة أهوائنا والتخفيف من حدة انفعالاتنا ، فإنا بذلك إنما نقدم للفن تعريفا صوريا مضحا ، مما يترتب عليه ضرورة إثارة سؤال جديد حول الطبيعة النوعية لهذا « التهيئة » أو تلك « التربية » . وهنا ينسب البعض إلى الفن رسالة أخلاقية catharsis فيقولون أن للفن مضمونا أخلاقيا يتمثل في التسامي بأرواحنا وسامعتنا على مقاومة أهوائنا .. الخ . ومعنى هذا أن من شأن الفن أن يرقى بالإنسان فوق مستوى الطبيعة ، وأن يأخذ بيده من أجل التحكم في أهوائه . ولكن هيجل يرى أنسبا أو كطينا من الفن أن يقدم لنا بعض التلميحات الأخلاقية أو التصانيع التربوية ، فإنا عندما نتابع نصفا بين مضمون العمل الفني وشكله ، بحيث يصبح الضمير النقي في العمل الفني مجرد عنصر لاتوى يتصاف إلى مضمونه التجريبي لتطرى . وما كانت وحدة العمل الفني شرطا أساسيا له ، فإنه لابد لتشكيل الفني من ألا يكون مجرد حلية خارجية زين التعاليم الجرد ، بل يكون بمثابة جزء لا يتجزأ من صميم مضمون العمل الفني . ومعنى هذا أن هيجل يأخذ على أصحاب النزعة الأخلاقية في تفسير الفن أنهم يطمحون الجانب النقي من صلب العمل الفني لبعض القضايا الأخلاقية الجردة ، مضمون العمل الفني

وما إذا عرفنا أن الفن غاية في ذاته ، وأنه لابد للعمل الفني من أن يحرر وحدة المضمون والخطوط ، فإنا نستبعد أي شرف لنا الفن . موضوع الفن إنما هو « الفكر » ، « المبدأ » أو « النظرة الروحية » ، في حين أن شكله إنما هو البنية الجسمانية ، أي المادة الجمجمة . وكما أن فكر الإنسان لا يمكن أن يكون فكريا مجردا ، فإن موضوع الفن أيضا لا يمكن أن يكون موضوعا مجردا . ولعل هذا هو السبب في أن الفن اليوناني قد وجد في أجسد البشرية خير موضوع جمالي ، فراح المثاليون اليونانيون يعمرون لنا عن كرواح البشرية من خلال ذلك الموضوع الجسم . وحتى حين كان الفن اليوناني يصور لنا الآلهة ، فإنه لم يكن يقدم لنا « دوى آلهة فردية فائقة للتجسيم ، وإن كانت هذه الآلهة تعبر في صورتها المادية عن معان آلهة فائقة للطبيعة .

وهكذا يخلص هيجل إلى القول بأن الفن أداة فعالة لتخفيف التوافق بين النفس والقل ، أو بين الرغبة والواجب ، أو بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون . وكما أن مهمة الفلسفة هي تطبيق التوافق بين المصداق ، فإن مهمة الفن أيضا هي التنايف بين الحرية والضرورة ، أو بين الإنسان والواقع ، أو بين المضمون والشكل . وليس الانسجام أو التوافق شكوى مجرد تعبير عن استحسان الصورة والموضوع أو الشكل والمضمون في العمل الفني . وسنرى فيما بعد أن كل تصنيف هيجل للفنون ، بل كل تربيته لأراحل تطور الفنون ، إنما سبب إلى مدى توافق الشكل مع المضمون في كل فن من الفنون . فلا حديث قبل نتعرض فيه بالتفصيل لدراسة نظرية هيجل في مراحل تطور الفن .



## الايقاع

حولنا وفي داخلنا ، الايقاع في كل مكان وفي كل نشاط ، في الموسيقى ، في التصوير ، في النحت ، في الرقص ، في الشعر وفي التمثيل .

الايقاع في تصاقب الليل والنهار والصيف والشتاء ، والرسم والغريب والمطر والحيات والله ، والجنود ، في النوم واليقظة والحركة السكون في نبض القلب وحركة التنفس ، في الحياة وفي المات .

وقد تختلف المدارس الفنية في التصوير وتنوع وتمازج وتقوم مدرسة فنية مدرسة ولكن الايقاع لا تختلف فيه مدرستان ، والله ينظر الى رسم او كتلة ما ولا يهتم ما به ولا المقصود منه ولكنه يهتم به بشئ ، في يسميه اليقاع ويص وترا في نفسه ، انه الايقاع بشر الاحساس ولا يدركه الوعي .

وقد تنوع الموسيقى ، السمفونية منها واليدائية ، الشعبية والعادية ، وقد تختلف ترميزاتها والخطوط والاشكال ولكنها لابد ان تبني على اساس من الايقاع ، الموسيقى الحديثة ايقاع ، وقد يكون الايقاع في الموسيقى بديلا فنيا في نوتات لاسي والتشجيع وقد يكون سريعا فيكت فنيا العفوية والايقاع وقد يتغير فيبث فنيا الطرب والانسجام ، اي صحر الايقاع !

ومهما بلغ الانسان من الحضارة ومهما اوفى في اليديائية فلا ينزع الى ان يكون ايقاع ، ونحن نرى في الرقص ويعبر عن حين نشود ويحتج بكفى ان تهدمه انه لمحرك فطريا صموذا وهبوطا في ايقاع منتظم او تفني له الخفية ذات ايقاع حتى يكلف عن اصراع وشباب في سبات عميق .

حتى الزمان الذي نصب في لوفانا وحياتنا ليس الاحساس للايقاع في الطبيعة ، فالايقاع لغة اصيلة في الطبيعة بشعرها البيولوجي وغير البيولوجي بغير اجرامها واصغر مكوناتها ، بالكوكبات التي تبلغ حدا غرافيا من الكبر والادرات التي تبلغ حدا متناهيا من الصغر .

## مظاهر الايقاع البيولوجي في الانسان والحيوان :

مظاهر الايقاع متعددة في كل من المملكة الحيوانية والنباتية ويختلف تردد الايقاع بين جزء من الثانية الى عدة سنين ولكن اغلب الايقاعات انتشارا هي ذات التردد القريب من ٢٤ ساعة والتي سخر عليها الايقاع اليومي ، وأشهر الايقاعات القصيرة هي فترات القلب وحركة التنفس وحركات السير والقفلات

المضلات وتغيرات جهد الفع وحركة جنين أثناء اليقظة ( الأرض ) وهناك ايقاعات الزيادة والتقليل التي قد يستمر ترددها في الرضع الى خمس او ست فترات كل ٢٤ ساعة .

اما الايقاعات الطبيعية فقد يصل ترددها الى شهر او سنة او اكثر ، والأمثلة على ذلك هي الصادة الشهرية عند النساء ، وفترات التحصيل التي تحدث كل ستة شهور اذا ان لغة القابلية للتلقح عند النساء تحدث في شهري يونيو وديسمبر عن كل عام ويعتقد أيضا ان كثيرا من القافيس الطبيعية لوظائف جسم الانسان تظهر ايقاعا فصليا ، فاجراج الستيرويدات ( وهي نواتج تكسير بعض هرمونات الجسم ) يبلغ اعل قمة له في سبتمبر واقل قيمة في ما يو هذا خلال الايقاع اليومي للاخراج .

والايقاع اليومي منتثر جدا في الكائنات الحية ويشمل وظائف لا حصر لها ايسمءاء من تركيب الاحماض النووية في الخلايا حتى اكتافن بالكملة ، ومن ايسف الوحدات الى اكثرها تقيدا ، فقد تبين مثلا ان اقسام الخلايا في القار له دورة يومية حيث يزداد حامل الاقسام في الصباح الباكر عن بقية اليوم .

دقات القلب وسرعة التنفس وغيرها فإن الإيقاعات اليومية لا تتأثر فهي مستقلة عن العزلة وتقاوم كثيراً من المؤثرات الفاسدة .

وعبرها يمكن تقسيم الإيقاعات البيولوجية إلى إيقاعات ذات دوايكة خارجية وأخرى بدون دوايكة فالأولى غير حساسة للحرارة والثانية حساسة لها ، الأولى تشمل مدى وأسما من الترددات امداء من رمس . . . . . من الثانية في الجهاز العصبي أي فترات من الساعات والإيام أو السنين . والفريق أن الحيوانات الصغيرة غالباً ما تكون ذات ترددات عالية على عكس الحيوانات الكبيرة ، وتجه الدورات اليوقلية في الإيقاع إلى الطول كلما قل المستوى التنظيمي نظام القصور القائم باليوقلية .

أما الإيقاعات المستقلة عن الحرارة ، والتي تزامن بأحداث خارجية فإن ثباتها ليس غريباً ، ولكن القريب جداً هو تلك الإيقاعات اليومية وتشمل الإيقاعات البيولوجية امداداً لا حصر لها من الإيقاعات ومستويات من التنظيم لا حد لها من أسبب الوظائف إلى أكثرها تعقيداً ومن الحيوانات وحيدة الخلية إلى اثنيتايات والحيوانات الكبيرة حتى الإنسان منذ أن يكون يومية إلى أن تنتهي حياته .

#### أسباب الإيقاع :

نفسه الآن ثلاث نظريات لتفسير السبب في الإيقاع بيولوجي

#### نظرية الأولى :

تعد هذه نظرية أن الساعات البيولوجية التي تمثل مدارج الزمن تعتمد في عملها على تأثير عوامل وبنيتها خارجية من البيئة مثلما تعتمد الساعة الشمسية في توقيتها على سقوط الشمس عليها وكما تعتمد الساعة الكهربائية على مرور التيار الكهربائي فيها ، إذا أنه بالإضافة إلى التغيرات في الضوء والحرارة والرطوبة التي تسببها الإيقاعات اليومية والفورية والسببية الشمسية لتدوير الأرض ، فهناك تغيرات في قوى أخرى مثل الجاذبية والضغط الجوي والإشعاعات ذات الطاقة العالية والمجالات الكهناطيسية ولهذا فانه يعي بأن الساعات حتى ولو عزلت ظاهرياً عن أجسامها الخارجية داخل الحقل فانها تبقي مرصية للمؤثرات البيئية الأخرى التي تتكاثف بإعادة الساعات البيولوجية الداخلية ، وأن صحت هذه النظرية فان وضعها يكون شديداً بالنسبة لاجتلال انعام يرحلات النفاذ ، المستقل فانعام هذه المؤثرات الجيوفيزيائية خارج جسم الأرض قد يؤثر تأثيراً شاملاً على مساهم الفضاء نتيجة لإرتداد الإشعاع في الوظائف الداخلية مما يؤدي إلى اضطرابات فيسولوجية مختلفة .

#### النظرية الثانية :

تحاول البات أن الكائنات تنشأ بوظائف فيسولوجية خالية من الإيقاع ثم اكتسبت هذا الإيقاع من الطادات السائلة في نوعها وتعلم الصغار من الكبار كيف تعمل في النهار وتهدج في الليل أو العكس .

وتشمل الإيقاع اليومي النشاط والنوم ودرجة الحرارة والإفرازات الخلوية والطارية والجهاز المناعي حتى الأشياء المختلفة مثل الحساسية لأم الإنسان وتوقيت الميلاد والوفاء ، إذ يبلغ كل منها قفته في الساعة الزمنية صباحاً ، كذلك استجابة للظواهر المختلفة مثل الإنسان التي يبلغ قفده تأثيره في الساعة الزمنية صباحاً أيضاً شدة درس الانهـ السببية وتحت البيئية - وأكثر الإوقات حساسة لجسم الإنسان تقع حوال الساعة الزمنية به الظفر والساعة الزمنية صباحاً حيث يتنقل نشاط الجسم من اليانـ إلى الهمم وتزداد إمكانية حدوث التواب الفلية وتواب اربو وفي مرض البول السكري تحدث بواب الاستيون في محتجين امدادها في الساعة الزمنية مساءً والثانية في الساعة الزمنية صباحاً ، وعال أن الظواهر المدرة للبول أقوى عدة مرات إذا أعطيت في المساء عنها في الصباح .

والإيقاع في الكائنات الحية الحيوانية والثباتية إيقاع هادف وليس غلوياً ووظائف الأعضاء المختلفة تقيظ إيقاعها في اكتم مع سنها وبهذا يحاط على ساد الدخنة ويحيط الكائن من التذبذب غير المنتظم تحت تأثير العوامل البيئية .

ومن تميز الحيوانات من بيئتها الطبيعية المتغيرة وتوفهم في الظروف العملية الشتية من حيث المو والظلام والحرارة والرطوبة فإن الإيقاع الخاص لها من حيث النشاط والراحة ( أي النشاط في النهار والراحة في الليل أو العكس بالنسبة للكائنات الليلية ) ، وكذلك الإيقاعات الموسمية المختلفة غالباً ما تنقل من طام النشاط الحيوي لحيواناتها من دمه عن البيئة المعتادة لها ومن أجل هذا يشترك في هذه الإيقاعات على أنها متوافقة مع الداخل Indogenous ، كما ثبتت في بيولوجية دقيقة .

وكان الاعتقاد السائد مدة طويلة أن العمليات الإيعابية هي انعكاسات عفوية للتغيرات البيئية ، الأمر الذي أدى إلى تخلف الفهم في دراسة هذه الظواهر مدة طويلة . وساهم في هذا التخلف أيضاً الاعتقاد الخاطئ ، بأن المنبهات - الخارجية تؤثر على الجسم من خلال أعضاء مستقبلية خاصة وقد اعتاق هذا الوم قبول بعض الظواهر مثل الحساسية للعوامل البيئية ، ولكننا الآن نعرف أنه حتى الجاذبية لا تصحها فقط مستقبلات الضغط Baro-receptors في الأذن بل العضلات والأوعية الدموية كلها وربما كل خلية في الجسم ، والكلام كثير عن ردود الفعل البيولوجية في التنبؤات الكهناطيسية والكهربائية واختلاف الخطر على الجسم الحي حتى من موجب الراديو .

وإد أن ينظر على هذه الاعتقادات على قدم محسوس في أبحاث الإيقاع فيسولوجي . وعزز هذا التقدم ما ذكر من أن الإيقاع اليومي يستمر حتى تحت ظروف بيئية ثابتة لا تغير ولكن زمن المردد قد يختلف فالزمن من أنه يستمر ما بين ١٩ و ٢٩ ساعة ، فهي كائن ما قد تستمر عدة أسابيع مثلاً على عودة كل ٢٢ ساعة ثم تقفز فجأة إلى تردد جديد . وقد ساهم في هذا التقدم أيضاً اكتشاف حقيقة أن الإيقاع اليومي يتأقلم الميريات في مستوى الحرارة بالبيئة ، فبينما تزداد سرعة تعالات الجسم مع ارتفاع الحرارة وكذلك إيقاعات كثيرة مثل

### النظرة الثالثة :

فيه الحراوة مرة كل يومين في ساعة معينة وننقل الساعة الرابعة مساءً - حيث يسافر مثل هذا الشخص من أفريقيا أو أوروبا الى أمريكا يتغير الإقلاع الزمني ست ساعات بدلاً من أن ترتفع الحراوة في الساعة أربعة مساءً ترتفع في الساعة العاشرة مساءً ويقل الصلابة على التناول هذه الأيام حتى يتأقلم انفسهم مع الإقلاع الجديد للبل والتمتع

وربما أدى التغير السريع للاوضاع الوظيفية نتيجة لتغيير المكان بسرعة الى تسلك القليل من الطرقات باستمرار عبر المحطات - ربما أدى هذا الى اضطرابات عصبية شديدة يعاني منها كثير من القاريين الذين يتعرضون لشد حله اللطوف في ذلك الصال الذين يطمرون ثوباء معلم من الكليل الى التهاد او العكس باستمرار يقل انسجامهم ويصابون بغراض اكثر من تلك التي يعملون ثوبه واحدة ثابتة -

آلة الإبقاء :

ويستلزم ان تكونوا عن الايقاع وملازمه وواجبه يستلزم ان الكلام عن ميكانيكية الايقاع الى التيه او كيف يمكن للجسم ان يتوقف واقفاً عبقانياً وهذا يعني ان شرح بعض الظواهر الانسانية عن التشابك البيولوجي لجسم الانسان ملائمة او كما نكرنا من قبل - ليس وبطريقة مفيدة تقنياً لتلكا التي وانما هو وسيلة لتنظيم الايقاع والجسم والمفهوم اللاحق مساعدنا على فهم الايقاع هو ذلك الذي يفسر الجسم على انه نظام غير قابل للتحويل عند التركيب في توصيلات لا حصر لها ويرجع التمثل في فضاء غير الانساني الى هذا المفهوم الى العالم البيولوجي يتكبدون بمراسم في اذن الناس.

[illegible]

تحتد بوراة الفاعل الإلغائي الوفاقف البيولوجية وسنة هذه الظاهرة عند كيرين من البراهين العلمية والحقائق العلمية ومن الشارة هذه البراهين انه قد ربيت ايجاد متوازية من حشرة النمل الناعمة في ظل ظروف لاتتغير ليل ولا نهارا وفي النظام العامس المتناوب ولكن الحلقة من النهار التي يحدث فيها سبب التفرقة والتفريق الحشرة تظل ثابتة بالرغم من التغير الفاسد في هذه الحلقة تظل في ساعة معينة من النهار دائما وكان يظن انها تتحدد فقط على ضوء النهار - وشيبه بهذا أيضا استمرار الطفران الصغيرة التي ترى في ظروف ثابتة لا تغيرها - استمررها في ممارسة الاعايج اليومية الصادي للشئط والراحة عند عدم وجود سبب ظاهر في شيئا من تعاقب الليل والنهار - وهناك اشارة اخرى لا حصر لها تؤكد ان الكائن الحي وله حيت والاقايعات المختلفة التي سوف تسير عليها وقائفة ويعتقد ان أغلب البيولوجيين الذين يعملون في هذا المجال ان هناك في جسم الكائنات عدة بيولوجية ذات تردد يومي واخرى ذات تردد بفر من الشهر وعرضا سنوية -

### أهداف الإلقاء :

والهدف من الإيعاز في الوظائف هو تحقيق التثبات الداخلي Homeostasis والتكيف مع البيئة الخارجية ذات التقلبات المتغيرة وأن مفهوم التثبات الداخلي - وهو أحد العناصر الأساسية في البيولوجيا اليوم - قد نشأ من دراسة هذه العمليات في وظائف الخلية ولكنها تتركز الآن في دراسة التثبات في الأنظمة البيولوجية كالتكيف مع البيئة الخارجية والتكيف مع التغيرات في البيئة الداخلية. فحين العرفوا أن أي جسم حيواني على غرار الإنسان في كل الأحيان بطريقة متغيرة ذاتياً لا تتغير وإنما يتكيف مع هذا الزوال على الطاقة المتوفرة لهذا الحيوان التي تتغير حسب الوقت من اليوم وعلى التغير في الفصل فالحيوانات الليلية مثلاً تنشط حاسة لموترات البيئة في الليل عنها في النهار وهي يضي الأعيان بنظير الدور في هذه المراتل في التكيف، فالحيوانات الليلية وبعض الفصائل البيولوجية تتكيف في الليل لتطلب إلى سلبية للنمو، في النهار وانفسو، الغير أفضل بكثير من ضوء الشمس التي تهاب المواظ والخلل الخلل والاضطراب الذي يبدو الفرق في هذه التاحة والتكيف فيف كان له أساس بيولوجي أيضاً .

وحيث يتفرغ الإنسان فجأة لدورة من الليل والنهار تخطف من تلك التي تعود عليه وتقل قدرته على العمل كثيرا وتكثر إصابته بالأمراض الحادة وأما ما يلقاها من قلة النوم فيستمر مع هذه الأيام إلى أسبوعين بل أو يستغرق الأسبوعين مع إصاها بالأمراض المزمنة الجديدة عليه ، قد حدث أن سافر الأوروبيون إلى أفغانستان فوجدوا في أفغانستان أن الكوكبوك يختلف فيها وقد يتفوق في ذلك المأخوذ عاجزين عن الإذاعة لمدة أربعة أيام بعد وصولهم إلى كوكبوك وبهذا أصبحوا يعانون من التعب والمرض وقد نفس الشيء مع بشر إفريقيا فبين في دورة الكوكبوك - وحسب الإصااع المرضي قد يشير معاصيبي صموايا في الكوكبوكي - حتى أن بعض الصموايا قد تضررت كثيرا من الإصااع ذات أقام متتمة تدمر

مركز تنظيم افراد العرق وكذا مركز اخر للاتزان وهذه المراكز حساسة جدا لأي تغير في حرارة الدم أو الوسط الخارجي وهي تتحكم في توليد وفقدان الحرارة من الجسم أي أنها تقوم بوظيفة الترموستات Thermostat ، وهذه الآلية هي تنظيم درجة الحرارة في الجسم عن طريق مشابهة في برنامجها العام للظنات على ثبات البيئة الداخلية وهذه الآليات تطبق عليها القوانين الكيميائية والفيزيائية .

تم ياني ووتر Weiner وشانون Shannon  
يقعها التيسا نظرية السيبرنتيكا Cybernetic والنظرية الرياضية للاتصال Mathematical Theory of Communication

وهذه النظريات نظريات رياضية عسدية أصلا استعملت تصميم آلات ومكينات جديدة تختلف اختلافًا جوهريًا عن الآلات القديمة لم تلبث هذه الاكتشافات النظرية والتشكيك العملية لجلداس سر العمليات البيولوجية والاقبال البيولوجي خصوصا . ذلك ان علوم الجسم كنظام فيزيائي كيميائي قد اصبح شيئا مهيما به ، ويمكن ان نوجز باختصار اهم المبادئ النظرية للسيبرنتيكا ونظرية الاتصال كثرى اى مبداء فيهما اقدر على تفسير ظواهر الايقاع البيولوجي .

المبدأ الأول : هو مبدأ الاختيار وهو الذي اعطى حرية لالة لم تكن موجودة لها من قبل وهو الخيار في ان تسلك في اداها حركتها من بين طرق متعددة متاحة لها ويمتد اختيارها للطرق من حسابات تقوم بها على اساس معلومات متاحة لها .

والنقطة الثانية : هو مبدأ الارتداد Feedback  
يعتبر ان كل كائن حي يتلقى تأثيرا فائضا فيطيقه بسطع على شكل رد فعل على هذا المبدأ هو مبدأ التغذية الراجعة وهو الذي يفسر كيف ان الجسم يستطيع ان يحافظ على درجة حرارة ثابتة في وسط متغير .

والثالث : هو مبدأ الاحتمال Tolerance وهو المبدأ الذي يتيح لالة ان تتغلب على الظروف الكائنة في البيئة وتتقن طريقها في حزم في مواجهة الاخطار . وهذا المبدأ يتيح لالة ان تتغلب على اخطارها حتى ولو حدث لها بعض الخلل أو الاضطراب في الاعمال التي يحصلها في البيئة . انه خلق كائنات متخصصة عليها من مكونات لا يفتقد عليها .

والاى يهنا هنا يصعد محاولة ايجاد تفسير للايقاع البيولوجي هو مبدأ الارتداد وبإسبغ تطبيق منهجي لهذا المبدأ هو الجرس الكهربائي فيجب يصفق على ذلك الجرس يمر التيار الكهربائي ( الصوت الاول ) فيصل الى المقناطيس الكهربائي الموجود بالجرس فيشتد والمبدأ الاول ) حين يشتد يقطع التيار فيكف المقناطيس الكهربائي عن ان يكون مقناطيسا فيسرى السار مرة اخرى وهكذا في ان الحدث الثاني بالمرح في انه سبعة من الحدث الاول الا انه يقوم بتنظيمه وهذا هو الارتداد ، ونظام الارتداد في ايسر صورة يكون من قسمين فقط في تفاعل متبادل .

جملة حيل مثل هذه قد رسم اطارها فيبيولوجي من قبل «  
وينما فصل برنارد لجال الفيزيائي الكيماوي للجسم البيولوجي في القرن لاساني . واكتشف وجود البيئة الداخلية الثانية نوعا ، فان كانون Cannon قد اتي بمفهوم التثبيت الداخلي Homeostasis لهذا الوسط في شريعات القرن العالي لند فهم كانون الأولية والحاجة الى التحكم regulation للعمليات البيولوجية ان كان بالمرح وتنظيم من الآليات غير انائية واقتزجحة فان الجسم يكتل ثباتا ضروريا في المجال الداخلي لاء الاضطرابات الاستائية والديناميكية الصادرة من البيئة . وبين بجلد عوامل عدم الاستقرار في الوظائف الداخلية والوسائل التي تفرس الاستقرار لاء . هذه العوامل . وسنذكر هنا كيف فير كانون من وجهة النظر التي ابدعها ميكانيكية ثبات درجة حرارة الجسم حول ٣٧ درجة مئوية

فتمتد تصل درجة حرارة الجسم الى ٤٤ درجة مئوية تهدد اضطرابات للدم والارتق العصبي وكذلك تحت ٢٤ درجة مئوية تحدث غروبة عميقة ، لذلك تتجه وظائف الجسم الى تثبيت الحرارة حول ٣٧ درجة مئوية ومصدر حرارة الجسم هو الحرارة التي تولد باستمرار من العمليات الكيميائية والزيائية التي تجري في كل خلية من خلا الجسم لم تنتقل هذه الحرارة لتتوزع الى جميع اعضاء الجسم بواسطة الدم وسائل الجسم الاخرى . وهذه الحرارة ثابتة الى حد كبير في الناس الماديين تحت الظروف العادية وتعدد لنا الكمية التي يستهلكها الجسم من الاكسوجين والكمية التي ينتجها من ثاني اكسيد الكربون . التمثيل الاساسي Basal Metabolism الذي يمكن ان تصطب منه كمية الحرارة الناتجة عن حرق الوقود في الجسم .

ونظام يقيظ درجة حرارة الجسم . فلو ان درجة حرارة الجسم تزداد فتمتد الحرارة وعمله فدها . في ارجو ان يكون هذا كبر فان التقلبات الكيميائية في الجسم كبر في كمية الحرارة المتولدة الامر الذي يفسد درجة حرارة الجسم كله ولكن التراسن الموجود في الجسم يفسد فتنسب ففسر فيها كمية كبيرة في الجسم المخلص بالحرار . فتتبع الحرارة الزائدة في الجو وكذلك تلب الحرارة الزائدة افراد الصرير يترأى عن افسد العرقية في الجلد فيبتكر بكميات كبيرة تؤدي بدوره الى تعظيم الحرارة ايضا وهكذا حتى يملك الجسم كل الحرارة الزائدة وتبالي الحرارة ثابتة حول درجة ٣٧ مئوية .

ولكن حين يقابل الجسم عكس هذا الموقف وهو احتمال زول الحرارة عن المعدل الطبيعي فانه بسرعة يطفى افراد العرق ويغني شرايين اصطف الاضاريج فيل ان الدم لاء بها ويقبل فقدان الحرارة بالانصاع فان لم تكف هذه الإجراءات لوب انطفاى درجة الحرارة فان الضلالت تتحرك بسرعة لتولد حرارة دالة وتحدث هذه الحركة على هيئة ارتعاش ( الارتعاش الذي يحدث حينما نعرض لبرد ) واكسيرا تستدق القدم الكثرية لزيادة افراد حرمون الادرنايين الذي يزد في سرعة العمليات الكيميائية وبالتالي توليد الحرارة في الجسم .

فهناك اثن عدة خطوط للدفاع ضد زيادة الحرارة او نقصانها وتوجد في الخ المخطات المركزية لهذه المنظومة منها

فأي منها يستغنى الكائن ؟ وأياً كان يستغنى فرائعات مضللة  
فلا بد أن هناك تفاعلاً متبادلاً بينهما . وأن الصنافية التزام  
مبين قد تاتي بوجود مزامن آخر مما يجعل العلاقة بينهما بالغة  
التعقيد .

وقد قام بيثندري بتجارب كلاسيكية عن إيقاع القلب في  
حشرة الدروسوفيلا *Drosophila* متعلقة بكل من الحرارة  
والضوء . في البيئة ولد وصل إلى أن كل من الحرارة والضوء . تهيئ  
متذبذباً حيوياً . مختلفاً وإن الاثنين يتبادلان التأثير وبالتالي توجد  
بفره مماثلة عن الإيقاع في النباتات ، وربما كان الضوء . يتحكم  
أيضاً في أكثر من متذبذب كما أن أغلب النباتات تحتوي على  
محفلات للضوء . تنظم الإيقاع الصوتي لها وكثيراً من الحيوانات  
الشعاعية تحتوي على عقد عصبية حساسة للضوء داخل الجسم  
وبذلك كثير من الحيوانات أجهزة صوتية متعددة مثل العوينات  
في الحشرات وتوجد كذلك آيين واجهية في القرينات السفلى  
«الإضافة إلى الآمين .. ويعتقد البعض بوجود عقد عصبية  
حساسة للضوء . أيضاً داخل الهمجية في القرينات العليا  
تتأثر بالضوء الذي تنفذ إليها من خلال «القطر» .

وان تعدد مستقبلات الضوء على هذه الكيفية يوضح لنا أهمية  
كزمان بيولوجي .

إذا كان الضوء والحرارة هما المزامنان الرئيسيان فهل يمكن  
أن يحدث تفرع طلق *Free running* في غيابهما ؟ وهل  
تعد هذه المزامنات الحسري صيغة ؟ واسئلة أخرى حائرة لا تجد  
إلا جواباً شافياً حتى الآن .

معدداً فإنه لا يلزم من كل التعلم في العلوم الطبيعية  
أدنى . وفي الحقيقة على العمليات البيولوجية فإن الإيقاع  
البيولوجي ما زال قيداً من التفسير الصحيح وما زلنا نواجه  
مشاكل كثيرة جداً مسائل التي نسلها .

والتماذج الهندسية التي تعتمد على مبدأ الإزداد والتي يمكن  
مقارنتها بما يحدث في الجسم الحي من إيقاع هي المتذبذبات  
**Oscillators** ( حيث مثل لها هو يتناول الساعة )

والتذبذبات هي أصلاً نظام مؤازر *Servoystem*  
أي أنه يميل إلى الحفاظ على حالة ثابتة تمثل الحالة الكهربائية  
التي تصيب مثلاً على درجة « حرارة » ولكن حين يواجه النظام  
المؤازر أي اضطراب في الجو المحيط به ينتج به أي الضوود  
أو التزول عن الحالة التي ضبطت على أساسها فإنه يقوم بالرد  
على هذا الاضطراب بالضوود ثم بالتزول فإن استمر هذا  
الاضطراب فإن حركة تأخذ شكلاً متذبذباً حين ينظم التذبذب  
يصبح إيقاعاً ويصبح هذا النموذج للمقارنة مع إيقاع العمليات  
البيولوجية .

والمشكلة الحسيرة في الإيقاع البيولوجي هي كيف تتفاعل  
الأنظمة المتذبذبة وكيف تنظم ، والتفاعل مثلاً أنتظم الانزاي  
لفترات القلب أو التنسيق بين انقباضات الأجزاء المختلفة من  
عضلة القلب أو التزامن بين القوة القلبية والقوة العروية  
والنغريات في العلاقة بين السرعين على مدى الأربع والعشرين  
ساعة ، وكيف يحدث التزامن في العمليات البيولوجية على  
مدى الأربع والعشرين ساعة ؟ وماذا يحدث إذا غرت العلاقة  
بين الحرارة والضوء في البيئة ووقعنا الجسم الحي تحت  
تأثير هذا التغيير ؟

وتظهر مشكلة التزامن البيولوجي حقائق متعددة فلا يوجد  
هنا أجساد على التذبذب بالمعنى المفهوم حيث أن العلاقة الأربعة  
للتذبذب للبيئة جداً ، وبدلاً من هذا فإن الكائن يحتاج إلى  
البحث عن دخل *input* . بدلاً من هذا فإن الكائن يحتاج إلى  
في التزامن وكسو . الخطر فأننا لا نعرف كيف يدخل في الجسم  
بغارها الجسم للزمان . هل في الخارج يوجد إيقاع ؟ أو إيقاع  
ومتوسط الليل أو غيرها ؟ وهناك أيضاً مزامنات حسيرة هيمنة



# قريتي والقمر

قصيدة للشاعر  
مصطفى عبد المجيد سليم

واطرق القمر  
بعائق الصفاء فوق قرنتي  
بصافح الوجوه في النخيل والشجر  
وبعث الفساء بوقف الدروب

جنيس غريبى الاتير يا قمر  
الله حين يحجب النخيل ظلمتك  
مستحييا نطل من أصابع السعف  
لنتلقى بالصبيبة الصفار  
يباركون بالفناء عودتك  
ويصحبونك الرفيق في دوائر اللعب  
يشاققون في بحيرة الضياء صورتك  
ويطلقون في الألفة المهجورة الخطى السميده  
.. وحينما تغيب لا نرى للهوهم أثر !!

الساہرون غافلون عنك في المدينة  
.. تروح كالقريب في سمانهم  
يمضون عنك للمراقص المفساة  
وتختفى .. بوجهك الكبير في دخانهم !  
وربما للحظة .. تستوقف القريب  
لاته وآك سيد المساء في القرى  
فحين يلتقى بك - القريب - مبعرا







يود لو يطل نظرة احدها  
لكنها الزحام في الشوارع الطوال  
يمد نكه الكثيف في العيون والقلوب !

والساحرون في القرى اسراك يا شعر  
هناك .. حيث يفرغ التخييل للضياع  
تنساب في موالهم جناولا من الخدر  
.. وفي مدى اعمالهم تحقد بسمتك  
يا طيب عجاس تظله خميلتك ..  
في ليلة صيفية طروية التسم  
لا تمتلي جنازها لبلابة الالم  
.. فالتيل فوق كامل القرى .. جبل  
ما لم ترح اقلاله سواعد القمر

والليل في القرى سفينة ..  
بحارها القمصر !!!

# التحفة في الفن الإسلامي

## بقلم بدر الدين أبوغازي

وما زلنا نذكر الساعة الليلية التي أضاءها هارون الرشيد إلى الظلم والظلم وتماثل الفرسان المتحركة القلعة حولها وما حدثته للفرسيين من أذى .

ولنطالع صفات ابن أبي وأخبار مصر ورحلة ابن بطوطه بأوصاف غير يائس الجساري المتحركة ، ولما قيل السحاب والظلم والظلم والظلم الغنية التي امتزها الفنان الإسلامي لحياته بالعلم .

غير أن كل هذا وإن أوفنا على التسرف الفني والبراعه الكتيبة للفنان الإسلامي إلا أنه يشير إلى أننا ما زلنا في نطاق النصوص البعيدة الطبيعة وفي دائرة استغناء الفنون للزينة والجميل ، ولا نستطيع من خلال ما حفلته صفحات التاريخ أن نحدد الميم التحية لهذه الأعمال .

غير أن أروع ما يضع أيدينا على حلة التحات الإسلامي وإدراكه التشكيلي تلك اللوحات من التحت البارز والتحت القلار التي خلفها عصور الفن الإسلامي ... وفيها يمثل آراء الكبير وقسمه التشكيلي .

وبينما لو أن الظروف وجهت الفنان الإسلامي في نطاق هذه اللوحات إلى التصوير الفني في اتجاهين ... اتجاه مباشر حين حور الصور الأدبية والحيوانية وأدمجها مع الوحدات النباتية في لوحاته الضمنية والجمالية التي مثلت صوراً متعددة من الحياة اليومية لم يلتزم فيها تقليد الطبيعة ونمطاً نقلاً مباشراً وإنما جنح إلى التحوير .

وانتاج آخر خفي يمثل داخل دائرة الزخارف التجريدية ولعل هذا الاتجاه صدر عن شغل الفنان بتمثيل الكائنات الحية بفرج الجريد الإسلامي في التحة ناضاً بالحياة ، وهو في هذا يختلف عن التجريد الحديث .. فالفنان المعاصر لجأ إلى التجريد بعد أن أجدها التعبير الواقعي والرواية التشكيلية البليغة ظاهراً في

الفنون الإسلامية في عصورها وبلاذها المختلفة صرحها المعماري الكبير .. وإلى جانب هذا الصرح فتن فرعية : منها ما هو ظاهر معبد المآثم

كالخزف والتسبيح والخط والزخارف ومنها ما كتفه الضلال كفن التحة ... حقيقة لم يفقد الفن الإسلامي هنا كبراً كالنحت المصري القديم أو التحة الإيراني بل هو لم يعرف بعده علة التحة الجسم المستدير بإماده التلاله إذ لم يسه غير أمثلة قليلة من أشهرها التحة الإيراني في عهد السلطنة الذي كان أن يصل في بعض التماثيل الأدبية إلى حد تام التجسيم ، والتحت المصري بصفة خاصة في عهد الفاطميين والعلميين سب لمتايل الحيوان .

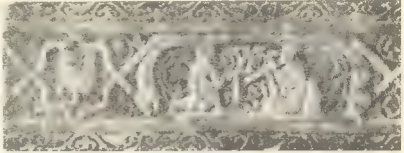
ولقد حور مؤلفات العزيز وابن خلدون ، وصفاً بلحاً كالتب ومعهم البلدان وغيرها آباء التماثيل التي كانت قليلة في الشرق والغرب الإسلامي ، كما حور أوصافها لها .. وهي جميعاً سواء تماثيل السباع من الحجر والرخام أو تماثيل الخفصة والذهب الرصعة بالحجارة النحاسية في أشكالها أو استخدامها القالب لأؤنثة تشير إلى أنها تنقلنا إلى دائرة الفنون النحاسية وإن حاسة التشكيل والتجسيد عند الفنان الإسلامي كانت تنسوغ برامهاها ولكن في دائرة مفهوم ميم لؤلؤة التماثيل في هذه البيئة الاجتماعية .

ولقد في الفن الإسلامي التماثيل المحسوسة ، وصف المني نموذجاً من هذه التماثيل راء في مجلس ندر بن عمر هو تمثال جارية ندر على لولب واحد رجلها مرفوعة وق بها حشافة ربحان فلا ولقد أمام أسنان شرب لم نقرأها فنمور .

قال المني فيها :

جارية ما لجسمها روح في القلب من حبهما نبارج في بها ضلالة تشير بها لكل طيب من طيبها ربح سائرب الكاس عن أشارها ودمع عيني في الفد مسلوح ووصف مهاب في شعره أنواعاً من تماثيل الناقورة تذكرنا بما يرسله من ماء وما يصاد حولها من شموع تدور تماثيل النواير في قصور فرساي التي عرفها ترف الحياة الأوروبية بعد أن دخل في حياة المجتمع العربي قبل ذلك بقرون .





جد . ١٠٠ . النصر العائش  
محمدة ماريان ملاوي - القاهرة

قد مثل النحت الإسلامي الإنسان والحيوان والنبات في إطار واحد ولكن אחד هذه العناصر אחד زخرفي ، اتحاد تمليه ضرورات تشكيليه وليس وراه غموض الرمز وسعده في هذا التلاقي بين الأنواع في مخلوق واحد غامض مثل أبي الهول أو أحد الإنسان والحيوان في حفل الطبيعة كما يمثل « السائير » في البثولوحا الأفرقية .. مل إن الفنان الإسلامي قد أدمج ادماجا بينا الإنسان والعصوان أو الإنسان والطير في بعض

الحسد من تشيل الكائنات . بينما ظل في بعض الفنان الإسلامي طما إلى هذه الرؤيا لم يروه فوجدت « الكفاية التشكيلية » في الفن كما وجدت « الكفاية اللغوية » في الأدب ... وهذه هي مظاهر النحت الطلي التي أواها في الزخارف الفخمية نباتية كالت أو غنمية وفي لوحات الخط الكوفي فواره الكثير منها لمحات من الحياة ، وملاعب وجوه أو أشكال كائنات تكثر نراها وراء التصوير الزخرفي ... وما من فنان أصفى على حروف الكتابة حسه كالفنان الإسلامي سواء كان ذلك بفسلهام الإنشكالي الأدهم والحيوانية في تصوير العروء أو فيما فسلهه إليها صراحة من رؤوس الحيوانات أو الفروع النباتية .

والشواهد على ذلك عديدة تلحقها النظم السبكى سواء الحشوات الفخمية في العصر الطولوني والفاطمي أو زخرف الكتابة بصر أو بغيرها من البلاد الإسلامية كاللوحات الكوفية بالمراقر ولوحات جدران مدينة سمرقان المحفوظة بالمتحف الإسلامي .

ومن هنا يبدو أن التصوير عند الفنان الإسلامي مفس في اتجاهين - اتجاه تصوير الأشكال الأدبية والحيوانية النباتية - تقليديا يمثلها صورة الطبيعة ، واتجاه آخر إلى تصوير الزخارف النباتية والهندسية والكتامة والحفاة مسحة من الحياة ملها تمثل فيها النحت المقتضى وراء هذا التجريد .

### خصائص النحت الإسلامي

يعد هذا التعدد العام للمظاهر النحت في الفنون الإسلامية متقل إلى الطوط الإسلامية التي تشمل خصائصه ودوره في المجتمع الإسلامي وقيمه الشكيلية .

ودور للنحت الإسلامي يلقي مسوبا على خصائصه وقيمه النفسية والتشكيلية فهو لم يرتبط كما ارتبط النحت المعري القديم بالدين وبالتقاليد الجنائزية فلم يكن فنا دينيا وإنما كان فنا دنياو ناعيا وحتى في هذا النطاق لم يكن له دور النحت الكبير كوسيلة لتعبير عن الطلود ولم يستخدم في المجتمع الإسلامي كما استخدم في المجتمعات الأخرى حين الفصل عن الدين لتقليد ذرى الإنسان وتصوير أعماله ومثاليته وإيمانه ومن هنا خلا النحت الإسلامي من الرمز ومن البطاليف .



جد . ١٠٠ . النصر العائش  
محمدة ماريان ملاوي - القاهرة



ميرز - صبح من الجنة - مسجد - اثبات الهجرى

التبسيط أيضاً في لوحات التخت وبمصبغة خاصة اللوحف الحشبية من العصر الفاطمي واللوحات الزجاجية التي وفق فيها الفنان الفاطمي في تصوير الحيوان كالأسد مع إبراز عناصر القوة بأسلوبه من التبسيط والتشويق .

رابعاً : العنسة الزخرفية وهي عنصر ينتمي في الفنون الإسلامية جميعها ويصغر من طبيعة هذه الفنون ومزاج أهلها وهذا التعبير الزخرفي جعل كثيراً من التحفوت الإسلامية لدرج في همدان الفنون التطبيقية .

وعندى أن تراث التخت الإسلامي جدير بأن يعد اللبنة استكشفت للفن المعاصر بأساليبها وحياتها ونفوس تلك القدره الفخرية في النحور وما به من مكثف التوازن بين التيسر والزخرفة ومن السلس الخارجى والتسلسل الداخلى في العمل النفسى وما يجعله من عناصر الجودة والظهور التي يمكن أن

تعد كلاً من

من جهة أخرى ، من هذا النحت لإخراج عناصر هذا التراث المعقدة الزخرفية من الناحية إلى النور وتوجيه الأنظار إلى القيم التي يمكن أن تلمس منه في مصيقل فنوننا وأن تفسر في الظروف وبعضها بأساليب الفنان التشكيلي نحو صيلان جديدة .



سادس من الإنسان والحيوان  
نحت في العاج - إيران القرن السادس الهجرى

أثراء ومثلها التحفوت الحشبية على مجموعه الواح فارسستان فلازور ولكنه ادماج يجعل عنصر الفلكلة اكتسب مما يحمل دلالة الرمز .

كذلك لم يشغل النحت الإسلامي نفسه بالتعبير عن فكرة معينة كفترة الصراع بين الخير والشر التي تمثلت عند الفنان الفاطمي في الصراع بين هورس والمسحاح أو مار جرجس والشيخ ، وإنما كان دور النحت الإسلامي هو تسجيل الحياة الاجتماعية اليومية في إطار من البراعة التشكيلية يحقق معه الوجدان والنظر .

وهذا الدور هو الذي شكلت خصائصه في فن تميز بالحركة في حين تميز فن مصر القديمة بالثقل وإذا كان النحت المصري القديم من نامل وروفاً داخلية فإن الفن الإسلامي من يتساهده وأماح للنظر وملاحظه دقيقه للحركة عذابه وتسموه من تعبها . وهو حكم يشبهه الحياة اليومية اليومية مع الفن المصري القديم في لوحاته المتحركة وفيما يسهل ذلك النحت من حياة الصيد والقتال والرقص ومشاهد أمنى السور ولكننا في مصر القدم يصحى على استحسانه في عدد نوبك منسوخه الطول يمتد لا يشغل الفنان الإسلامي بهذا الأمر ولا يهنيه أكثر من براعة تصوير الممارس اليومي وتعديق التسلق التشكيلي في أعماله والعلانية بجمال التعبير .

والقيم التشكيلية للنحت الإسلامي جددتها خصائصه وهي تمثل بصفة عامة فيما يلي :

أولاً : أنه فن يمثل مزيجاً من العناصر الهندسية والمصنوية ويحقق من التناغم وحدات تشكيلية رائعة ذهب فيها إلى مدى من التوفيق أبعد مما وصل إليه الفنان القبطي .

وهو بالتقاء هذه العناصر يحقق النظام سواء بالترتيب المنتظم لوحده أو بتنوع الحركات والأشكال .

ثانياً : أنه فن قوامه الخط المعقد Le Contour والخط كما يقول بلاك وهيربرت ريد - ليس مجرد تحديد خارجي وإنما هو يستطيع في حد ذاته تمثيل أن يعبر عن الحركة والكتلة وفي هذا وفق النحات الإسلامي لزوع توفيق فمن طريق التعديد الخطي أبرز الكتلة النحتية إبرازاً رائعاً في النحت القبطي والتحت على الحجر .

ثالثاً : القدرة على التبسيط وتمثل تلك القدرة في تمثيل الحيوات من العصر الإسلامي الأول والعصر الفاطمي وما تعويه من عناصر الجملة حتى لتكاد تبدو في تبسيطها وتصويرها التشكيلي ولكنها من إنتاج أحد نحاتي الحيوان المعاصرين ... كما يشغل

## دراسة عن فيلم



ما سم في حصرنا التسويقي من التجارب  
يفرض على الفيلم التسجيلي أن يلاحظه ، غير  
أن نأديتنا المجد يعزل ذخيرة لا تنفسه من  
المود وبات الفسح ، ولا ضرر أن يرى بين حين  
وأخر فيلما يكشف لنا عن هذا التاريخ المير عن أصاقتنا  
بل أنه واجب يلتزم به الفيلم التسجيلي ، وجبنا لو استطاع  
أن يربط بينه وبين حاصرنا .

وقد توفرنا لدينا مجموعة مطافعة من المخرجين دعوا ١٩٨٨  
سجيلة تناولت موضوعات تاريخية ، وكانت أفلاما جديدة بأن  
ممناسا في الخارج ونال الإعجاب والتقدير ، منها : مجموعة أفلام  
سعد تديم « رحلة في بلاد النوب » عام ١٩٦٠ ، وفيلم ولي  
الدين سامح « الحياة اليومية عند فلاح المصريين » عام ١٩٥٩  
وفيلم صلاح التهامي « مصر أم الدنيا » عام ١٩٥٥ ، ومجموعة  
أفلام حسن توفيق عن الآثار الإسلامية عام ١٩٥٦ ، ثم فيلمه  
عن « « اختانوان » عام ١٩٦٥ ، الذي مثلنا في المهرجان  
الدولي الرابع للتليفزيون بالاسكندرية ، وثلاثه المسطرة الأولى  
من بين ٢٥ فيلما .

### لماذا اختانوان ؟

هو أول من دعا إلى الامتنان بأنه واحد لا شريك له . ولقد  
لدعونه أن تكون عالية ، لا تقتصر على المصالح والمخالفات  
كانت أمه الملائكة « نى » أول حكاية من سلسلة التسجيل  
المصرى ، وزوجته هي الملائكة « نوبيسى » الزمالة الجمال .

عندما شيد عاصمته الجديدة « أحيانوان » لم تقسمها إلى  
قسم لتعود الطعام وآخر لتأكل الألبان بل تركها متعطلة .

طالب الفنان بنحري الصلح والارتباط- ماوافق ، فصوره  
بأعضائه غير المتسلطة ، على غير العادة في تصوير الموائد ..  
أبناء الآلهة ( ١ ) . وسمح له برسمه هو وزوجته في عسواف  
سودها الصراخ المتحد . وعمل الفنان في عهده إلى التعبير  
مطوط لينة ، وأبرزت الأحاديث . فالتسبب التقاليد الفنية  
القدسية الجديدة مسحة من الواقعية زادها قيا مثالية .

لقد أحب اختانوان « المائت » أى الطفيلة أو الصبي أو  
العداء ، حتى سعى نفسه « العاشق على المائت » ونطق على  
عاصمته « مقر المائت » . وكان ضيفا في لغاه عن « المائت »  
وخصومه القوياء ، فاحتدم الصراع بينهما ، وفجعت حياته إلى  
دراما إنسانية ، وانتهت بها تنتهى به كل مسافة ، اختفى  
اختانوان ، بفعل مؤامرة . في الملب باللقن .

### ولماذا فاز الفيلم ؟

لا شك أن المخرج وفق في اختيار موضوعه غاية الوفيق .  
والموضوع في الفيلم التسجيلي يمثل مركز التفتل ، حيث  
ترجع أهمية التفكير وأهميته عند هي عليه في الفيلم الروائي

## بقلم هاشم النحاس

وقد كان للفيلم التسجيلي مساهمته الخاصة .

وأصاب المخرج حين لى أحد المتخصصين الدكتور عبد  
المنعم أبو بكر فامده بعناية علمية وفيرة ، كانت خير عون له  
على الرأ موضوعه . وقد استغرق إعداد هذه المسادة وكتابة



### أخسانون

بعض لطلاب عن الرئيس أيضا في فيلم سعد تديم المأخوذ من صور تمثل حياة لسلك في الثورة .

وطوال الجزء الذي انصب على حياة أخسانون فقد المخرج إظهار صورة لوجهه بين كل فترة وأخرى : يبدأ الوجه دائما غير واضح المعالم ويخفى في الوضوح تدريجيا . ثم يعود إلى الاختفاء بنفس الطريقة . فكانت حيلة ناجحة للربط بين الفقرات ، وتأكيد صورة أخسانون ( البطل ) في الألعان ، وكان تكرر الصورة بمثابة تكرر الجملة الأساسية في النص .

ومن الواضح أن مدير التصوير حسن التلساني والمصور صلاح عزمي والمونتير هبة عبده كان لهم دورهم إهام وراء كل جوانب القوة في الفيلم . وعجلة ميده هو رئيس قسم المونتاج السينمائي بالتلفزيون . وحسن التلساني أربط أسمه بأفضل ملامنا التسجيلية عذوما . أما المخرج حسن توفيق فهو أكثر معرجينا الملام عن الأثر « مع اكسيه تخصصا فنيها » وسبق أن نال الجائزة الأولى والميدالية الذهبية عن واحد منها « سود القاهرة » في المهرجان الدولي الثالث للفلام التسجيلية بربما عام ١٩٥٦ « كما نال جائزة «تمرة الأولى والثانية في السيناريو والإخراج عام ١٩٥٩ عن فيلم « مع بدر الجمالي »

التعليق لم كتابة السيناريو حوالي شهرين ، بدأ بمسحة التصوير وتم كتابتي : سبعة أيام في الألف ، وثلاثة في كل الساعة ، ويوم في سقارة « وآخر في ميت رهينة ، ويوم في منطقة الأهرام وثلاثة في المتحف المصري ، أي استغرق التصوير ستة عشر يوما .

وتجمع لدى المخرج بعد هذه الرحلات العديدة قدر كبير من المادة الفيلمية المصورة ( حوالي ٥٠٠ لفة ) ، وقاعة عندما تزداد وفرة قد تطلق اشكالا هو صعوبة عرضها ، لكن المخرج استطاع بالمونتاج والتحكم في حركة الكاميرا الحصول على إيقاع سريع تمكن به من عرض موضوع في حدود زمنية مظلولة ( ٢٠ دقيقة ) دون فحوص أو تشوش . وساعد على جذب انتباه المتفرج .

ورغم السرعة حافظت الكاميرا دائما على تصوية حركتها ، وحرصت على تحليل اللقطة المروضة ، فقام لوحة توحيدت أوجهين مثلا أخذت الكاميرا لحظة عامة لها لم تقترب بمسحة « الزوم » على نقطة التي ترمز إلى توحيد الوجهين في الوسط لم أخذت لحظة من أسفل إلى أعلى لمثل الوجه القلبي ، نتهيا لحظة مماثلة لمثل الوجه البحري ، وأخيرا ينهي عرض اللوحة بلحمه عامه نهائيه .

وبالزاوية المتخارة مع العرض المناسبة ، والإضاءة الجيدة أبرزت الكاميرا الإمكانيات الجمالية في المادة المروضة . أكثر وأروع ما تضمنه تلك الأعمال الفنية الدلالية . جمال . فرائدا أخسانون مصورا بزاوية من أسفل دراز علامه . وعينه أسمره ناعمة من على إلى أسفل لمثل نرسى حارسها الرقعة السفاهة . وعند أول ظهور أجي حارس هو جعل لوحة الأرابيين فهو «تتمثل في الوسط بيننا على الصورة» هذه أرضية سوداء وبهركه ناعمة من عتبه الزوم zoom دبت الحياة في التمثال وفهر كانه يتقدم سائرا نحونا فلم لنا نفسه .

وقد توافقت سرعة القاء المطلق مع حركة الكاميرا وهي تستعرض لوحة الرؤية بين قدمي أبي الهول فبدأ وكأنه يقرأ منها الواله .

وعندما انتقل أخسانون من طيبة إلى كل العنصرية عبر المخرج عن هذا الانتقال لمفاتيح مأخوذة من كاميرا تتحرك بسرعة من الشمال إلى اليمين عبر التبل وتظهر الأشجار على المسافة في الخلف ، أو أحياء وهي تتحرك بالعكس . وكأننا مع أخسانون في سفينة الملكية تنتقل معه إلى عاصمته الجديدة . وتردد ظهور الشمس دائما في اللقطات العامة مبررة عن وجهه بحر أخسانون الذي يرى الله في كل مكان .

وأمام لوحة الرقص والموسيقى اختار المخرج موسيقى القاهرة واستعان بها بالقطع المناسب على محتويات اللوحة ليثبت فيها الحياة فيبدت الأجسام الثانية وكأنها تتحرك على إيقاع موسيقى صادر عنها . وفهم المخرج بذلك نموذجا تطبيقيا طيبا لنظرية إيزنشتاين في قدرة المونتاج على بحث الحياة في الأجسام الثلاثة . وإن كان من الممكن في رأيي أن يصل هذا المثال إلى مستوى أكثر جودة . ويظهر هنا مثال ممتاز من نفس النوع



## ARCHIVE

الإنجليزية التي تهموها - لم يكن مناسبة ، والأداء ينقصه اللون . وإن لجأ الحرج إلى استخدام الصدى عند التلحق بأقوال أختائون ، والصدى يعطى للصوت اميلقا تقريبا من العمق التاريخي ، إلا أن التقليل لم يصل بفكرة استخدام الصدى إلى المستوى المطلوب من الإجابة . وأود أن تشير هنا إلى الإفادة من مشروع الصوت والصور في استخدام الموسيقى والصدى ، واختيار الأصوات ، وطريقة الإلقاء . لقد قدم لنا هذا المشروع نموذجا فنيا وألما من هذه النواحي لابد وأن يرى انعكاسه على السينما .. العاوية لكل فن !

إن الأفلام التسجيلية من هذا النوع بالذات لا تقاو عادة من مثل هذه الماخظ ، وهي تأخذ ذات صيغة تكتيكية في معاملتها مما لا يجعل به يعطى أصحاب الفيلم التسجيلي الذين يتنمون بالضمون ، ولا يثبون سوى الصديق والعرض الواضح لموضوعاتهم الضمنية التي لا يسهل التحكم في مادتها . والحق إن حسن توفيق قدم لنا عرضا صادقا واضحا نسمنا استحق عنه الجائزة الأولى للمهرجان ، وغير رؤساء الوفود عن أمجانبهم الخاص بالفيلم ، بما قدموه من ميداليات ، وهذا ما تمثلت في : ميدالية لينتجراد ، وميدالية الثقافة الإيطالية ، وتمثال بلغاري وآنية زهور تسيكية ، وقلم جبر صيني . ويلعبها فو أخلت وفوننا بهذا التقليد في المهرجانات الدولية .

### بعض المآخذ ؟

فإن أن هناك بعض المآخذ على الفيلم لابد من ذكرها ونجمالها فيما يلي :

لم ينصب الفيلم على « أختائون » وهذه بل تضمن أيضا عرضا مريبيا مطولا لا هو قبل وبعد أختائون بما فليس من التركيز الواجب على الموضوع الإنساني الذي يجعل الفيلم اسمه .

اكتفى الفيلم بعرض موضوعه عرضا معابدا ربط فيه بين أختائون وعصره ولم يربطه بنا رغم ما في قصته حيائه من الجسوبات الصديقة التي تطلب الربط حتى ولو بالتلميح والتركيز عليها .

وإن كان التعليق - يتراد مألوه - يمثل لحد جوانب القوة في الفيلم فهو من ناحية أخرى لم يترك للصورة ما تقوله وحدها ، ولا يعنى هذا أن الصورة لا تقول شيئا ، فهي تقول الكثير . ولكن التعليق يقول كل شيء ، حتى يمكنه أن يستغل بطلانه .

ولم تصل الموسيقى لآ كثير من الحالات إلى مستوى عظمة الموضوع ، وكذلك صوت المعلق الرفيع الرنان ، في التسخة

# الملكحة الصغرى

في عوليس

يقدم الدكتور محمد محمود طه

- ١ - الفصل العاشر : مخور اليه
- ٢ - الساعه : الثالثة بعد الظهر
- ٣ - النظر : شوارع مدينة دبلن
- ٤ - التمر : المواطنون
- ٥ - الفن : ايمكانيكا
- ٦ - القصو : القصة المصوية
- ٧ - اسلوب الكتابة : متاحة
- ٨ - ترجمة الفصل العاشر

## ١ - الفصل العاشر : مخور اليه The Wandering Rocks



يعمل في كتابة هذا الفصل بمثابة مراقبة مهتس بعمل  
بالتجسس والاعمال الخاصة ، او مساح اراض يعمل بمزاولة  
... من ... في ... / بداية « عوليسية » - مشاهدة شاطئ  
البحر ... في ... الشمس ويقرا جملود المسجلة  
ويصحب اضرابها وميلها مع الزرع وسرعة التبار « .

وقد اطلق جويس على هذا الفصل في احدى رسائله :  
الفصل Entre Acte ومن ناحية تطور الحوادث يعتبر :  
كما يقول جويس في نفس الرسالة :

« سكوت في الحركة » A pause in the action  
ويقع الفصل في منتصف القصة تقريباً الا انه يفتح باستقلال  
عما قبله او عما بعده ( رسائل جيمس جويس ، ص ١٤٩ ) .  
ويتنمى الفصل بالحركة الدائرية في جميع مناسباته ، حركة  
بحرية مدلهة ، ومع ذلك فلا جسم في شيء ، على الاطلاق .  
ويثير جويس اهتمامنا بلحياتنا ، كثيرة ولكنه لايشفي لنا  
غليلاً ، ويتوقف الحدث الدرامي احياناً ، وحياتنا اخرى يتلصق  
ويبدو حول نفسه في دائرة كبيرة الساعيا مدينة دبلن باحيائها  
المختلفة وشوارعها وبعض فواحشها . ويشبه الفصل الى حد  
كبير ساعة دقيقة الصنع بداخلها تروس متداخلة من مختلف  
الاحجام في حركة منتظمة دقيقة مستمرة ؛ ولكن الساعة  
نفسها ثابتة في مكان واحد . ويسلك مستر بلوم وستين  
وياتي الشخصيات الذين يزيده عديمهم على الشخصين طريقهم في  
هذه اثناءة . ومن الشخصيات من يقل طريقه ومنهم من يرتطم  
بصخور التيبة الصاعدة ومنهم من يواصل توراته في شوارع  
دبلن على غير هدى .

قصة ثلاثة شخصيات وهمينهم في  
البحر ... في ... من ... عام ...  
والشخصيات الثلاثة هم ...  
و « مستر كيويول ، بولا بلوم ، وزوجته  
« مستر بلوم » او « مولي » ، والبقية هي هيلة ديلن ،  
والقصة سر ما حدث لهؤلاء الشخصيات وغيرهم في مدينتهم في  
من ١٨ ساعة تبدأ في الساعة صباحاً وتنتهي بعد الساعة  
الثانية صباحاً في يوم الجمعة . وتقع القصة في ١٨ فصلاً  
تخلو الثلاثة الاول منها من الرموز الطولية لانها تصاليج  
شخصية « ستين ديدانوس » ، وهو ليس بالشباب الففوى  
التكامل ؛ وكل فصل من الفصول الاخرى رمز عشوى وجميع  
الرموز تكون الجسم انشيري او الشكل التكاملي للقصة :  
فرمز الفصل الرابع هو « الكلية » ، والخامس هو الاعضاء ،  
التناسلية ، والسادس القلب ، والسابع الزئان ، والثامن  
البلعوم ، والتاسع اللع ، والعاشر القصة المصوية ، والعاشر  
عشر الاذن ، والثاني عشر الفصيلات ، والثالث عشر العين  
والايف ، والرابع عشر الرحم ، والخامس عشر اجهزة التواليد  
في الجسم ، والسادس عشر الاصاب ، والسابع عشر الهيكل  
العظمى ، والثامن عشر والاخير والذي يتحدث فيه مستر بلوم عن  
نفسها في مونولوج طويل « الجسد » .

ان نسج الفصل العاشر من « عوليس » يد غربياً وفريداً  
في نوعه في النص الانجليزي الحديث . وقد استعمل  
جيمس جويس في كتابة كل فصل من لفصول القصة تكتيكا  
خاصاً . ويقول فرانك بدجن : « كانت مشاهدة جويس وهو





٤ - المرمز : المواطنون

وبالإضافة إلى رحلة الأبي كوني إلى الرتين ، ورحلة أجسام  
 العالم إلى سانتو ماتو ، فهاك ١٧ صورة أخرى مثل كل  
 واحد منها بصفات شخص واحد أو عدة أشخاص . وهذه  
 النصوص تربطها روابط روحية وكلمية وزمانية بالإضافة إلى  
 روابط العمل والصلوة المشتركة ، كما تربطها رابط دينية  
 وروحية . وبالإضافة إلى هذه الروابط انضمت فهم أجساد  
 أو كل من في اللاد بدوي إلى النص ، وسيله انزاع وإشراق  
 البني ، موضعا التلاصق الرئيس من مكان إلى آخر - فيقدم  
 لنا جويس شخصية ما عن كتب وملتقط جزءا من الحوار  
 والساويل وبينما نحن فيها نجد فجأة وبدون ملاحظا  
 قد انتقل بالكاميرا وبإيجزة السبيل إلى مكان آخر لطينتنا  
 اشتبا من أفكار شخص آخر على يد ميل أو أكثر من مكاننا  
 الأول - ثم فجأة يتغير المكان والنصوح : وتتصلب الأجساد  
 بالنسبة للمكان الشاسع من حولها وتبدو وكأنها تلام متحركة  
 بسبح في فضاء ، كبير ، وتصبح مدينة ديني في حجم مملكة النص  
 يتغلغلها جويس عن كتب ، أو بقية صغيرة يتناثر إليها من فضاء  
 بروج عال . وقد نركض مجره على رفعة منها يتغلغلها كلام  
 سريرون .

ويمكن القول بأن معظم شخصي عويس ويبلغ عددها ٢٠٠  
 ملحق هنا أما بغيرها وأما عضيته ، ويبلغها جميعا غطا سير  
 واليه عويس في المنظر الأول وأماكم العام في المنظر الأخير ،  
 ونفس الأب كعوي السجح أو الكتيبة أو البطلة الزهوية ،  
 ومنه إلى دولق . العام ، السلطة الذرية أو  
 الثروة ، بيت أو نسو وهذا الترفيع هنا الظريمن  
 سال : من الكتيبة وطريق الدولة ، طريقان يبدآن  
 وينتهيان في نوى كتيبة الفردية الخاصة اللغوية التي  
 منها تمضي لشخصي كافي .

ويعبر والمسيح شاة وسباعان . ولا تعارب معانها ،  
فقد اُعلى سكان ديارن مثل زين يعيد ما يقصر تقصر وما قد ش .  
والن منها يكمل الآخر وهو دى لسكان ديارن الذين يحبونها  
والذين يتقبلون من معانها النقية ومن الآخر البركان  
وتنشد الى عقل الاب كوني في انتظار الاول وتقرأ افكاره  
الروح افكار رجل يترك متطرف طاهر يحب للغير مشغول بالمر  
والواجب الكثيره التي يمكن صلاتها من السمر والصبر واتى  
لم يتلها الترسالة . ولكنه يعود فيذكر ان في خلقه شيئا  
لا نعلمها . وسواء كانت السماء صافية او مليئة باليوم  
فان الاب كوني سعيد على كل حال . وفي طريقه الى اديس  
يقول في هام متعبه اتي الصواب اتي بلايضا لنشر  
الايان .

اما افكار الحاكم العام فلا تعلم عنها شيئا وكذلك افكار  
البلدي دودل ولكن للاصغير لاحتل صاحب ، فقد كانت اجرائه  
ترجع تحت عب الحكم البريطاني في ذلك الوقت . وتلطف  
لا من الاب كوني وايرل دودل في طريقه الى تادييه مهمه  
اناسيه . فيذهب ايرل دودل لانتاح سوق خيره لصالح  
مستشفى جيرمر والاب كوني في طريقه الى اترين يسمى  
لايچاد مكان في ملجئها لاحد ابناء دويتام اكنوي  
وذهب الاب كوني الى اترين عن طريق ميدان جونجوي  
شارع جريت شارف طريق اشغال الدواي طريق نورث

وربما توجه العنف الشديد إلى جويس لأنه يعتقد الأمور بهله  
التيكون فوق ميرد . ولكن اثنان من عمسى " الزئكان " ولا  
يمكن لشخصه ان يتشبه في اطار بقير زمان او مكان .  
فاضمة الخرافية ان تشبه بالمارة " كان فيه مرة " او  
" كان ياما كان " فون نصديه وهذا يذترنا بالخط الذي تتنيز  
به منهم . كتابات الواسطي - فرسيا الفصحى به  
" زمان " فون جوسوسكي ويكتو هو منتسب القرن التاسع  
عشر في الجئرا . فائزمان يعطى معنى لشكلان . وزمان جويس  
هو عام ١٩٤٤ وذلك ليس سكان ديلن ملاين ذلك العصر  
ويحسون مشروبوا كما يتداولون في شعوعوا . ويختل جويس  
كل هذا به ميرد وسير اثنان حيثما هو عقاة السامة .

٣ - المنظر : شوارع ديلن :

لقد كتب جويس هذا الفصل وخريطة مدينة دبلن بين يديه  
وعليها كتاب حيدر الاب والعمام امام بالبحر الاحمر  
واقام بصباح الزمن الذي يستغرقه الفرد في السير من مكان  
الى آخر فتمتدته حين حسابا دقيقا ، وقد كان جويس من هؤلاء  
السير على الاقدام منذ صباه ، ومن الواضح ان بطل هذا  
الرواية هو مدينة دبلن ، فقد اراد جويس ان يسقط اوصاف  
عليها لا على سائر اوج بلوم او اجد الشخصيات الاخرى ، فلا  
شخص من الشخصيات يستطيع ان يحدث هذا الفصل ويستبد  
الهيمنة لنفسها امامنا بشواذها واذهابها ومبايها ومغاربها  
وحظوظ نازها وارسلها وسجودها وقنواها ، وتظهر  
الشخصيات كلها على ما هي في حالتها اذيتها وغبارها ، واجبا  
الهيئة مناهات بالقياس لنا وسائر الحيلولة ودورها في  
النسبة لسكان ادا ابعوا طرفها رسميا ، كمن  
العادر ونحن نعلم خطبانا في هذه لقاء ، بل حسنا  
الطريق .

وبعد الفصل في الساعة الثالثة بعد الظهر إلا حصى دافني  
وتنتهي في الرابعة تقريبا . وحصله الفترة هي الفترة التي  
تسبق الحركة الدافية في المدينة قبل الساعة الخامسة .  
يختلف سكانها الأسبيليين زوار غربا ، وشوفا . فتلطظ مثلا  
إن الرجل الأمي وهو يعمل في شد أوتار البياض وأصلحها  
بشمس طرية بالخمس في هذه أفتاة ، أما كاتيلين بويل  
أوكورن فترموديس ترزاف دافيل بصفاء ونسمة ومهبط  
السوي فتيوتو كالاني حول عملة الزور منجها لى ومهبط  
لتعلمها إلا أن طرية يوحى أينا بالحرمة الكولوية في معاوله  
لفرجوا من هذه أفتاة أو كما في البدء التفتان واسلم إلى  
يلهو بها الأطفال . والرجل العزيز لئلى يرتضى مسلما من  
اتشمع ، وهو الشيخ زام ١٣ في جنازة ديجنام ، يتناقص مع  
النيار في غير هدى وهو يقضم خبزا جافا . وصتري برين الذى  
يقاسى من أساسيا بالظمم وجوعى القصبة الزلال يفتح  
معلومات ثانوية تمكته من دفع دونى بسى بطله فى عثرة  
إلى جنبه كتحوى من شخصي لا يرهه . كل هذه الشخصيات  
وغيرها ترحل في شوارع دبلن وعلى أرمصتها على الأمام  
بيد ، ماعدا الأب كولوى والمبدؤا ارتبوا على معلم الموسيقي فتد  
ربما أترام . اماوكب الحكام العام فيتحرر في عربتين  
جرهما البقر .





لقد كان الأب كوني حقا يتمتع بصحة رائعة ، ربما ذهب  
« يا كستون » من أجل مياهها المعدنية . وبولائه ، هل  
يصدقون في استهتيمه ؟ بلغدري ؟ صحيح ؟ كان الأب كوني  
صحة جيدة جدًا . وكيف حال مستر ( شفي ) ؟ نفس ؟ آلا ؟  
في لندن . لا زالت الدورة البرلمانية مستمرة ، لا شك في  
ذلك . كان القسيس جيلا ، وأما حنا ، نعم ، كان من المحتمل  
أن يعود الأب « برنارد فون » نانيا لولغا . أي نعم ، لقد  
أمررت نجاحا عليا . رجل رائع جدا .

الم تكن هذه السيدة مسر ماجينيس ؟

وانتخب مسر ماجينيس بوفار وشعرها الفضي للاب كونى  
بالتحية من على المني الاضي الذي كانت تهادى عليه .  
واسم الاب كونى وحياها ، كيف حالها يا ترى ؟

لها فامة رائحة . كمباري ، ملقة أسكتلندا او ما يشبه . ومن  
الغرب أنها تعمل في الزهونات ، والآن ، مثل هذه ، كيف  
بصها . . لها الظلمة الملكية .

مشي الاب كونى في شارع شارل العظيم ونظر الى الكنيسة  
الحررة الموصدة على يسارها . القسيس ت. د. جرين و  
ليسانس اداپ ، سوف ( ان شيا الله ) يخطب . يسمونه  
« المرتق » . كان يشعر بان زماما عليه ان يلقى بضع كلمات .  
لكن الاولى ان يحسن الظن بالناس . جهل متاصل . يطلوب  
في حدود ما اتوا من نور الهداية .

دار الاب كونى حول الناصية وسار في طريق الشمال  
الداثي . من المصعب الا تكون خط برام في طريق عام كهذا .  
مؤكد ، كان يجب ان يعد فيه خط .

ومرت مجموعة من التلاميذ يحملون شتطهم عابرين من شارع  
رثسمود . ورفلوا جميعا فيمات غير مرتبة بالسجدة . وحياهم  
الاب كونى اكثر من مرة برفلة ، صبية اخوة في الدين .

استم الاب كونى رائحة نفاذ على يمينه وهو يسير . .  
كنيسة القديس يوسف ، في سكة بورتلاند . للمجسار  
الغضاض ، رفع الاب كوني فبه . هذه اناس الماركة . .  
فانصاف : ولكنهم احياءا سيطحات اللسان .

يجوار دار اودوردو فكر الاب كونى الى « دار البيرة » .  
والآن اصبح المكان مكسا او ما يشبه .

بدا الاب كونى سيره في طريق نور سكرارد وحياها صغر  
وليم جالاهاز وكان يلف في مدخل مطلة . حيا الاب كونى  
مسر ولیم جالاهاز وشعر بالروائح المنبثقة من شرايح لحم  
الخنزير ومن الاجاث الزيد الواسعة . ومن يحمل جروجان  
للطبال وقد استندت في اهل لافئات مائلة عليها انبه كارتة  
لفطحة في نيويورك . في انركا هذه الاشياء دائمة الحدوث .  
مساكين هؤلاء الناس بموتون هكذا ، دون نهضة . ومع كل ،  
ففيه نمو لجميع اللنوب .

مر الاب كونى بجوار مشرب دانييل بيرجين وكان تستمع  
عند عابذته مسلمان . وحياها ورد عليها المسية .

سار الاب كونى امام مؤسسة هـ . ج . اونيل لنال الموس  
حيث كان كورني كيار يجمع ارقاما في دفتر اليوميات وهو يصف  
عود دريس . حيا كونوسمال في دورة الاب كونى ، وحيا  
الاب كونى الكونوسمال . في محل « بوكستر » ، جزار  
الخنزير ، شاهد الاب كونى انواعا من سجي الخنزير ، يصفها  
وسودا وحجارة ملقاة بنظام في شكل اتابيب لوكية .

بحت اشجار « لشارفيل مول » راي الاب كونى بافلة لحجم  
المستغفات راسية ، وحصانا لجر الرماك براس مثقلة ومراكبي  
على راسه قبة فلدة من القش غاما بين الرماك يدخن ويصعد  
في فرع شجرة خور فوق راسه . مثقل ريفي خلاب : وراح  
الاب كونى يكثر في نهاية الخفاق الذي جعل هذا الفحم في  
المستغفات لكي يستخرجه الناس ويحملونه الى المدن والقرى  
ليكون منه فلودا في بيوت الفقراء .

على كوربي « نيوكومين » دكب الاب الوافر جون كونى (عضو  
جمعية المسح ) من كنيسة فرانسيس اجزاير بشارع جاردنر  
العلوي ، ارقاما مسجلا الى خارج المدينة .

من ترام متجه الى المدينة نزل الاب المحترم بكوناس دولي  
( كايوس كولنج كامبردج ) ، من كنيسة سانت اجالا بشارع  
وليم السطالي ، على كوربي نيوكومين .

وقد استعمل الاب كونى ارقاما متجها الى خارج المدينة عند  
كوربي « نيوكومين » لانه كان يكره ان يعبر الطريق الضيق المار  
بجزيرة الوحل .

جلس الاب كونى في دكن من عربة الترام وتلذذة زرقاء  
منسوسة بمثابة في عروة فقاذه المصوع من جلد المايز السحي  
سما اربل من بدء الاخرى المفردة ارمه شلاب وقطعه من  
ذاب الستة شلاب وخمسة شسات الى كيس ثنوده . وعند  
مروره بالكنيسة التي ينفذها نبات الليلاب جال بصفافه ان  
مغش التلجج عادة يقوم بدورته بعد ان يكون الرماكب قد انلى  
بذكرته في اعمال . بدا وفار ركاب العربة للاب كونى اكثر  
مما تقتضيه رحلة قصيرة وزهيدة الاجر كذلك . كان الاب كونى  
بسب الوافر الخرج .

كان اليوم هادئا . كان السيد صاحب النظارات الجالس  
في مواجهة الاب كونى قد انتهى من شرح شيء وفي من بعده  
اعتد الاب كونى انها زوجته . ولفشت زوجة السيد صاحب  
النظارات فها بالناظير . ورفشت قبضة يدها الصغيرة المقفلة  
وتلاوت برفلة وهي ترست قبضة يدها الصغيرة المقفلة على  
فمها وهي يسمم انفسه حلوة طفلة .

... كونى مبرد في العربة ، ودارك اصحاب الرجل  
... كونى مبرد في العربة ، ودارك اصحاب الرجل  
المعد .

وكان الاب كونى ... راف عند سور مدبح الكنيسة نحو  
صمودة في وضع خيز النزال في فم الرجل اللطيفة المجوز  
اذ كاتب راسه يرضى

عند كوربي « اسلي » توقف الترام ، وبينما كان على وشك  
التحرك نهفت مجوز فجأة من مكانها لتتزلزل . وجذب الكيساري  
حبل الجرس ليوقف العربة لها . وخرجت بسلتها وشبكة  
السوق : وشاهد الاب كونى الكيساري يساعد في النزول  
سلتها وشبكها : وفكر الاب كونى - حيث انها كانت على  
وشك ان يفوها النزول في محبتها - في انها احدى النفوس  
الطيبة التي لا بد ان تعيد عليها القول مرتين « مارك انا فيك  
يا بنتي » ، وانهم قد غار لهم « دعواتك لنا » . الا ان لديهم  
هموما كثيرة في الحياة ، وشكلك عديده ، مساكين هؤلاء .  
من لوحة الاعلانات نشر مستر بوجين ستراون للاب كونى  
بسلتين زنجيتين خضيلتين .

راح الاب كونى يفكر في امر ارواح السمور والسود والفسر  
وفي خطبته التي القاها من سانت بيتر كلافي ( عضو جمعية  
المسيح ) وفي الارشائيات الى افريقيا التي نشر الدين وفي  
ملايين السود والفسر الذين لم يتفهموا في الماء  
الممس عندما اتى اجلم غرة كالنسي في الليل . ذلك الكتاب  
الذي كبه اليسوي البيلجيكي مدناون « عند الصقوة » بدا  
للاب كونى انه يمشي على حجة مفعولة . فتلك الملاين من  
الارواح حلقتا انه على صورته ولم يلفها الرسالة ( وذلك باهر  
الله ) . ولكنهم عيال الله ، خلقهم الله . وخيل للاب كونى انه

من المؤسف ان تصل كل هذه الارواح ، خسارة ، اذا كان للمرء ان يقول هذا .

عند محطة طريق « هوث » نزل الاب كوني وحياء الكيمساري ورد للكيمساري التحية .

كان طريق مالاهايد هائلا . وسر الاب كوني بالطريق واسم الطريق . كانت اجراس الفرح تدق في مالاهايد المرحية . لورد مالبوت دي مالاهايد ، الوريث البستاني للورد ادميرال آوف مالاهايد وماجاورهما من البحار . لم دعا داعي الحرب وكانت عندها لم زوجة ثم ارملة في يوم واحد . تلك ايام من الايام الخوالي ، يعود من الولاء في بلاد سمعية ، سوائف الايام في البارونية .

فكر الاب كوني وهو يسير في كتابه الصغير « سوائف الايام في البارونية » وفي الكتاب الذي يمكن كتابته من منزل البسويين وعن ماري دوشلورت ابنة لورد مولفورد ، كول كونيسة المقابلة بلندير .

سيدة فاترة الهمة ، لم تعد شابة ، وسارت وحيدة على شاطئه بحيرة « اينيل » ماري ، اول كونيسة بلندير ، نمتي في سام في النساء ولم تحرك ساكنا عندما هو كتب لها في البحيرة . ومن كان يستطيع ان يعرف الحقيقة ؟ لا لورد بلندير الفيور ولا الفيس الذي اعترفت له بكنهه ان يعرف اذا لم يكن قد افرغ انرا كاملا (1) *enquaiatio semplex inter vas naturale mulieris* مع شقيق زوجها ؟ فلو لم تترك الاتم كله لكان يوسمها ان تعترف انرا في جزئيا كما فعلت النساء . والله وعده هو الذي يعلم وهي وهو ، نسفى زوجها .

فكر الاب كوني في هذا الانحلال الجنسي . ولكن صر و على كل حال للجنس البشرى على الارضي ، وفكر في سبل الى التي ليست مبيها .

جال « دون جون كوني » في سالف الزمان . كان محبا لبني الانسان مكرما بينهم . كان عمله يحمل اسرازا لؤمين عليها وكان ينسجم لانتسابات وجوه تبيلة في غرف استقبال تلعب ارضها بالشمع مسقلة بمناظير كاملة من اللامعة . ويدان ، احدهما لعروسة والاخرى لمريس ، يد تبيلة ليد تبيل ، ضم راحتيهما « دون جون كوني » .

كان اليوم ساعرا .

كنشت بوابة حقل للاب كوني عن ترابيع من القوتب ، تعيه بارواها السفلية الفضاضية ، ارته السماء طليما من السحب الصغيرة البيضاء تحرك ببطء مع الريح . بقول الفرنسيون : *Moutonner* لفظة مواضمة ومتناسية .

راقب الاب كوني ، وهو يقرأ الورد ، فليعا من هذه السحب وهي نموج كالنجم فوق « راتكولي » . واحس بجذامات الزرع في حقل « كلوجوز » بتدفع رسفهم من خلال جوربه الرقيق . لقد سار هناك في السماء وهو يقرأ ، كان يسمع صياح العصية وهم مصطولون لليب ، صيحات شابة في السماء الهادئة ، كان مديريهم : وكان عهده متعلا .

حلج الاب كوني فلفاه واخرج كتاب الازرد ذا الحواف الحمراء وهدته الى الصفيحة المطلوبة علامة من العاج .

(1) « كاترود في الكلمة » .

ورد الفهيمة . كان يجب عليه ان يقرأ هذا قبل الفداء . ولكن ليدي ماسويل كانت قد حضرت .

قرأ الاب كوني « ايانا القى » و « السلام عليك يا مريم » فراءة صائفة ورسم علامة الصليب على صدره *Deus in auditorium* ( ان يكون في العون ) .

سار بهوده وهو يقرأ بصمت ورد الفهيمة ، سار وهو يقرأ حتى وصل الى « د » في « طوبى للاظهار » : « راسي كلامك حتى والي الفهر كل احكام عدلك » .

خرج شاب محير الوجه من لفرة في سود تباد بعبه شابة بيدها زهور الحوان برة رؤوسها منكمسة . رفع الشاب قبضته بنعية مضطربة : وانهدت الشسابة بسرعة وانتزعت ، ببطء وحرص ، مسلوفا كان عاقلنا بنسناها الخفيف . (A)

ماركها الاب كوني بوقار وقلب صفحة رقيقة من كتاب الصلوات :

« شين » : رؤساء المصلدون بلا سبب . ومن كلامك جرج فليبي .

- ٢ -

اعلى كوني كيلر دفن يومياه الطويل ورقق بين ذبله غطاء من خشب الصنوبر تثابت بصف كالجاس في ركن . وانصب وذهب الى الفضاء واقاره حول مسوره ونظر الى شكله واجزائه الطائيه . وترك غطاء السسايوت ، وهو يمشي عودا من لغربي . ودفع الى باب الحل . وهناك عدل « صعد لستقل عدا . وامسكه الى حلق الباب ينظر الى الخارج في كاسل .

صعد باب حول كوني الى كرام دولي ماونت على كوري

وكريبي . (1) صعد كوري كوري حلاله وحقق وقبضته مائلة الى اسفل وهو يمشي عود الدريس .

بوقة الكونستابل رقم ٥٧ من الذي كان في دورسه لبيوس بمضي وقت اليوم .

- انه اليوم صحو يا مستر كيلر .

- اي اسم ، اجاب كوري كيلر .

قال الكونستابل :

- خلق نوعا ما .

اطلق كوني كيلر من فمه بصفة من عصارة الدريس على شكل قوس في صدم بينما القى ذراع ابيض سخى من نافلة في شارع اكليبي ببطء نقود . (٢)

سال :

- ما هي احسن الاتباء ؟

قال الكونستابل بصوت حبيس :

- لقد رايت تلك السيدة بالذات مساء أمس .

- ٣ -

دار بحار اخرج على عكازه حول متطلف « ماكونيل » وحل بعربة « رايويلى » للجلياني ، وعكز في شارع اكليبي ، وفي مجاه « لاري اورد » الذي كان يرتدى قميصا ونف في مدخل مطه زق في صوت يفيغي .

- في سبيل التجترا .....

ودفع بنفسه بعكز الى الامام مارا بجوار « كاتي بودوي

ديداوس » ، ثم توقف وضمق :

ورفعت كاس غطاء القلاية بعثية من ذبل ودانها البقع

وسالت :

— وماذا في هذه ؟

وانطلقت رائحة في نكتة قوية لجيبها .

فالت ماجي :

— شوية بللّاء .

سالت كاسي :

— من اين آتيت بها ؟

فالت ماجي :

— الاخت ماري باتريك ؟

وفرغ المناقوس :

— يارارانش !

وجلست يودي الى المائدة وقالت بجوع :

— هاتها لنا هنا .

وصيت ماجي حساء كيتا اصغر من الحدة في سلطانية .

وعالت كاسي : وكنت تجلس في مواجهة يودي ، وأطراف

اصابعها ترفع الى فيها اشتالا من فاك الخبز :

— كوسي التي غمتنا اذ كده ، حين « دلي » ؟

فالت ماجي :

— ذهب لغسل والدنا .

والصفت يودي وهي كتبت لهما كبيرة من الحبز وسقطها

في الحساء الاصفر :

— انا الذي لسي في السموات .

رحبت ماجي وهي تصب حساء اصغر في سلطانية كاسي :

— يودي

مكرسي « سبالي » ايليا » : كان ينساب برفه

في حجر كاسي تحت كوبري « لوبلان » مصطعما

في كاسي سوط باهمة الكباري ، وأخذ يهر شرقا

والجراي بين حوض السن القديم لبني

أ جدر « رصدة جود » ( ١١ ) ( ١٦ )

— ٥ —

فرشب الماء السفراء في محل « تودنون » قاع السلة

المصنوع من القش بقصاصات من ورق السلوفان . وتناولها

« بلايز بولان » الزجاج الملوقة في ورق وردي ناعم وفنتية

صغيرة .

قال :

— ضعي هذه لولا من فضلك .

فالت الفتاة الشفراء :

— حسنا ، والملاكمة من اعلى .

قال « بلايز بولان » .

— كوسي كده ، مين الصواب .

ونسعت كمرات مسجونة تنسيقا حسنا ، كل راس بجوار

ذبل ، وبينها حوات نافضة متوردة المصود .

وتنفل « بلايز بولان » هنا وهناك في حذاء جديد ينس

فاتح في أرجاء الحل الذي يلوخ برائحة الفلاكة يرفع الفواكه

مثل الملمط اللثة الطومة الفضة المتظفة الحراء مسنشتقا

الروائح .

ومرت هـ . يـ . لـ . يـ . زـ في طابور امامه ، طوال بقعما

يسماء ، عبر حارة طنجة ، يكدن في السير الى هدفهم خطي

مشاطه - ( ٩ ) ( ١٦ )

— الوطن والجمال .

قبل كستر « جـ . جـ . توملي » صاحب الوجه الشاحب

الذي اذبلته الهمسوم ان مسر « لامبرت » في الحزن مع

رائر . ( ٨ )

توقفت سدة مكتزة واخرجت بنسا من كيس بعودها والتت

به في القنطرة الممدودة لها . وشكرها اليحار متفجرا ثم نظر

بمرارة الى التوافد الصماء ، وأطرق براسه ودفع نفسه الى

الامام اربع خطي على عكازه .

وبوقف وزفق يقضب :

— في سبيل اجلرا .

وبوقف صبيان حافيا يمهان شرائط طويلة من حياوي

الريسوس بالعرب منه وفجرا فاضهما اللطخين بلون الحاوي

الاصفر ناحية غلب ساقه .

ومكر في دعوات قوية الى الامام ونوقف ورفع راسه نجاة

بافلة ونبح بصوت عميق :

— الوطن والجمال .

واستمر التفريد الطيب المرح والصغير في الداخل مقدار

جملة موسيلية أو التئين ثم توقف . ولزيت ستارة النافذة

جنباً . والذا بطسافة : حجرات خالية : تنزلق من الصلابة

وسقط . وظهر ذراع غلي عاز سخي ، وراه اليحار ، ممدودا

من لحيي نوم ايحيي بحصالت ضعيفة . وطوح بد امرأة دقلمه

من القنود غير سور التزل الهنديتي وسقطت على الرصيف

فصرع اليها احد الصبية واتخطها والى بها في غلر

المسول الشار فلا . هاز ما سـ

— ٤ —

دلفت كاسي وبودي ديدالوس باب

الما .

سالت « يودي » :

— هل درست الكتب ؟

امام الكانون حشرت ماجي كتسله رمادية من سحب رلاري

الصايون التي تقلي بعضا القلبة وسعت عرك جيبها .

فالت :

— في نديبرهم لا تسوي الكتب بنسا .

كان الاب كوني يسيير في حافل كلونجوز وچلدام الزرع

تدليغ رصيفه من خلال جوده الرقيق . ( ١ )

سالت يودي :

— اين حاولت رهنه ؟

— محل مسز ماجيتيس .

وفرقت يودي الأرض بدمها والقب بقطبه كهبها على

المائدة .

صاحت :

— لخص يشاط وشها الميمبر .

واقتربت كاسي من الكانون وبظرت بعيون حوله .

سالت :

— ماذا في الوعاء ؟

فالت ماجي :

— قيصان .

وصاحت يودي غاضبة :

— يا الهي ، اليس هناك ما ناكله ؟



واستأجر فجأة ناركا سلة صغيرة من العراولة وأخرج  
ساعته الذهبية من جيبه ومدها لأخر ما سمع السلسلة .

« هل يمكنك إرسالها بالترام ؟ الآن ؟ »

كان شخص في حلة سوداء يتنصص كبا على عربة بائع  
مجنول تحت قوس « ميرشات » (٩)

« بكل تأكيد يا سيدي ، هل المكان في المدينة ؟ »

قال بلاتريز بويلان : نعم ، عثر دفاتي .

وباولته الفتاة الشفراء بطلاقة ولها .

« هلا كتبت العنوان يا سيدي ؟ »

وعلى طارئة البيع كتب بلاتريز بويلان العنوان ودفع إليها  
بالطاقة .

قال :

« ياسيدي نوا من فضلك ، انه لربحي . »

« نعم يا سيدي ، سوف افعل هذا يا سيدي . »

وجعل بلاتريز بويلان قطع النقود المسبوبة في جيب  
سرواله :

« كم سأخسر ؟ »

أخذت أصابع الفتاة الشفراء التحيلة بعض المالكة .

نظر بلاتريز بويلان إلى داخل حصة بلوزتها ، كتفونة صغيرة .  
وتناول قرنفلة حمراء من الزهرة الطويلة .

سأله بزهو :

« هل أخذت هذا لي ؟ »

فانقلب إليه الفتاة الشفراء من جانب ، صارت معها كان  
النم ، ودمعه غصمه بلونه فله . وأصر بجيب حذائه

ولفت :

« بالطبع يا سيدي . »

وانتهب بغير لحصى الكسرى السنية والقوق العر  
مره أخرى .

ونظر بلاتريز بويلان داخل بولوزته .  
الزهره الحمراء من أسنانه الجسمة .

سأله شططه :

« ممكن أتكلم مع بلسونك يا أستاذي ؟ »

« - ٦ - »

قال اليدانو اريونوي :

« لكن ! »

ثم نظر إلى فروة رأس « جولد سميت » ذات الشعر الجمعد  
من فوق كتف ستيفن . مرت على رجل عربان محملتان بالسياح

يجلس نساءهم إلى الأمام قابضات بلا حياة على القضبان .  
وجوه شاحبة ، وسواعد الرجال بلا حياة ملقحة حول جنوحهم

المتضخمة ، انقلبوا بأنظارهم من مبنى كلية ترينيتي إلى ردة  
منك أيرلندا الففل من التوافق ذات الأعمدة وكان الحمام فيها

يهرد در در .

قال اليدانو اريونوي :

« وأنا أيضا كنت تجول بخافتي مثل هذه الأفكار لما كنت  
شابا متلك ، التي واثق أن العالم حيوان . أفر يدعوا للإسف . »

لأن صوتك سيكون مصدر كسب لك ، فيها ، على العكس ، أنك  
نحصى بنفسك .

قال ستيفن مبتسما وهو يهز عصاه هزات بطيئة بخفة من  
وسطها .

« تصحية بدون دم . »

قال ذو الشارب صاحب الوجه المستدير متلففا : فلننضم  
بالرجاء . ولكن اسمع نصيحتي ففكر في ذلك .

على مقربة من ذراع « جرانان » الصخرية المتصلبة ، ناسر  
بالوقوف ، أفرغ ترام « انشيكور » حمولة مفرقة من جنود

فرقة هابلاند الموسيقية .

قال سيغن وهو ينظر إلى ساق السروال المدين .

« سأفكر في هذا . »

قال اليدانو اريونوي :

« ولكن يجب ، هيه ؟ »

وأخذت يده الثقيلة يد سيغن بهزم . يكون مشربة . حملام  
مستظمة مقدار لحظة ثم التفتت بسرعة تجاه ترام « دوكي » .

قال اليدانو اريونوي في عجلة الصديق

« ها هو ذا ، نعال إلى ، وسننظر في ذلك ، إلى اللثام  
يا عزيزي . »

قال سيغن وهو يرفع قبعة يده أن تعرجت يده :

« إلى اللثام أيها الماستر وشكرا . »

قال اليدانو اريونوي :

« على ماذا ؟ مضرة ؟ هيه ، خطا سيدي . »

عرج اليدانو اريونوي يخط في سراويل فطاشية خلف  
رم « دوكي » واقفا يده مشبرا بكراسة موسيقية ملفوفة

على كتفه . وعينا عرجول ، وعينا كان يشير في فصار  
نوا من شفتي جبال اسكتلندا عراة الركب وهم يهرون الاب

موسيقية من مدخل كلية ترينيتي .

« - ٧ - »

أحد مني إلى سلة عرب الرءاء الأبيض « الذي أسعارته  
من مكة » تسارع « كابل » في مؤخرة درج مكتبته وذهبت

صاحبه من القبول الزايفي في ألها الكتابية .  
أيسا دعاه كرسية . حل ما يرى روح لك ، ماريون ؟

فليستعمل نه آخر بقلم « ماري سيسيل هاي » .

سقط القرص داخل المجرى ، وانتهز لحظة ، لم توقف مدحفا  
فيهم : ستة ، (٩)

دفعت مني « دان » على مفاتيح الآله الكتابية :

« - ١٦ يونيو ١٩٠٤ . »

استأجر خمسة رجال طوال من عامل الإعلانات يقبضاتهم  
البنيضاء بين ناصية « موني بيتي » وقاعدة تمثال « ولف تون »

حيث لا يوجد التمثال وانثوا كالتباين بالأحرف هـ . ي . ل .  
ي . ز . وعادوا متتالين من حيث أنوا . (٥) (١٩)

وحدثت في الإعلان الكبير الذي عليه صورة ماري كندال ،  
غاية فائقة ، وراحت في فطور وسام نظف رقم ١٦ وحرف س

عدة مرات على ورقة . شعر صغراوي وخدود ملطخة بالساحي  
أنها ليست جميلة ؟ طريقة دفعها لمسافها القصير . يا ترى

هل سيكون هذا الشيء في حلة الرقص هسهة اللية ؟ لو  
استطعت أن أجعل الغياطة تنفع لي جونتلة واسعة الذليل مثل

جونتة « سوزي ناجل » . هذا النوع عرش بمظلة في الرقص .  
لم يستطع « شانون » وكل اللتيان في نادي اليخت أن يحولوا

بصرهم عنها . هسه لا يجيشي هنا حتى السابعة .

وبت جرس التلويون بوقاحة في أنفها .

« هالو ، تم يا سيدي ، لا ياسيدي . تم يا سيدي . »

— أما حتى لك جدا يا صتر لامبرت ، ولن أجور على وفك  
الشيخ .

قال نيد لامبرت :

— العلو يا سيدى ، نصل متى شئت ، فلنل الأسبوع  
الغام . هل ترى الطريق ؟

— نعم ، نعم ، أصبحت مساء يا صتر لامبرت . أتى صديق  
ممر فكت .

اجاب نيد لامبرت :

— أتت الانى سمعتنى .

وتبع صيفه الى المخرج وهو يهرك يده الرفيعة بين الأعمدة .  
ثم رجع بيده مع « ج . ج . اومولى » ودخل الى دير مارى  
حيث كان الحمايون يحملون عربات النقل ياكياس من الطروب  
ودقيق جوز الهند ، الخازن اوكونر ، ونكسورد .

وهل ليقر البطاقة التى به يده .

— القسيس هيو س . لوف ، راكوفى . العنوان العالي :  
كنيسة القديس ميخائيل ، ساينتر . شاب لطيف . قال لى أنه  
يكتب كتابا عن أسرة فيتر جيرالد . حقا أنه ضليع فى علم  
التاريخ .

انزعجت الشابة بيده ويحرص غسلها كان عافيا بفساتها  
الطيف . (١٤)

قال ج . ج . اومولى :

— كنت اظن انك متسرد فى تدبير مؤامرة سلف جديدة ،  
وطرف نيد لامبرت باساعه فى الهواء وصاح :

— يا ابنى ، لقد نسيت ان اقول له تلك القصة عن ايرل  
كثير بعد ان اتمنى النار فى كاتيدرالية كاشيل . أتت تعرف  
لقد لطمته ؟ اس ايرلاد حما على ما فعلت ، ولكنى اشهد الله  
انى كنت انا الذى انا لشمس يهبط الى البنى . ومع ذلك ربما  
لا يصح هذه القصة . اى والله لاخبرته بها على اى حال .  
ذلك هو الايرل العظيم فيتر جيرالد مور . أسرة جميع الفرانجا  
سريو الفص ، ال جرادين .

اضطرب الخيول التى مر بها بحث عنها المرتزقة وطبطب  
بيده على كل حسان ارفض بالقرب منه وصاح ،

— واد يا ولد .  
ثم استدار الى ج . ج . اومولى وسأله :

— حسنا يا جاف . ما الامر ؟ ما المشكلة ؟ امسك  
بفسك .

وبوقف وفتر فمه واتلى برأيه الى الخصى الخلف وبمسد  
لحظه على مصوب عال . قال :

— مساو ! لمة اب ناك .  
قال ج . ج . اومولى يادب :

— انه التراب من تلك الاكياس .  
— لا ، قال نيد لامبرت وهو يهيك ، لقد ... اصابتى ...

رد ... ليده ... لمة الله ... ليلة اس ... وكان هتالدا  
تار ملون .

وامسك متدله اسمدادا لطمه الباهه :

— لقد كب ... هذا الصباح ... مسكين ذلك الصغير ...  
ما اسمه ... تشاو ... يا م موسى .

— ٩ —  
أخذ يوم روشفورد الارض العلوى من المجموعة التى كان  
ضمها الى صديريته الترمزية .

ساتصل بهم تليفونيا بعد الخامسة . لم يبق سوى هذين  
الاثنين فقط يا سيدى ، ليلفلس وليربول . حسنا يا سيدى .  
الآن استطيع ان انصرف بعد السادسة اذا لم تعد . السادسة  
والربع . نعم يا سيدى . سبعة وعشرون وستة ونسبنا .  
سأخبره . نعم . واحد ، سبعة ، ستة .  
وكتبت ثلاثة ارقام على مازوف .

— مستر يونان ! هالو ! لقد حضر لرويتك ذلك السيد  
من مجلة « سبوت » . نعم ، مستر لينان . قال انه سيكون  
فى هوليل « اوردوند » فى الاربعة . لا يا سيدى . نعم  
يا سيدى . ساتصل بهم بعد الخامسة .

— A —

التفت وجهان احمران فى وجه شعة عتيبة .

— من ذاك ؟ سال نيد لامبرت . اهلا أنت يا « كروى » ؟  
— روتجايل وكروسهالين ، اجابه صوت تنهسى قدم صاحبه

الارضى .  
— اهلا جاف ، اهو أنت ؟ قال نيد لامبرت ورفع يده الرفيعة  
ناحية بين الاقواس المتواضعة فى الضوء . تادم . احترس

فى خطواتك .  
احترق حود لثاب اشجع الذى ارتفعت به يد القسيس فى

شعة هائلة طويلة تم تركه يسلط . وخبت عند اقدامهم مضي  
ناره الحمراء : لم اطبق عليهم المواد المشفى .

فالت لهيعة رفيعة فى الغلام :

— شيء طريف .  
قال نيد لامبرت يعلمى :

— نعم يا سيدى ، نحن واقفون ان فى حجره الاجتماعى  
التاريخية فى دير القديسة مارى وجب « شى » « لاسى » « تاليم  
المس صا الطاعة فى ١٥٢٤ » . هذه هى اهم نقطة فى دبلن من  
النهاية التاريخية . سيكتب « اومادون ميرك » نصا عنها  
يوما ما . كان ينك ايرلندا القديم عنا حتى وف الايمان وكذلك  
كان مبد اليهود حتى بنوا لانفسهم صومعة فى شارع (لاديليه)  
أتت لم تات الى هنا أبدا يا جاف من قبل ؟

— لا يا « نيد » .  
قال صاحب الهيعة الرافية :

— لقد اخترق سكة « ديم » ، اذا لم تخفى ذاكرتى . كان  
فصر عاتكة « كيلدير » فى « اوماس كوت » .

قال نيد لامبرت :

— هذا صحيح ، هذا صحيح جدا يا سيدى .  
قال القسيس :

— لو تكرمت ان ، وسمعت لى فى المرة القادمة ..  
قال نيد لامبرت :

— بكل تأكيد ، احضر الكاميرا وقتما تشاء . سأمر باعداد  
هذه الاكياس من التواظ ويكتك ان تلتصقا من هنا او من

هناك .  
ونقل فى الضوء الخافت السكان وهو يدق بيده النعينة

اكياس البلور الكومة ويشير الى الامكان التى يصلح منها  
النصور فى الارضى .

واستقرت لهيعة وعيون لوجهه مستطيل فوق لوحة  
للشريط . (١٥)

قال القسيس :

قال :

« انظروا ، ولنفرحي انه الدور رقم ٦ » ، وتضمنه هنا عند العرض مستمر الآن » .  
واسقط القرص امامهم في الفتحة اليسرى . واندفع القرص الى اسفل في مجراه ، واهتز قليلا ثم توقف ، واطل عليهم رقم : ٦ .

شاهد الحامون المدامي وهم يتناقشون بكبرياء « ريتش جولننج » وهو يمر من مكتب تحصيل الضرائب الى محكمة الجنائيات حاملا حقيبة جولننج وكوليس ووارد ( محامون ) كما سمعوا حليف ثوب سيدة في متوسط العمر تسير من قسم البحرية يدار القضاء الى محكمة الاستئناف وكانت تلو أمتانها الصناعية ابتسامة ثم عن التسلل وترتدي جولة حريرية سوداء فضفاضة . ( ١٤ )

قال :

« انظروا » ، وآخر واحد ضمنه هنا . « انتهى العرض » .  
والتأثير . قوة الرفع ، كما نرون .

وأشار لهم الى عמוד الأفراس وهو يرتفع على الجانب الأيمن .

قال بوزي فلين من الفه :

« فكرة بديعة . وهكذا يستطيع الشخص الذي يصل متأخرا ان يعرف أى مرة تعرض على المسرح وى التمر قد انتهت .  
قال نوم بوشفورد :

« هكذا تعمل » .

ودخرج فرما لنفسه ورافقه وهو ينزلى ويتر ويطلق ويتوقف : « . العرض مستمر الآن » .

قال لينيهان :

« سافانا بوا في هونيل ارموند ، ساجسى بيده . دفا جزاء الاحسان الا الاحسان » .

قال نوم بوشفورد :

« أرجو ، قل له اننى انحرق شوقا » .

قال ماكوى بالقميص :

« نعمت صبا ، فعصا كيمان ... »

اتحنى نوزي فلين نحو الرافعة بشمها .

ساله :

« ولكن كيف تعمل الآلة هنا يا نومي ؟ »

قال لينيهان :

« الى اللقاء ، سراكما فيما بعد » .

وتبع ماكوى هير شاه كرامبتون الصغير .

قال ببساطة :

« انه يظل » .

قال ماكوى :

« انرف ذلك ، أبت تضميد حادثة البالوعة ؟ »

قال لينيهان :

« بالوعة ؟ لقد نزل من فتحة للمجارى » .

ومرا بغافة « دان لورى » للموسيقى حيث ابتسمت لهم ماري كندال الغائبة الغائبة ابتسامة ملطخة بالساجى من لوحة الاطلائ .

ورشح لينيهان لماكوى القصة باكملها وهما يسيران في ممر « سيكفور » بجوار صالة آمبار للموسيقى . كانت إحدى فتحات الجبازى مملوءة برائحة الناز المين وقاض هذا

النيطان المسكين فيها وهو يكاد يشتق من رائحة الجارى ، وتزل اليه نوم بوشفورد بالرغم من ذلك بصديريته الضاخرة وقد لف حوله حبل . ولكن اللون حقا من وضع الحبل حول النيطان المسكين واستقاموا انشغالهما معا .

قال :

« انعمل بطولى » .

بوفنا منه هونيل دولفين ليسمعا لمرية الاسعاف بالاسراع الى مستشفى شارع جارفىس .

قال وهو يتجه الى اليمين .

« من هنا ، اود ان ادخل محل « ليتام » لارى قيمة بدء الرحان على الحصان « ستر » . الام تشير ساعتك الذهبية رب السلسلة ؟ »

ودقق ماكوى النظر داخل مكتب ماركوس تيرينوس موزيس المظلم ، ثم الى ساعة محل « أويل » .

قال :

« لقد جاؤزت الثالثة ، من الذى سيجرى بها ؟ »

قال لينيهان :

« ١. مدين . أنها مرة سبال تليفى حيوية » .

ومينما كان ينظر على الرصيف امام بار « تمبل » ، دفع فترة موز بطرف قدمه بلطف من على الرصيف الى فتحة الماوعة . من السهل أن يتزق الإنسان ويسقط سلطة شنيعة وهو يتجرح مرزعا من السكر فى الكلام .

فتحت البوابة على مصراعها لتسمح بمرور موكب نائب الملك . ( ١٥ )

عاد لينيهان ليحاول :

« زارحان يتبادل له قايبت « باتنام لينوز » هسلاذ مصادف وكاني يمزج الزاهنة على اسم حصان لمين اعطاء له سمحنا ملا . لا تقصد ان هناك أدنى أمل فى فوزه اطلاقا . من هنا » .

وصعدا السلم عند قوس « ميرشانت » ، وبدأ لهما ظهر شخص فى حلة سوداء يضعف كتبا على عربة بائع متجول . ( ١٥ )

قال لينيهان :

« ها هو ذا » .

قال ماكوى وهو يلتفت خلفه :

« يا ترى ماذا يشتري ؟ »

قال لينيهان :

« « الأسد الأصغر أو بلوم الثبالي » » .

قال ماكوى :

« انه مجنون بالأوكازيويات . لقد كنت معه ذات مرة عندما اشترى كتابا من محل قدم في شارع « ليفي » يثنين . لقد كان فى الكتاب لوحات رائعة سوى نصف لئنه ، النجوم والقمير وشهب الخلاب طويلة . لقد كان فى علم الملك » .

وصعدت لينيهان .

« ساجسى لك نادرة عصمة عن ذبول اللذيات . تعال نسر فى الشمس » .

وهيرة الشوارع الى الكوبرى المعدنى وسارا ببطء رصيف ولنجتون بجوار سود النهر .

خرج الصبي باتريك الويسوس ديجنام من محل ماجنان ، هيرتياخ سابقا ، ومنه دخل ونصف من لحم الطنيزر .

ناكيد ، هذا النجم هو ما يمكن أن نسميه عسار الظك « .  
حفا ، لقد كان أن يصيب الهدف .  
وتوقف لينهان وآخني على سور النهر وهو يلهث بالفضح  
الرفيق .  
- أتى عفيف ، قال وهو يلهث .

وبعد أن أبتسم ماكوي عدة مرات صاد الوفاز وجهه الشاحب  
وعاود لينهان السير ورفع يديه نادى البيخت وهرش في  
مؤخرة رأسه بسرعة . ونظر جانباً إلى ماكوي في ضوء الشمس  
وقال بعد :  
- أمه رجل متكامل متعاف ، أعني بلوم . إنه ليس رجلاً من  
العامة من الذين نعرفهم .. أن في صاحبنا بلوم المجوز صفات  
الغان .

- ٩٠ -

بصطح مسر بلوم في غير لهمة كتاب « أعراف ماريا مولك  
الضائعة » ثم « رائلة أرسطو » . بنط أروج ملطش « لوحات »  
أجنه مكورة مائلة أبراحام في حجره الدم كاكباد أبعاد متعورة .  
من ذلك كثير في هذه اللحظة في جميع أنحاء العالم . جميعها  
نتلج برؤوسها للظروج منها . في كل دقيقه مولود جديد في  
مكان ما . مسج بيورفوي .  
نهي الكلابين ثم نظر إلى الثالث : « قصص الجيتو »  
بدم لبونولد فون زاكس ماروك .  
قال :

- هذه الكتب عندي ، وأزاحه جانباً .  
التي صاحب المكتبة بكتابين على الطاولة .  
قال :  
لو أريد أن أرى ...  
... وأزاحه بعمر ... الطاولة من فيه الحرب . وأجس  
حزب الكلاب الأخرى فلا أحضرتها إلى صدره المتخوة ثم  
حملها خلف الستارة القديمة .

على كوربي أوكوسل لاحظ الكثيرون مسير ديتسي ج .  
ماجيتي استلا الرقص الخ . في مشبهه الوفورة وملاسه  
الزاهية . (أ)  
لم يكن غير مسير بلوم يتفرس عناوين الكتب . « المستبدات  
الصلبان » بقلم « جيس حب الطغلة » . أعرف ذلك النوع .  
يا ترى هل عندي ؟ نعم .  
وفصح . كما نولص .  
حرف امرأة خلف الستارة القديمة . التفت : الرجل .  
لا : لن يصحبه هذا كثيرا . أتيت به لها ذات مرة .  
وفرأ العنوان الثاني : « حلاوة العرام » . اتسب لها .  
نشوف .

وفتح الكتاب حيثما اتفق .  
- « كل ما أعطاه زوجها من دولارات أبقتها في الحلال  
في شراء قصص النوم العائسة والمانتيلا الغالية . من  
أجله . من أجل رؤول » .  
نعم . هو المكايوب . هنا . أقرأ .  
- « واتصق فيه بفمها في قبلة عارمة شهوانية يبتسمها  
أخذت يداه تتحسان التعتيحات البارزة داخل ملابس  
نومها » .  
نعم . هذا خلا . الخاتمة .

قال لينهان بدهاش :  
- كان هناك احتفال كبير في ألبا جلتيكري للأحداث . كان  
جعل المشاة السنوي كما تعلم . بالتخصص النشأة . حفرة  
عمدة البنية . كان فان ديلون في ذلك الوقت . وتحدث سير  
تشارلز كامبيرون ودان دوسون . وكانت هناك موسيقى وغنى  
بارثيل نادس ونجماين دولارد ..  
فاطمه ماكوي :

- أتى أعرف ذلك ، فنت زوجتي هناك مرة .  
قال لينهان :

- هل هذا صحيح ؟  
ظهر بطاقة فوق شراطة الناطقة في منزل رقم ٧ بشمارع  
أكليس من جديد : « شفق خالية » ( ٢٤٢ )  
واقطع حكايته لحظة ولكنه استأنف بضحكة عالية .  
قال :

- ولكن انتظر حتى أحكي لك ، لقد فام « ديلاهونس » في  
شارع كاندن بتوريد الأنظمة وكان « مصبوبك » يشرف على  
الأعمال الأخرى . كان بلوم وزوجته هناك . ولصمت كميات  
مائلة : ليد وشيري وعغيري وفد وفيتاها حقولها . لقد كان  
حفا صاحباً سريعاً . وبعد الشربوات أنت الماكولات . فاطمير  
من الأفضال البارزة وفطائر بالذمم الماروم .

قال ماكوي :  
- أعرف ذلك ، فهي الستة التي ذهب فيها زوجي ..  
وأخذ لينهان بلعامة بحرارة .  
قال :

ولكن انتظر حتى أحكي لك ما حدث ...  
في منتصف الليل بعد كل هذا المرح والفرح وعينما ...  
كانت الساعة الزرقاء من صبيحة اليوم التالي ...  
وعند عودتنا إلى المنزل كانت ليلة دميعة ...  
جبل « فيلدييد » وكان بلوم وكريس ...  
في جانب العربة وكنت مع الزوجة على ألفه الآخر .

وبدأنا نقني ثنائيات وفائتي أخرى بأصوات مغلقة : « انظر  
فهذا شعاع الصباح الباكر » . كانت مزودة بكميات جديدة من  
بييد ديلاهونس فيما نعت حزامها . ومع كل مرة من هزات  
العربة المعلقة كان جسمها يصطدم بي . يا للتمعة . أن لها  
منها لزوج رائع . بارك الله فيها . في هذا الحجم .  
ومد راحته المحنسن مداد زراع وهو معطب الجبين .  
- وكب أحمر البلباس حولها وأنسو من الفراء حول عنقا  
طول الوقت . أنفهم ما أعني ؟

وأخيلت يداه تتكلسن متعنيات واسعة في الهواء . والمغص  
عينييه يشد في نشوة ، واتكشى جسمه وانطق صغيراً عذبا  
من شفتيه .  
قال وهو يتهدد :

- وعلى كل لقد كانت حفرة . فهي مرة لوب ولا جدال في  
ذلك . كان بلوم يشير إلى أسماء النجوم والذبيات في  
السماء لكريس كالتين والعدوى : الدب الأكبر ونجم الجاني  
على ركبتيه والتتين وكل الحيوانات الأخرى . ولكني والله كنت  
أنا في « الطريق اللبني » . أقسم أنه يعرفها جميعها .  
وأخيراً انتقت نجمة غاية في البهة وبعبدا جدا وسالته :  
« واسم هذا النجم يا « بولدي » ؟ » والله لقد أخرجت  
بلوم . « هذا النجم ليس كذلك » قال كريس كالتين « بكل

.. « قال بصوت أجش وهو يحمل فيها حزمة الرقاب ..  
 نخرجت ، وقلت المرأة الجميلة يوشاحها الطرّوز بالعرى الأسود  
 فكشفت كفين كالزهر وبسمة رفرافة ، وارتسمت حول  
 شفتيها الراتنتين أنبساط خفية وهي تجه اليه في هدوء » ،  
 وفرا مسرعا بلوم مرة ثانية « الفت المرأة الجميلة .. »  
 وغيره دهم رقيب ارتد له بدنه ، واستسلم الجسد في  
 طوبايا الثياب ، وفلام بيسافى العينين ، واتسمت خياشيمه  
 استعداءا للفرسية . دهن النود تلويح بالحرارة ( « من  
 أجله ! من أجل ياول ! » ) ، صنان عرق الإبط ، لكن لرج ،  
 ( سميتها الرفرافة ) ، تحسس ، اضبط ، انصر ، جمر  
 السمع الكثيري .  
 سباب ! ثياب !

خرجت سيدة في منتصف العمر ، لم بعد شابة ، من مجمع  
 وزارة العدل حيث دار القضاء والمالية ومكتب الطون بعد أن  
 أتممت في المحكمة العليا الى فنية جنون « يوترتون »  
 وفي محكمة البحرية الى الادعاء القديم من أصحاب الباشرة  
 « ليدي كيرنز » ضد أصحاب الصندل « مونا » ، وأخيرا في  
 محكمة الاستئناف الى تاجيل النطق بالحكم بالقضية المرفوعة  
 من « هارفي » على هيئة الضمانات والتأمينات ضد حوادث  
 البحر . (٩)

اهتز جو المكتبة من سعال بغبي استلقت له الستائر القذرة  
 وبرز رأس صاحب المكتبة بشرة الأبيض الأشمت ووجهه  
 المحمر بلحية فير حليقة وهو يسعل ، وجرف من خلفه بيلانه  
 ويصق البلغم على الأرض ، وودع حذاءه على مصانه ورفسه  
 نعله وانحنى فكشفت قمعة رأسه من جلد خشن نحسا  
 الشعر .

ولها مسر بلوم :  
 وقال وهو يسيطر على أنفاسه المضطربة .  
 .. سأخذ هذا .  
 رفع صاحب المكتبة عينين بهما غشاة من أثر افراز قديم .  
 قال وهو يقر بأصبعه عليه :  
 « حلاوة الحرام » ، ده كتاب عال .  
 .. ٩٩ ..

فرع المتادى الوافد بباب صالة ديلون للمزادات نافوسه  
 مرتين تالبا ونظر وانرج على نفسه في مراة النظارة المخططة  
 بالظبايسر .  
 على الرصيف سسجمت ديلي ديدالوس ضربات النافوس  
 وصيحات الدليل في الداخل . أربعة شكلات وتسمة ينسات .  
 هذه الستائر الحمراء . حمسة سباب . سائر لطيفة . بناع  
 نجبيس وهي حديدة . هل من يزيد على الخمسة ؟ ستباع  
 حمسة .

ورفع الصبي نافوسه وقرعه :  
 .. بارارانج !  
 حثت ضربة الجرس التي تشير الى الدورة الأخيرة بالحيى  
 المراجاج الشتركين في سباب الصف ميل ليلد أقصى سرعة  
 ج . ا . جاكسون ، و . ي . وايلي ، ا . ماترو ، ه . ت . جرين ،  
 برافيمو الشتركية المنزعة ، كانوا قد انتهوا من قطع الدوران  
 عند مكبة الجاصمة .

خرج مسر ديدالوس من شارع ويليام رو وهو يشد شاربته  
 الطويل . وتوقف على مقربة من ابنته .

فالت :

.. لقد حان الوقت ..

قال مسر ديدالوس :

.. ففي منصبة حيا في اليسوع ، هل تعاونين لتقليد عمك  
 جون ، مزلف اللوق ، رأس بلا رقبة ؟ شيء يتم .  
 وهزت ديلي كليلها ووضع مسر ديدالوس يديه عليهما  
 وشدهما الى الخلف .  
 .. اعتدلي في وقتك يا بنت والا أصبت تنقوس في الممود  
 القري . هل تدرين ماذا نشبهين ؟  
 وركد رأسه تدلى الى الإمام وحذب قهره وأسقط فسكه  
 الأسفل .  
 قالت ديلي :

.. دعك من هذا يا والدي . ان كل الناس ينظرون اليك .  
 واعتدل مسر ديدالوس في وفقه واحد يمل شاربته لآلية  
 سالتة ديلي :  
 .. هل وجدت نفودا ؟  
 قال مسر ديدالوس :  
 .. ومن أين أجد النفود ؟ وليس في ديان كلها أحد يفرضني  
 أربعة ينسات .

فالت ديلي وهي تنظر في عينيه :

.. ولكنت حصلت على بعض النفود .  
 .. مسر ديدالوس وهو يضع لسانه في شدقه :  
 .. وكيف عرف ذلك ؟  
 .. سار .. كيربان ماعداد في شارع جيبس وهو مسرور  
 الصنعة الى بعدها (١٢)

.. ديلي :

.. ان سالكه لم يدر في سكوتش هاوس الآن ؟

.. حال وهو ينسمة

.. لا .. لم يكن هناك ، هل الرهابات هن اللاتي فتن عينك  
 هكذا ؟ لك هذا .  
 وباولها شلنا .  
 .. فكري ، لك تستطيعين أن تدبري بهذا شيئا .  
 قالت ديلي :

.. اصعد أنك حصلت على خمسة . اعطني أكثر من هذا .  
 قال وهو يهدد :  
 .. على مهلك . انت مثل الاخريات قطع من الجراء النابحة  
 الوصفة منذ وفاة والدكم المسكينة . ولكن تهمل ، سيكون  
 اعزالي فصيحا قبل حوى وسيسكون يومى طويلا . استرا  
 وضع . سوف انطعمي مكن . ان تبالوا اذا مت وسددت .  
 مات . الرجل الذي فوق مات .  
 وترتها ومضى في مسجيله . ولعنت به ديلي وجذبت  
 سترته .

يوقف وقال لها :

.. والآن ، ماذا نريدن ؟  
 فرع المتادى نافوسه خلفهما .  
 .. بارارانج !  
 صاح مسر ديدالوس وهو يستدير نحوه :  
 .. لفتة انه عليك وعلى جرومك الصاحب .  
 وأحس المتادى بتعليق مسر ديدالوس وهز لسان النافوس  
 المتدلى ولكن بطفوت .

كريميتز . اعترف لهذا الزشوة . هل هذا صحيح ؟ بلا ريبه .  
والآن تأمل هذا . وأمريكا كما يقولون بلد الأخرار . وكنت أظن  
أن الحال مختلفة فيه .

واينسنت له . « أمريكا » . قلت له يهوده . هكذا . « وما  
هي أمريكا ؟ كنسمة كل البلاد بما فيها إيرلنده . أليس هكذا  
صحيحا ؟ » أنها الحقيقة .

اسفلال التلود يا سيدى العزيز . بالطبع . فحيث توجد  
يعود للمعرف يوجد دائما من يخطئها .

رايتيه ينقل الى سترى الرسمىة . الملابس صنعت الانسان .  
لا شيء أقوى من مظهر الملابس . يورطهم .

قال الأب « كولى » :  
- هالو سيومن . وكيف الأحوال .

قال مستر ديدالوس وهو يبولف عن السير :

- هالو بوب . يا صديقى الجيود (١٤) .

توقف مستر كيرنان واصلح من هدامه أمام المرأة المسالفة  
لصانول بير كينيتى . جاتنة آخر لقيائه . ليس في هذا شك .  
من عند « سكوت » بشارع « دوش » تساوى نصف الجنيسه  
الذى اعطينه « لنيرى » لئيسا لها . لا تصنع بافل من ثلاثة  
جنيتها أبدا . كانها خيفت لى . ربما كان صاحبها رجلا أتيما  
من لعلها يلقى « كيلدير » . لقد حدثنى « جون مايلجان » .  
مدى منك هابريثان . بنظره حادة جدا وأنا أسير على كوبرى  
تلالى لى وكانها يذكرنى .

احم . أريد من نعيم الشخصية مع شمس هؤلاه . فارس  
الفرس . جشلمان . والآن يا مسر كريميتز . هل في الإمكار  
جس . ثم . تلك فوه ناعية . الكاسى التى تسعد ولا تسكر .  
وول الكاسى .

بدا . اسفلال روسف سرجون دوجرسون بما فيها  
من جده . اسفلال لراسى اطع زورى غرا في نسل  
املان كرمش . فوى الانواج التى تلو وتهب والتي خلفها  
الضدية « سباني ايليا » . (١٥)

ونقل مستر كيرنان نظره وداع الى صورته . متودد . طيما .  
شرب وخطه الشيب . فليب راجع من الهند . اتلفع بقلبه  
بجسمه العسير الى الامام على حداثين نظطهما حلية من الصوف  
وهو يشد كتليه . اليس القدام هناك أخو لامبرت يا سام ؟  
اليس هو ؟ نعم . لا . انه يشبه تماما عليه اللمنة . انه الزواج  
الاملى تلك السيرة التى فى الشمس هناك . انعكاس ضوء  
كذلك يلقى .

شبهه بها . الفمه .

احم ! روح عسير حب العفر العذرة ادفاتألفمه وأحشاده .  
كانت ظفرو من الجين عطفية . وراص ذبول سترته فى ضوء  
الشمس اللاحع مع ظفرو البدينة .

هناك شئ « اميت » وجر جسده وقطع اربعا . جبل اسود  
ملوث بالشمم . والكلاب تلحق الدم من على أرض الشارع بينما  
كانت زوجة الحاكم تهر فى عربتها الصغيرة .

يا ترى . هل هو مدفون بجيلة كنيسة سانت « ميكان » ؟  
ولكن . لا . لقد كان هناك عملية دفن فى منتصف اليلسل فى  
« جلا ستيفين » . أصحلت الجيلة من خلال باب سرى فى الجدار .  
ديجنام هناك الآن . ظلت روحه فى شقة « لا حول ولا قوة » .  
صحن أن الف هنا . لم يلفه .

قال مستر ديدالوس :

- رايقيه . فلى هذا غلابة . يا ترى هل سيركتنا نكلم ؟  
قال دلى :

- لقد حصلت على أكثر من هذا يا ابنى .

قال مستر ديدالوس :

- ساراك حيلة بسيطة . ساركتكم حيث تركه المسيح اليهود  
انبارى . هذا كل ما مضى . لقد أجدت شلنين من « جاد داور »  
وأطقت نسين فى الطلالة من أجل الجائزة .

ومصيبة أخرج من جيبه حنة من البسات .

قال دلى :

- لا تستطيع أن تبعت عن بعض التعود الأخرى هي  
مكان ما ؟

وفكر مستر ديدالوس وأطرق براسه .

قال بوفار :

- سافيل . لقد بعثت فى الجارى على طول شارع « أوكوتيل » .

وسوف أبحث فى هذا الآن .

قال دلى ضاحكة :

- أنت مرح جدا .

قال مستر ديدالوس وهو يتاولها بتمين :

- خلى . خلى لتفسك زجاجة من اللبن وفرصا من الخبز

أو أى شيء آخر . ساعود الى المنزل حالا .

ودضع باقى التلود فى جيبه وبدا يتصرف .

مر مركب نائب الملك وبعده جنود البوليس فى ثلاثة خرجا

« بار جب (١٦)

ناب دلى .

- أنا متأكد أن معك شئنا آخر .

ورفع التلدى التلوقس بصوت عال .

من عند الصوصاء سار مسر دالو .  
مركبة بلمه المصوم :

- هؤلاء الرهايات الصغيرات ... مطلوفات لطيفة صغيرة ..

من المستحيل بالطبع أن يلعن شئنا هكذا ! ... مؤكدا لم يلعن  
شئنا ! أهى الأخت مونيكيا الصغيرة !

- ١٢ -

سار مستر كيرنان باعتداد من الساعة الشمسية متجها الى  
« جيمس جيت » وهو راى عن الصلطة التى عندها لمصالح  
« بوليرود دوبرسون » مفتشرفا شارع جيمس ومارا بمكاتب  
« شاكسون » . لقد نجحت معه كما أريد . كيف حالك يا مستر  
« كرميتز » ؟ قال العال يا سيدى . لقد خشيت أن تكون فى  
مجرى الآخر فى « بيليكو » . كيف الأحوال ؟ تسد الرقى . طقس  
رائع هذه الأيام . نعم . حقا . نافع للريف . هؤلاء الزادعون  
دامو النريم . ساذج مله كستين من مشروبك يا مستر كرميتز .  
وهو أحسن « جين » عرفته . كلى صغير من الجين يابىدى .  
نعم يا سيدى . انفجسر « جنرال سلوكوم » . أليست حادثة  
فظيمة . فظيمة . فظيمة . ألك صلب . ومنظر قطع نيساف  
القلوب . رجال يدوسون النساء والأطفال . شيء وحش جدا .  
ومادا كان السبب فى رايهم ؟ احتراق ذاتى . تعريض شائن حقا .  
لم يصلح قارب نجاة واحد وخرطوم الصبرقى كله مشرق عن  
آخر . الذى لا أستطيع أن أفهمه هو كيف سمح للعتنون  
لسونة كهذه ... ها قد وصلت لصلب الموضوع يا مستر

ولم يرسل العجوز دوتا، بفرفة مسحة من السموء ولهبها في  
يده ونظر اليها تحت لحيته الذهبية الى تنبئه لهية موسى، جدنا  
القرن يلتمه منقاره كنزا مسروقا .

وانت يا من منتهب من قبور الارضي صبوراً بالية . كلام  
السفاليين الخرف : « انتيتيل » : « احيون الشوب وبهارة  
كسدة » . ير ناصع خاتم من الازل الى الابد .

عادت امرأتان عجوزان نصران من نحات المالح واختربا  
بضفوات متافلة حي اريشكوان من طريق لندن يريديج ، تحمل  
احدهما شمشية علق بها رمل والاخرى شنتلة داية تفرح  
فيها احدى عشرة معارة .

حيف السيور الجندية وطين المولدات الآلية في المصلح  
الكهربائية حثا ستيان على المضي في طريقه . كانت ملا كيوبه .  
فك ! خلقتي بن حولة دائيا وخمات من داخلك دائيا . فليكن  
هو ما خلقتي به . وانا بينهما . اين ؟ بين عاتين صاخين وحيت  
بوران وبوخان . انا . شسهما . كلا منهما وكلهما . ولكني  
انا ايضا ساقد وحيي في الطعان . شمشيني يا من تستطيع .  
فواد وصاب . كانت هاتان هما الكاهنين . ولكن ، مهلا قليلا .  
جولة للفرجة .

نعم ، هذا صحيح . جد فسيحة وجد عجيبه ووقتها دقيق  
مضبوط في كل مكان . ما نلوه حي يا سبدي . صباح يوم  
انتي ، هكذا كان ، حما .

ونزل سيني في سكة مسعود رو ويد عصاه تدل لوح  
كده . هي نافذة كوهسي جلد انتباهه صورة باهتة من عام  
١٨٦٠ لهيان وهو بلاك ساريز . حول اجبال العلفة وفك  
المشحون وعلى رؤوسهم قبعات مشابهة . مد كل من بطلي  
الحوزة المضي في ليل خفيفة تستر عورتيهما بقسدة يده  
المكورة خلف الحواشي . وهما ايضا بفقان : قلوب ابطال .  
والشمال وقولمة جنود مرة الكتب المائلة .  
فان السبع

- الواحد ميسين ، والاربعة بسه ينساق .  
صفحات مهلهلة : « نرية النحل في ايرلند » . « حياه  
ومعجزات القسيس است » . « دليل الجيب لكرالني » .  
ربما وجدت هذا كتب المدرسية التي رعتها . استيفانو  
ديدالو ؟ تلميذ عماد ، حاصل على الجائزه «  
مر الاب كوني بقرية » دوتي كارني . بعد ان قرأ الاوراد  
الصغرى ، يتمتع بآراء العصر . (١)

ربما كان التجليد جيدا ، ما هذا ؟ الكتاب الثامن والسبع  
لوسي ، سرالاسرار كلها . خاتم الملك داود ، صفحات عليها  
الار بصفت اصابع : فرات مرارا وتكرارا . ومن الذي مر من  
هنا قبلي ؟ كيفية تعميم بشرة اليد العجافه . طريقة صنع  
تبيد الغل الابيض . كيف تكسب قلب امرأة . هذا لي . كرر  
هذه الموعظة ثلاث مرات ويداك مطيعان :

Se el yio en Akada feminin : Amor mo solo  
Sanctus ! An en

من الذي كتب هذا ؟ تعاويد وديام ودعوات الابواب الجبال  
« بيتير سالانكا » بوج بها للدموعين الصادقين . لا تقل عن  
تعاويد اي ابوت آخر ، كتصمات « يواقيم » . اركع ، يا صلب  
الراسي والا جزينا صولك .

- مالا نعل هنا يستيقن ؟  
اتكاف ديلي العاليه رداؤها الرث .

واستدار مستر كيرنان ونزل على منحدر شارع « والتنج »  
قريبا من تاصية استراحة زوار « جيتسي » . وخرج مخزون  
شركة ديان للتطعيم ولبت عربة غريبة بدون الحولى او الركاب،  
وكان السرع ملفوفا على احدى عجلاتها . هذا شيء خطير ملمون.  
أحد الاجلاف من مقاطعة « ليرياري » يعرض حسياسة المواطنين  
للخطر . حسان جامع .

اصطحب « ديتيس برين » زوجته خارجا من مكتب « جون  
هنري متون » بعد ان سمع الانتظار لمدة ساعة وسار معها فوق  
كوبرى لوكوتيل قاصدا مكتب كوكلي ووارد المعاماة .  
القرن مستر كيرنان من شارع « ايلاند » .

ايام القلال . لايد ان اطيع من نيد لاسرت ان يعزني كتاب  
الانكرات التي كتبها سيريون بلونجتون . حين تستعرضها كلها  
الآن بشي من الاسترجاع والنظام . يقسمون عنه « دالي »  
لا غش في الملب حينئذ . تسعد يد ادهم في المائدة بفتيجير  
مرة . في مكان ما هنا هرب لورد انوارد فيتزجرالد من الوالد  
« سابر » . توجد الاسطبلات خلف منزل « مويرا » .

هذا الجين الملون كان رائعا . من اصل طيب بالطبع . ذلك  
نييل رايغ ، جرى شاب . صاحب الطفاق البنفسجي . وشي  
الجرم . هذا السيد الزائف ، صاحب الطفاق البنفسجي . وشي  
به . بالطبع كانوا يفسدون الجانب الخامس .  
لقد عشنا في ايام سواد ، ايام شقة . قصيدة رائعة تلك :

اجرام .  
كافوا سياه فضلاء . وعني « بين دولايد » هذا الوال يفرمة  
تعره الانسان .  
أداء بارع .

« في حصار » « دوس » « خر ابي صريما »  
كوكية فرسان في طيب حين على طول راسك .  
اللغة يثون في 4 يثون في سروجهم . استوفت ريشة .  
تسبيات سميني .

اسرع مستر كيرنان الى الامام وهو يتبع من فمه المسدير .  
صاحب السعادة ! يا عسولة ! لقد فاني بفساد شعرة .  
اللغة . يا للاف !

- ١٣ -

شاهد سيني ديدالوس من خلال النافذة المسلحة بالحديد  
الجدول اصابع الجواهرجي وهي تعتبر معدن سلسلة اعلا الزمن  
بريها . الوجاهة وسواي العرضي مكسوة نانتراب . سود  
التراب الاصابع الكادحة والافارها التي تشبه مغالب الطير  
الجارج . ركد التراب على للاف مطاة من البرونز والفضه  
وعلى قصوص من العتيق وعلى بواقيت وعلى احجار خمرية  
وفضية .

كل هذا يولد في باطن الارضي اللاتم المله الماديان ، شرد يارد  
من النار ، اتوار شريرة تنبع في القسلا . حيث اتقى اللانكة  
الطرودون بالجموع من جيتسي . اتوف خنقيرية جدد تشتمم  
في الوهل ، وايد ، نبشتها ونهبتها ، جفورا وعروفا .  
ترفس في عمة خبيثة تسبح فيها رائحة البخور مختلطة  
برائحة الزوم . بشار بلعية صدمة يتحس « روم » من فرقة  
وبنتهما ينظرانه ، شهوة صامتة غداها طول البقاء في البحر .  
لرقي وتشتي ، تيز ارفادها وافخادها ، وعلى بنتها المسترخية  
اللمح تهتز ياقوتة في حجم اليهية .





واجبه لهما معا .

قال الأب كولي وهو يومي يراسه هو الآخر :

— لا يلى .

منى البجل « هيو سى ، محب » من جنى تسابترهازيى  
القديم عند دير القديسة ماري مارا بعمل جيسى وكينيدى  
للتأخير تصف به ذكريات آل جيرالدين ، طوال وجهاء متوجها  
الى « لوكسيل » فيما وراء موانع هرذل .

وتقدمهما « بن دولارد » وهو يحمل بشدة ناحية واجهات  
المحلات واصابعه تروح بسرور فى الهواء .

قال :

— تعالوا معى الى مكتب مساعد المامور . اريدكم ان تشاهدوا  
المحضر التحفة الذى عند « روك » . هجين من لوبينجولا  
وليشهون . يستحق المراجعة ، انى اؤكد لكم . تعالوا . لقد  
رايت جون هنرى متنون عرشا فى البريديجا وسوف ادخل معه  
فى سؤال وجواب اذا لم .. انتظروا لحظة .. صدقتى بانوب ،  
نحن فى الطريق الصحيح .

قال الأب كولي بقلق :

— قل له يهمنى اياما قليلة .

وتوقف بن دولارد وحذر فالرا حثكه الصاحب ، وقد تدلى  
من طرف خيطه زئار مسترته وكان يهتز بظهره اللامع عندما كان  
يصبح القشور التى كانت تعيق عينه لسمع موضوع .

صاح :

— ماذا قصد بانام قليلة ؟ الم وقد صاحب منزل عيب  
الحجز من اجل الاجبار ؟

قال الأب كولي :

— لقد وقع الحجز .

قال بن دولارد :

— ان غامر نعمل صاحنا لا سمان انى احدى  
عليه ، ولصاحب المنزل الحق الاول . وقد ابطيشه  
التفاسيل : ٢٩ طريى ونسور . اسمه « محب » .

قال الأب كولي :

— هذا صحيح ، البجل السيد « محب » . هو هيسى فى  
مكان ما فى الريف . ولكن ، هل قلت متأكد مما تقول ؟

قال بن دولارد :

— يمكنك ان تغبر باراباس نيابة عنى ، ان فى استطاعته ان  
يضع هذا المستند حيث وضع القرد الجوز .

وقاد الأب كولي بجرأة الى الامام وهو ملتصق بجذعه .

قال مستر ديدالوس :

— اعتقد انه كان بدفا ، بينما ترك نظارته تسقط على صدر  
مسترته وهو يتجهما .

— ٦٥ —

قال مارتن كنتنجهام ، وهما يخرجان من بوابة الباحث العامة :  
— سيكون الصلير على ما يرام .

لمس الاشرطى جهته بالتحية .

قال مارتن كنتنجهام مسجها .

— بارك الله فيك .

واشار الى الخوذى المنتظر الذى كان يشد ويرغى اللجام  
وسارت العربة فى اتجاه شارع لورد ادوارد .

البرونزى بجوان الذهبى ، ظهرت راسى سى كينيدى بجوان  
راسى مس دوس من فوق حاجز سائرة شمس هويل ارموند .

قال مارتن كنتنجهام وهو يبيت باصابعه فى لحيته :

— نعم ، لقد كتبت لاب كولى وبسقت المسألة كلها له .

الترح مستر « باور » بتردد :

— فى استطاعتك ان توسط صاحبتا .

قال مارتن كنتنجهام بالانصاف :

— بوجد ؟ لنيتعد عنه .

جون وايز نولان ، وكان قد تكلم خلفهما يقرأ القائمة ، جاء  
يبدو وراهم نالزا من تل كوردا .

على درج فاعة البديعة حيا « تانيتى » عضو المجلس ، وهو  
يهبط المدرج ، كل من الشيخ كولى وعضو المجلس « ابراهام

ايرن » وهما صاعدا .

سارت عربة المحافظة خالية الى شارع اكستينج العلوى .

قال جون وايز نولان ، وقد لحق بهما عند مكتب جريدة

« اليل » :

— انظر يا مارتن .. ارى « بلوم » قد قيد اسمه متبرعا  
خمس سئات .

قال مارتن كنتنجهام وهو ياخذ القائمة . وقد دفع البالغ  
اذا :

— فعلا !!

قال مستر باور :

— وذلك دون ان يلح عليه احد .

صف مارتن كنتنجهام

— غريبا ولكننا الجمعه .

فتح جون وايز نولان عينين واستحق ..

رقد برسافه :

مرانى انشد ان فى قلب « بلوم » راحة كبيرة .

وقد ظل فى ساحة « بارليفاينت » ،

قال مارتن كنتنجهام

— هاتم جيسى هنرى : مسجها توه الى محل « كافانا » :

قال مارتن كنتنجهام :

— تمام . ها هو .

تربص بلانز بولان خارج محل كبير لزوج اخت جاك مونى

بالقار النحنى مقهورا وهو يتجه الى حارة « لبيرى » .

وسار جون وايز نولان مع مستر باور فى المؤخرة ، بينما اخذ  
مارتن كنتنجهام برفق رجل مهنم قهصر يلبس حلة سوداء

ينتفك يمشاه كان يمشى امام محل ساعات « ميكي النيسون »

خطوات سريعة فى غير لفة .

قال مستر جون وايز نولان مستر باور :

— ان « الكالو » فى قدم مساعد كاتب المديرية يملكه .

ومشيا خلفهما حول ناصية مخزن جيسى كافانا للنيب .  
وواجههم عربة المحافظة الخالية وهى والحلبة تصت بوابة

« اسكى » .

والقار مارتن كنتنجهام القائمة عدة مرات ، ولم يكف عن  
الكلام ، ولم ينظر جيسى هنرى الى القائمة ابدا .

قال جون وايز نولان :

— ان لونغ جون فانج هنا ايضا ، فسمح ضخامة الدنيا .  
سد لونغ جون فانج ببقائه البديعة مدخل الباب الذى وقف

فيه .

قال مارتن كنتنجهام :

— نهارك سعيد يا حشرة مساعد المامور ، وتوفلوا للتحية .

هس « بول ماليجان » من خلب قبحة « الباناما » في اذن  
« هنز » وهما يظنون فوق السجادة السميكة .

« سفق « بارسل » ، هناك ، في الركن .

احبارا مانده صفره بحوار النافذة الواحده لرجل بوجه  
مستحيل كان يميل لبعيته ونظرانه مسنره بامساك على لوحة  
للشترنج . (٨)

سأل هنز وهو يطور في عقده :

« هو ذاك ؟

قال ماليجان :

« نعم ، هذا هو جون هوارد ، اخوه ، مامور مدينتنا .

نذل جون هوارد بارنيل فيلا ابليس بهدوه وارنلع مغليه  
الرمادي مره اخرى الى جيبته حيث استقر .

من تحت جفاهما نظرت عيناه بمسك برهة وبريق كبريق  
الاشباح الى خصمه ثم استقرت مره اخرى على ركن تعمل فيه  
من لوحة الشترنج .

قال هينز للمضيعة :

« سأخذ واحدا من اللجن المتطوع .

قال بول ماليجان :

« اسى ، واحضر لنا شيئا من الكعك والزبد والبطاطا .

وعندما انصرفت قال صاحكا :

« نحن نعلم هذا الخلل م . ف . م . لانهم يقدمون طعام  
معتة . » اه ولكن فاند ديدالوس وحديثه عن هانت .

« فوج هر كاه الذى استراه حديثا .

قال :

« بولس ، ذلك ان شاكسبير فرح غصبه لكل المتحول  
الى كاثوليكيتها .

« صاخب القناع الاخر يكون فلانك حاقق عند فناء منزل رقم

١٠ شارع « بلسون » .

« ان الجندرا تشكر .. »

اهتز صديريه بول ماليجان الصفراء بدهج لصحكه .

« ياليتك تراه عندما يلقاه جسمه الزائنه . انجوس التجول ،  
هكذا اسميه .

قال هينز وهو يفرس ذفته في نامل بابهامه وسبابته :

« اتا على يقين انه فريسة لفرة جامدة .. الى افكر الآن  
فما عسى ان يكون عليه حال هؤلاء . هكذا دائما يكون مثل

هؤلاء الناس .

انحنى بول ماليجان على عرقى المائدة وقال بلهجة الجد :

« لقد اطروا صوابه بصور الجحيم . ومحال عليه ان  
مسرد الروح الانسه . روح « دنور » روح كل السعراء ،

الوث الباهب والولادة الشرفه . لب ماساه . لن يكون شامرا  
قط . فرحة الخلق ..

قال هينز باهانة قصيرة من راسه :

« طيب ابدي . مفهوم . لقد فكرته هذا الصباح في امر  
الطبيعة . ولما كنت ان ابرا يشغل ناله . من الطريق ان

بروفير بوبوروني التمساجى قد خرج من ذلك بشئ كثير .

رأت ميون بول ماليجان اليفظه المضيعة وهي فاعمة . واعلمها  
في الفراغ حومة العبيتية .

قال هينز في غمرة الاكواب البهيجة :

« لم يجد ابرا للجحيم في اساطير ايرلندا القديمة ، فهي  
حلو من فكرة الجحيم والحلال ، من معنى الكسير ، ومن العذاب

لم يفسح لهم لوتج جون هانتج الطريق . واخرج سيجارا  
صعبا مازكة هنرى كلاكى من فيه بخرم ويسميت عيساء  
الواستمان الشريربان بذكاه في وجوههم جميعا .  
قال لمساعد كاتب المديرية بصوت غنى مرير  
« هل ما زال لمساعد المجلس البلدى يتابعون مشاوراتهم على  
مهل ؟

قال جيبى هنرى يحنى :

« لقد ذاقوا الجحيم » من جراء لغتهم الايرلندية المظومة .  
ولم يدر اين يجد المامور لكى يعطك النظام في قائمة الجلسة ؟  
و « بارلو » المحجوز حامل السيف يلازم افراشى بمرضى الربو ،  
ولا سيف على المائدة ولا نظام ، ولم تكتمل الحد الفانوسى ،  
وهتشنسون « المصدة » فى « لابادانو » ، ولوركان شيرلوك  
القدير يعل صطه . لفتة على اللقمة الايرلندية ، لقصة  
اجدادنا .

بلغ لوتج جون هانتج عمودا من الدخان من بين شفتيه .

وتكلم مارتن كتنجهام تارة ، وهو يفسل طرف لبعيته ، مع  
مساعد المامور وتارة اخرى مع مساعد كاتب المديرية بينما ظل  
جون وايز نولان صامتا .

سأل لوتج جون هانتج :

« ومن كان ذلك « المديرجم » ؟

« فطب جيبى هنرى وجهه ورفع قدمه السرى .

قال شاكيا :

« اه ، الكالو ، اصحابنا الى املى باد عليك حتى اجلس  
في مكان ما . اووف ! اووه ! تسبح !

وبصفت اصبح لبعته طرعا من حبه مسك بوج حبيب .  
ومرر الى الداخل وصعد الدرج .

قال مارتن كتنجهام لمساعد المامور

« هيا نصد ، لا افلتك كنب نعرفه ، او ربما كنب نعرفه .  
وتبعهما عسى يطور مع جون وايز نولان .

« لقد كان انسانا طيبا ، خالط مسر ياور ظهر لوتج جون  
فانتج الجبار الذى كان يصعد ليفسائل لوتج جون فانتج في  
المرأة .

قال مارتن كتنجهام .

« كان فصيل الجسم جدا ، المرحوم دينجام المؤلف بمكتب  
« متون » المحامى .

لم يستطع لوتج جون هانتج ان يتذكره .

سمع وقع حوافر خيل في الهواء .

قال مارتن كتنجهام :

« ما هذا ؟

استداروا جميعا حيث وقفوا ، ونزل جون وايز نولان الدرج  
ناحية . ومن خلال ظل المدخل المنفذ اليارد رأى الضيول نمر في

شارج « بارليامنت » ، بسروجها ومفاصل سيقانها اللامعة  
مضوى في ضوء الشمس . ومر الكوكب امامه نصت نظرائه الباردة  
المعادية ، على قبر هيجل . وامتنلى ظهور سروج خيل اللقمة ،

خيل واثية ، عرس .

سأل مارتن كتنجهام وهم يمشون في صعود الدرج :

« ما الامر ؟

« جون وايز نولان من اسفل الدرج :

« اللورد المحافظ الدم والحاكم العام لايرلندا .

من الغريب جدا ان نستبد به تلك الفكرة وحدها ، هل يسهم في حركتكم التحررية بالكتابة ؟

ديجنام الابن الرطل والنصف من شرائح لحم الخنزير الذي  
ارسل لشرائها من محل مانجان ، شهرناخ سابقا ، ثم سار في  
شارع ويكولو الدافيه نكؤ .



الجمراء الى بين شفيه . عندما كان الموكب يسير في شارع « داسو » جلب صاحب المساعدة أنباه فزقه التي كانت تعني رأسها بالتحية الى البرنامج الموسيقي الذي كان يعزف في كوليدج داف . دوى بوقاحة صوت فنية من الجبسما ( اهايا لانز ) وارتفع فرع طبولهم خلف الموكب بالانفابة المالية دون أن يراهم احد :

وانه وان كانت فتان عامة  
ولا تنزين بالحرير ولا الدفص  
بارايوم  
الا ان لي مزاج اهل يوركشبر  
لزهري من يوركشبر  
بارايوم

في الجانب الآخر من المحافظ اخذ المصادون المشتركين في سباق الهواجز لمسافة ربع ميل - م.س.جرين ه. ه. تريفت ه. م.م.باني ه. س.سكيف ه. ج.ب.شيف ه. ج.ن.مورفي ه. ه. سدين ه. س. ادلي ه. و.س. هاجارد - يلاحقون خلف بعضهم فرس كاشيسيل بويل اوكونر فيتزمويس نيزادل هاريل ه. وهو يحث الخطي امام فتدق « فين » يهتق من خلال نظارته من فوق العصريات في رأس ستر م.م. سولومونز للطفة من نافذة نائب التمثيلية النسوية الهندسية . للتدخل في شارع لينستر ه. جيسوار باب كلية ترنسي الخلفي ه. لس هورنبورد ه. احد اتباع الملك المظلمين ه. قيمة المصن التي كان يرتديها . عندما خفرت الخيول الثلاثة الاغراب في مسدود

ميريون ه. راي الصغير باريك الوسيوس ديجنام التحسيس تؤدي للسيد صاحب القبة العالية فرجع هو أيضا قيمته لسوداء الجديدة باصابع ملونة بالتشيم من النافذة لهم الخنزير . كذلك انتفضت ياقته من مقلها .

مدي موكب نائب الملك واتباعه ه. وكان في طريقه لافتتاح سوق « ماروس » الكبرى لاعانة صندوق مستشفى « ميرس » نجاء شارع « لوير مادنت » . ومر بعصب اعمى امام محفل « برودينت » ه. في شارع لوبر مادنت مر مسرعا عابر سبيل يلبس مغطا يتيا واقيا من المطر وهو ياكل خبزا جافا ه. فاطما طريق موكب نائب الملك دون أن يحسه سوء ه. عندما جسر الرويال كانال « رحبت من لوحة الاشارات صورة مستر يوجين ستراتون بكل القادمين الى هي «ميريور» وشقة الفيلتان متفرجان ه. عنه ناصية طريق هادنجتون تولفت امرأتان علفت بملابسهما الرمال ه. مظلة وحقيبة يدأحدها احدي عشرة معارة متخرج وشاهدنا بدهشة السيد المعفة والسيدة زوجته بدون سلبته اللحية . على طول طمسوي « نورملراند » و « لانتوداون » كان صاحب العمامة يرد التحيات التي كانت تلقى عليه من رجال مشاه فليين في حينها ه. كما رد تحية للمعدين صغيرين عند بوابة حديقة المنزل الذي يقال ان الملكة الراحلة كانت قد اعجبت به عند زيارتها للعاصمة الايرلندية بصحبة زوجها مزوج الملكة الحاكمة ه. في عام 1829 ه. ولحبة -راول -انو اريغوني المثينة حين كان ينزلها باب يلقق .

( انتهى الفصل العاشر )

1  
ARCHIVE  
www

## قصة حديثة بقلم محمد حافظ رجب

والمرأة فرحة .. سلبية معجزة .. قهرها الرجل :  
- والان اظني .. اظني لي القلب  
... صرخت المرأة : لا .. لا .. لا تطمه ..  
قال الرجل المتجهم القساوي : اسكتي يا امرأة ..  
اظني حالا ..  
.. اللرب المتبسة .. لم تجمع قلت بعدها قابضة على  
الدية ترتض

... ابوه من اصحاب العوائيت .. هو الآخر حانوت ..  
حانوته مضم تاكل فيه عشرات الاصابع : تنفس في الجياق  
القول والتمس .. يخدم الاصابع رجال فمس وطول :  
صناعه ..  
.. في الطعم موائد وملح ومفانيد ولقد قول ..  
هو آيته .. واحد من هذه الأشياء : مقعد .. او رجل فقرة ..  
او ملاحه ملح ..  
في الطعم ساعة الفداء تنشر عشرات الاصابع فتتار الطعام  
لأقصى : القول ..



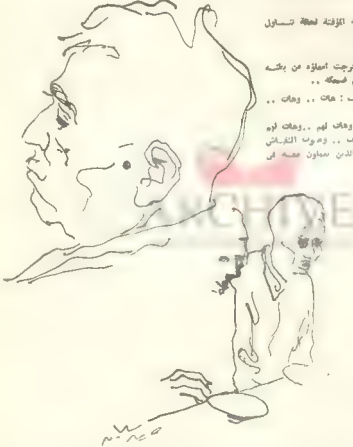
في اللحظة التي طرق فيها باب الكوخ الصغير المعلق فوق  
السطح كان معلقة من شعره في خفاف حديدى سدلي من  
سلف الكوخ فوق السنة من التيران تطلع اليه وهو عار  
وامرأة يتأين مصفبين بالدعاء تنظر اليه بملءة جوكينة :  
احملى كسواب اداء اليهم .. احملها الى الرجال العطار ..  
وكان عجيب : ان العمل .. ان العمل ..

... اشتدت الطرافات على الباب .. فسقط على الأرض  
فعداء .. وتناثر شعره في فراغ الكوخ فدار بلقطه شعره ..  
شعره .. واسرع بسك بطلانه يستر بها جسمه العاري ..  
فتحت الباب فوجد المرأة ذات التابن الأحمرين امامه .. صرخ  
وهو يهرول الى ركن الكوخ : ان تطعني لآنية .. ان تطعني  
... مد الرجل المتجهم الذي طرق الباب ودخل الكوخ الان ..  
مد يده واخرج مدية مقلعة فتحتها .. وقدمها اليه :

- تعال .. اخرج من الركن .. وخذ المدية  
... لئلا تمسكا بطلاسه يرتعد ..  
.. دخلت خلف الرجل المتجهم امرأة فرحة .. قالم للرجل:  
.. ماذا ستأكل له ..؟  
.. لم يرد عليها .. احملها ..  
.. قال الرجل المتجهم : امسك المدية .. تناولها ..  
.. امر .. كلمانه امر ..  
.. خذ المدية .. امسكها ..

.. فسقط ... كلمانه بصفت جسمه .. نالته ...  
اصبح ذراب  
.. تناولت الذراب المدية .. امسكت بها .. اطلعت القهر ..  
المدية في يده .. وهو فرح .. والرجل متجهم يردد ان  
نهى الامر ..

- قرب يافوت ..  
 .. أراد أن يرمى بالأطباق .. ويجلس فوق المائدة ..  
 ويطلب هو الآخر طبقاً يأكله في لهم .. يفيلق التفاح المتفاح  
 يمد صبيته اللعنة الحيقين به .. هم أن يضع الطبق فوق  
 المائدة .. انزلق الطبق وحده فوق التفاح .. الطبق هو الذي  
 اختار طريقه نحوه .. لم يوجهه هو ..  
 .. رفع التفاح يده وارتم به .. أسفل الطبق الثاني  
 فوق وجه التفاح : هو الذي حركة هذه المرة بأفاده ..  
 وجلس فوق المائدة وصلى ..  
 مات لي أنا الآخر طبقاً .. سادفك منه .. ليس هناك أحد  
 احسن من أحد ..



.. اسرع الوب الحانوت يجرى .. وجد التفاح يمسح  
 ملايه .. والظلة يكون حوله .. وهو والى والأطباق  
 العارة متعززة في يده :  
 - يا ابن الكلب .. يا ابن الكلب .. تريد أن تطلق الدوالي  
 وتطعن زنايتي ..

.. أصابعه التعبة تنتقل بعباب .. نعلل للأصابع الأخرى  
 العجاجة .. الأطباق فوق الموائد أصابع تحفر في الأرض ..  
 تبني عمارات مجاورة .. تصلح سيارات قديمة مستعملة في  
 جاراجات قريية .. جميعهم في لحظة التهمة يتسعون في  
 سرور أحقاد الطعام ..

.. وسدبر ابوه . الحانوت .. يلبي النداء من الصائفة .  
 ينحن لأصابع زنايته يدعوها أن تمسح كل الأطباق ..  
 .. أصابع اللقراء خارج الحانوت مطبوعة .. لكنها داخل  
 المظلم قاسية .. تستلعب عذابه .. تتجرع ما في الأكواب ..  
 طلب أخيراً أكثر .. وتتمنى أصابعه أن ترفع طبقاً وترطم به  
 وجهه فاعل .. يحرقه بالصعيد المتصاعد من الطبق ومن رائحة  
 شواء أصابعه ..  
 .. قل تفاح شاب مبتهج لحرية المائدة لتساؤل  
 غداثة :

- هات .. هات .. هات  
 .. وراح التفاح يضحك حتى خرجت أملاؤه من بطنه  
 فرمها له ثايه اللامل حتى ينتهي من ضحكها ..  
 .. جاء بالأطباق .. نذل كل الطبيب : هات .. هات ..  
 وهاب ..  
 عاد التفاح يطلب : هات لهم .. وهاب لهم .. وهات لهم  
 .. حاول أن يسرع ليبي كل الطبيب .. وصرع التفاح  
 بلاحقة ليضمن سيطرته على اللعنة الذين يمانون معه في  
 العمارة ..

.. وبينما هو يجرى .. تلكات أصابعه .. لفتت .. فالتت :  
 مسحيل أن يستمر .. حاول أن يحرقها .. يحرقها منظر  
 إليه الحانوت .. لم تطفه .. جاء بالأطباق مثلكا .. وجد  
 التفاح ينتظره : أراد اخراج الأشياء المأخوذة القروية في  
 جوفه منذ أن كان يمسك الفرشة من الصباح حتى أخسر  
 النهار ..



.. تجمع رجال كترون .. بوابون ذباني .. وانصاف  
.. رجال .. .. .. .. ..  
.. انه انه انه .. قال منما : اي ؟ او  
.. .. .. .. ..  
.. .. .. .. ..



.. قال الرجل - أبوه في الماسي - الحرب .. اضني ..  
ولفقه ..

.. قل مسكاً باليد .. عت : الصانوت .. وصاحب  
العائوت في موانجه .. التسوة تلاق التسوة .. أصابع  
الحطة ذبان المظم .. تاكل فيه الإسكين .. قال الرجل  
- أبوه في الماسي - صاحب العاقوت : اضني .. أليس  
هذا ما تمناه ؟!

.. لو اقرب منه هذا الرجل .. سيطنه .. سيطن  
الأطباق واكواب الله والعملة المتوحشين .. والملم السجين  
داخل العاقوت ..

.. صرخت فيه زوجة الرجل الذي كان أمامه : لا .. ارم  
الدية .. من يذك .. ارمها ..

.. ظل يهتز .. الفسارح والداخل يهتز .. كريف كانت  
صورة وجه هذا الرجل من قبل ؟ ..

منذ زمن كان له أب .. قال الأب للرجل : هذه لراعي  
اليمني لن اقطعا .. الآن قطع هذا الرجل لراعه ..  
.. سألته فجأة : أين لراعاك اليمني ؟!

قال الأب : قطعتا يا ابن الكلاب ..

.. لكنه هو الآخر يهتز ولم وجود جدران العاروب حاض  
سنده ..  
.. كريف يهتز على دفع السكين ؟ كريف يهتز على انكسر  
القدسي .. خالق وجوده .. انه دهمب في وجه كل الابه  
والنجدود .. الملم لم يستقر .. الصانوت يهتز .. الإسجد  
تجبره .. يهد وجوده وما يهتونه ..

- اضني .. ولتنته من كل هذا .. اضني بجهيم ..  
في كلماته الأخيرة رائعة المثل من القصة .. ومع ذلك  
لو اقرب سيطنه .. لن يحمه وجود القليب والعماء تنوف  
منه .. والجنة رمة مقلقة وسط الموائد والألحاج وأرغفة  
الطبخ ، والبوابون يشيرون : الابن قتل الأب .. انتم تكلدون  
.. الآباء ياكلون الأبناء يؤسمون نظامهم العوايت .. الفلمه  
- مانحو القروش - هم الأبناء الآن ..  
.. يجب ألا اقرب من الندية خطوة .. القصة مرفوعة ..  
مازالت مرفوعة .. السكين رصفا في المظم في وجه التسوة  
.. لو عدت التسوة أصابعها الآن لتنتله .. سيطنها في  
وسط الدائرة أماما قبل أن تنزعه ..  
قالت زوجة الأب : انه أبوه باسبحر .. الق بالندية من  
بدك ..

مناء بركة دموع نظيفها لشاوء ومع ذلك تصعدت عيني  
أبيه الخانوت : لا تغفري لذلك .. أقعدا في جسدك واته  
.. واجب على الأرحامه ناسي من العاقوت : آتت أبو العائوت



وابنه .. وأنا أبو نسي .. في داخلك يفتي الأب صبراً ..  
لكن تمنيت مناه .. أبعدت يديه عن عني .. لم يصقني  
ولا مرة .. في كل مرة أعم بزمانته أجده بمانق العائوت ..  
.. الآن أود أن أعانفه وأبكي وألقى بالندية .. ولكنك  
مفاعد واكواب مام وفلمة حافة عطش .. وقروش نعل جيب  
القوقه .. ابتعد عني لأنني بالندية بعيدا وأستريح .. أنت  
المرأة ذات القلين المظفين بالدماء .. لكن المرأة في يدى ..  
سأضنك بها .. الزوجة نود لو اظنك لتتحرر من الظن ..  
ومع ذلك صرخ لاني بالندية وأحرقت لندود فتحتل جسديها  
من جديد .. صفني .. سألتهك لو التزيت ..

.. فجأة .. اسب اللهيه كما نداب .. مل الأب اللبية ..  
حلك من سيجها .. احص المرأة ذات التسابين .. سافلت  
المفرد من يده .. استراحت أخيراً ..  
قال الأب وهو ساهب : أجمع ملايسك .. وغادر الكوخ  
الله ..

# لسان العرب

## بقلم عبد السلام هارون

( صلح ، طرف ) واصلاح المنطق ١٢٤ . اطراف  
الرحل : ابواه وأخوته وأعمامه وكل قريب له محرم .

١٢٢ : صلح : ٣٥٢ س ١٢ وبيروت ٥٢٠  
والخطوط له حقوق :

جلبن الخيل دامية كُلاها

يُسَنُّ على سناكبها الصُوحُ

صوابه « جلبننا » بضمير المتكلمين ، كما في  
الصحاح والقاموس ( صوح ) .

١٢٣ - اطمح ( ٣٦٧ س ٧ وبيروت ٥٢٤ .  
انتشد لابي داود :

طويل طامح الطرف إلى مقرعة الكلب

صوابه « مَقْرَعَةُ الكلب » كما في المخطوطة ،

وامالى القالى ٢ : ٢٥٠ والتنبيه ص ١٢٦ والاعتضاب  
٣٢٤ . وهو في صفة فرس ، قال الاصمعي :  
« أراد يطمح ببصره الى حيث يفسزع الكلب الى  
الصيد ، يصغفه بالنشيط » . وانظر حواشي

١٢٦ - ( شرح ) ٣٢٨ س ١٠ وسيرت ٤٩٧  
والخطوطة ايضا ، قول الراجز

« ثم ادخرتُ إليةً مشرَّحه .

والإلية بكسر الهمزة خطأ شائع ، لا تقوله  
العرب ، انما هي « آلية » بالفتح . وفي اللسان  
نفسه ( الا ) : « ولا تقل ليه ولا ليه ، فانهما  
خطأ » .

١٣٠ - ( شرح ) ٣٢٩ س ٥ وسيرت ٤٩٨  
اشد :

ولا تذهبن عيناك في كل سمر

طوال فلن لأقصرين

صوابه « عيناك » بخطاب الانثى ، فان قبله كما  
في اللسان ( مزر ) :

إليكِ أبنةُ الأعيار خافى بسالة الـ

رُجال وأصالال الرجال أقاصره

ولم تضبط الكلمة في المخطوطة .

١٣١ - ا صلح ( ٢٤٨ س ١٢ وبيروت ٥١٨  
والخطوطة ، قوله :

فكيف باطراق إذا ما شتمتني

وما بعد شتم الوالدين صلوحُ

والبيت لمون بن عبد الله بن عتية بن مسعود ،  
كما في اللسان ( طرف ) ١٢٢ ، وصوابه : « باطراقى »  
كما في الموضع الثاني من اللسان ومقاييس اللغة

الحيسوان ٢ : ١٦٨ . و « طويل » و « طامح »  
يرويان بالرفع والحجر ، كما في الانتصاب .  
١٣٤ - ( نسلح ) ٣٧٩ س ١٦ وبيروت ٥٤٥  
والخطوطة . قول أبي النجم :

• قبضاء لم تفتح ولم تكلل •

صوابه « قبضاء » بالصاد المهملة ، كما في  
اللسان ( قبص ) . يقال هامة قبضاء : عظيمة  
ضخمة مرتفعة . وقبيله في الأرجوزة ، وقد  
نشرها الأستاذ بهجة الأتري في مجلة المهدد  
العلمي العربي بدمشق ( السنة الثامنة ص ٤٧٥ ) :

• تحت حجابي هامة لم تعجلي •

١٣٥ - ( فليح ) ٢٨٣ س ٧ وبيروت ٥٤٩ .  
قوله : « ومن رواء فلحاب الشام بالجم ميماء  
ما اشتق من الأرض للديار » ، صوابه « للديار »  
بالباء الموحدة ، وهي جمع ديرة ، وهي الساقية  
بين المزارع . قال بشر :

تحتل ماء البئر عن جرشيّة

على جربة يعلو الديار غروبها

والكلمة مهملة القطع في المحفوظة  
١٣٦ - ( نسر ) ٣٩٥ س ١٢ وبيروت ٥٦٠  
والخطوطة . قول ذي الرمة  
وصوح إذا الليل الخدارى شقه

عن الركب معروف السأوة أفرح

صوابه « وسوج » كما في ديوان ذي الرمة ٨٩ .  
وسوج : نسر الوسج ، والوسج والوسيج : ضرب  
من سير الأبل .

١٣٧ - ( قرح ) ٣٩٧ س ١٤ وبيروت ٥٦٢  
والخطوطة . انشد للناطقة :

قراحية ألوت بليغ كائها

عفاء قلوص طار عنها تواجر

صواب روايته « عفاء قلاص طار عنها تواجر »  
كما في ديوان الناطقة ٤٦ واللسان ( تجر )  
يقال ناقة تاجر : ناقة في التجارة والسوق ،  
والجمع تواجر . والقصيد مكسورة الروي  
معلمها :

لقد قلت للنعمان يوم لقيته

يريد بني حن ببرة صاد

١٣٨ - ( قرح ) ٣٩٧ س ١٦ وبيروت ٥٦٢  
والخطوطة . قول جرير :

ظعائن لم يدن مع النصارى

ولم يدوين ما سمك القراح

الوجه « ظعائن » بالنصب . وقبلة في ديوان  
جرير ص ٩٧ :

يكلفني فؤادي من هواه

ظعائن يجتزعن على رماح

١٣٩ - ( كمح ) ٤١١ س ٣ وبيروت ٥٧٥  
والخطوطة . قول الراجز :

• امح القلاح واحسن فاه الكومحا •

صوابه « القلاح » بالخاء المعجمة ، كما في تاج  
العرواق . وهو اسم لثلاثة شعراء ذكرهم الأمدى  
في المؤلف والمختل ١٦٨ وصاحب القاموس في  
مادة ( تلخ ) .

١٤٠ - ( كبح ) ٤١١ س ٢٢ وبيروت ٥٨١ :  
« كسرا بعة عليه حتى قالوا : حرة وجمار » ،  
صوابه « كسرا بعة » بضم الكاء . كما في  
الخطوطة . وأما « جفر » بضم الجيم وأن ضبطت  
سهوا هنا في الخطوطة بفتحها . وانظر كتاب  
سبويه ٢ : ١٨٤ .

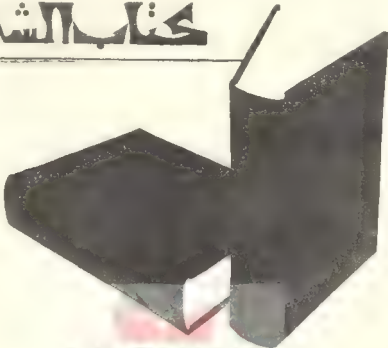
١٤١ - ( لقع ) ٤١٩ س ٤ وبيروت ٥٨٢ « وكما  
قيل المبروز والمحتوم ، فجملة مبروزا ولم يقبل  
ميرزا ، فجاز لمفعول لمفعول ( بكسر العين ) كما جاز  
لمفعول لمفعول ( يفتح العين ) » . وكذا في الخطوطة  
مع افعال ضبط ميرزا . والصواب « والمختوم »  
بالخاء المعجمة ، و « ميرزا » بفتح الزاء و « لمفعول »  
( بفتح العين ) في الوضع الأول . و « لمفعل »  
( بكسر العين ) في الموضع الثاني . وانظر اللسان  
( برز ) .

١٤٢ - ( لقع ) ٤١٩ س ١٩ وبيروت ٥٨٢ مع علامة  
استفهام والخطوطة ، قوله :

• هل لك في اللواقح الجواثر •

صوابه « الحرائز » كما في اللسان ( حرز )  
ومجالس تعلي ٢٩٧ .

# كتاب الشجر



مقدمة :



ما يسرني من أجمع على وفاة  
أبي الصلح القرني ، ولكن الكتب  
التي بين أيدينا اليوم والتي  
يجمع كتابات القدماء عنه منذ

عصره إلى بداية القرن الثالث عشر الهجري ، يرينا  
كيف أن الحديث والكتابة عنه ، والتفكير في أمره ، لم  
تنتفح طوال هذه القرون ، ولعلها تستمر ، بل نعتد المناقشة  
وتشارب الآراء أكثر مما نصارت واختلفت ، وأصعدت أبا  
الملاء في قوله :

كم شامت بي أن هلك ، وفالائل قد حره !

ولا عجب ، فبينما يعتريه تاريخ العربية بالكتاب والشعراء ،  
والرواة والتفاد ، والثناء وعلماء اللغة ، والأدباء والمفكرين ،  
نرى أبا الملاء وحده كان كل ذلك في رجل واحد ، بل كان  
على فنه جميعا . وبينما لا نجد للمتنبي على خلفته كثير  
مقالة أو رسالة نثرية واحدة ، ولا نجد ديوان شعر لأن المدح  
أو ابن خلدون أو الجاحظ ، فإن من بين ما وصل إلى أيدينا  
- وهو التزود اليسير من مؤلفات أبي الملاء العظيم - ما يبين  
لنا ، أن أحسن قراءته ، كيف أنه كان شاعرا مبدعا وكارنا  
عظيما وفنانا موهوبا ، وكان إلى جانب ذلك كله عالما بكل  
ما كان يمكن أن يعرف في أيامه ، وكيف أنه بلغ من التصبر

## تعريف القدماء بأبي الملاء

كتاب متعدد - الأثر القومية للطباعة  
والنشر - مشرّع المكتبة العربية . التراث

### عرض : محمد الحديدي

والتر ما لم يلقه أديب قبله ولا بعده ، وجمع بين شيئين  
قلما اجتماعا في رجل ، وهما التوبة الفنية والسلام  
السيفي .

وعلى الرغم من كل ما كتب عن أبي الملاء منذ وفاته إلى  
اليوم ، فاقى اعتقده أنه لم يوف حقه من الدراسة والانتقادات :  
ولعل لذلك أسبابا واضحة ، منها ما رسب في الإلهان بقلان

بالعادة ، ويندر أن تصنف بينهم متوسطا بين هسليين  
المعنيين .

## ٢ - الشغراب :

وهي مقتطفات من كتابات متعددة ورد فيها ذكر أبي العلاء  
أغلبها لا يبدو مجرد الإشارة اليه وعددها أربع وثلاثون ، منها  
ثلاث للتبريزي ، والثلاثان لياقوت في معجمي الأدباء والبلدان ،  
وأخرى في وفيات الأعيان لابن خلكان ، وغير ذلك مما يدل على  
ما بذل في جمع هذا الكتاب من جهد طائل وإخلاق ونسق  
دقيق ، أغلب الظن أنه لم يدع ذكرا لأبي العلاء طال أو قصر  
إلا أوردته .

## ٣ - التبريز من معرفة القرى للسيوطي :

وهي أرجوزة نظمها السيوطي ، ذاكرا في مقدمة لها أن أبا  
العلاء كان قد عثر برجل في مآتم والد الشريف الرضي ببغداد ،  
فقال الرجل « من هذا الكتاب ؟ » وكان أبو العلاء إذ ذاك في  
الغيبوبة والثلاثين ، فاجابه اجابة لعلنا نذكرها ثمنا فمد  
إلى المتحدث عن هذه الحصة من حياته لتنتظم منها ومن غيرها  
وسيلة للحكم على مدى امتداده بنفسه في شيابه وإخلاقه  
في ذلك مما كان عليه في شيوخه ، اجاب قائلا « الكتب من  
لا يقرأ للكتب سبعين اسما ! » يعني كيف تسبي وتنا عالم  
نفس : من ي العلم إلى حد أنني أعرف سبعين كلمة تدل على  
نوع واحد من العيوب ؟

... في يد القرى بما يقر من خصمالة  
... وفي ... هذه القرى هذه ظلت تدعى في الأذان  
... من حيث أنه هو الآخر يعرف للكتب  
« مرة القرى » حتى يد وفاته بمئات  
... أصول أسماء الكتب في «رجوعه من  
... عليه .

## ٤ - أبو العلاء في الأدب الفارسي :

وهو فصل من ثمان عشرة صفحة كان قد جمعه وزير العلم  
الوطني وأعضاء اللجنة . والجزء الأول منه منقول عن كتاب  
للكتاني ، أحد وزراء الأندلس على عهد ملوك الطوائف بها ،  
وهو يذكر فيه أنه عارض كتاب الفري « سقط الزند » وهو  
ديوان شعر ، يكتفي من تأليفه اسماء « ثمره الأدب » وهو  
كتاب نشر . وذكر أنه قد اقتصر من شمس البافلة على قسم  
الكتابة . . الخ . وهذا فصل غريب في الكتاب ، أشبه  
شبه بموسوعات الانتشاء التي يكتبها تلامذة المدارس .

## ٥ - أبو العلاء في الأدب الفارسي :

وهذا الفصل مقالاتان بالفارسية مترجمتان إلى العربية  
لناصر خسرو ودولت شاه . يذكر الأول أن أبا العلاء كان دائما  
يجلس وحوله أكثر من مائتي رجل وهي رواية غريبة . أما  
الثاني فيذكر أن أبا العلاء كان كلما نظم قصيدة في مدح  
الخطيب (؟) قلده أبو سعيد الكرسي وأخضره مجلس الخطبة .  
وفيها ذكرها السكاهة لتبين مدى معرفة الفارسيين لأبي  
العلاء .

عنديته وما يتلى هذا الكتاب نأراه من سبب الكثيرين من  
هؤلاء « القدماء » له ومؤلفهم بالغ منه ووصفهم له بعض الصين  
والقلب ، ومنها شعاع الكثير من آثاره ومؤلفاته التي يعلم أنه  
ما كان يمكن أن نجد فيها من توفز الفن والعلم والأدب ، وما  
ترتب على ذلك من غشوش أطوار حياته وصورة إضافة الجديد  
إلى ترجمته ودراسته . ولا يوفتنا في هذا المقام ، وفي كل  
مقام يذكر فيه أبو العلاء ، أن نذكر فضل الدكتور طه حسين  
على قراءة الأدب العربي ، إذ لولا جهوده لما عرفنا أسا العلاء  
ولكان على القارئ الذي يريد أن يعرفه أن يفرق في بحر  
هذه الكتب القديمة ولعله يندر أن يصل ناحث في هذا المجال  
إلى بعض ما وصل إليه طه حسين في مدى خمسين عاما أو  
أكثر ، لم ينقطع فيها اهتمامه بأبي العلاء وكتابته عنه وتقليبه  
للأثر على وجوهه حتى خرج منه برجمة أنسل ما تكون لهيأته  
في « ذكرى أبي العلاء » ونحاسة عزلته وفنه في « مع أبي  
العلاء في سجنه » وترفي لروائع شعره وحكمت في « صوت  
أبي العلاء » ، ثم نوج ذلك كله بإشرافه على هذا العمل المصنم  
« تعريف القدماء بأبي العلاء » والذي بولاه الأساتذة : مصطفى  
السقا - عبد الرحيم محمود - عبد السلام هارون - إبراهيم  
الانباري - حامد عبد الجيد .

وهذا الكتاب ليس كتابا جديدة ، فهو أولا « نسخة مصورة  
من طبعة دار الكتب سنة ١٩٤٤ » كما هو مكتوب على طلافه ،  
أعيد نشره في هذا المشروع الجليل الذي تقوم به وزارة  
والذي يستحق بمقدار الاسم الذي أطلق عليه التسمية  
العربية ، والذي نتمنى من قلوبنا أن يظفر نظاما إلى تر  
القديم الذي يصعب على القارئ الشوق إلى  
يريد أن يقرأه منه . وثانيا فالكاتب يستعمل أسلوبا  
الذين كتبوا عن أبي العلاء سواء في اللغة العربية  
أو ذكروه في سياق حديث آخر . الثابت لا جد  
قراءته للكتاب أو استعراضي محتوانه إلا أن يعني لو يظهر  
بمعاريف أخرى للرداء بغير أس الطلح من الشعراء والكتاب .  
وهذا الكتاب يقدم للقارئ مجلدات يستطيع فرائده في بصفة  
أيام ، ولن يستطيع فرائده ما فيه من مصادر الأصلية إلا فيما  
يستغرق أعواما من البحث في دور الكتب والمكتبات ، وما قد  
يفضي أن يجوب الأقطار بحثا عن كتاب قديم ، كما فعل السادة  
الأجلة الذين أخرجوا لنا هذا العمل الرائع .

## محتويات الكتاب :

ويتقسم الكتاب - بعد مقدمة الدكتور طه حسين - إلى  
الأقسام الآتية :

## ١ - التراجم :

وهي سبع وعشرون ترجمة لأبي العلاء بالأفلام فعاد الكتاب  
كانتالابي صاحب التينة ، وابن الجوزي ، والعلاني ، وباقوت  
العموي ، وابن الأثير ، وابن خلكان ، واللحي ، وابن كثير ،  
والعيني وغيرهم . ومنهم من لخص حياته في أسطر قليلة ومنهم  
من أطال ، وذهب بأقوال إلى حد أراد نص رسالة مع داعي  
الدعاة . وفي هذه التراجم مناقشات متعددة ، والكتاب  
أما معجون نفعه وعلمه وأما كارهون له معاملون على اعتقادهم

ولزوم بيته ، وأخذ نفسه .. الخ » ، جعل كلامه منسجما على حياة أبي الطراد فيجيب أجابها ومراحها ، فكيف يقال بعد ذلك انه كان « يحاول أن يمتحن قدرته على الدلول في فنون الشعر المختلفة يروض نفسه .. الخ » ؟ فهل كان أبو الطراد بعد اعتزاله يكتب في فنون الشعر المختلفة ؟ وهل كان « يضر وهو راغبي للفرح ، ويتنزل والفرز أبشئ شيء إليه » ، ويصح وهو يرى أن ليس بين الناس من يستحق المدح « كما جاء ؟ فمن أوضح الأمور أنه لم يتنزل بعد اعتزاله الناس » ، ولم يصح ، اللهم إلا في رسائله الثرية من باب المجاملة وهو ما لا يسمى « مدحا » ، ولم يضر بل ذم نفسه - والنفس بالطبع - بكل وسيلة مما جاء شيء عنه في القصيدة . ولا أظن أنه يمكن أن يروى عنه بعد العزلة ما يمكن أن يشبه الفرع إلا بيته الشهير :

فدوب مريض الطلح والدين فالدين  
لسمع أنباء الأمور الصالحات

وحتى هنا لم يكن يقصد الفرع بل كان يتحدث عن تعزيم الحيوان ؟ من علم فالفرقت أن عبارة « بعد اعتزاله الناس ولزوم بيته » جاءت زائدة نتيجة لطفا طبخى ، فاصطدمت ثانية بمسألة « يضر غير مؤمن بالفرح » ، وهي فيما أرى لا تتشبه مع « كان في أثناء شبابه » ، يفردنا « لأن أبا الطراد لم يفرد إيمانه بالفرح ولم يمتنع عنه إلا « بعد اعتزاله الناس ولزوم بيته » ؟ صحيح أن الديوان الذى يهوى هذه القصيدة وهو « مسقط الزبد » الذى كتبه أبو الطراد في شبابه يضم قصائد في الفرع والمدح والزل ، وصحح اننا نعرف من لغة أنه لم يصح كما مدح غير مؤمن بالفرح ، وقد فربونا هذا الى القول بأن شعره فى الفرع والزل أيضا كان قصده منه أن « يمتحن قدرته على الدلول في فنون الشعر » كما يقول الدكتور طه . ولكن هل كان هذا صحيحا بصفة قاطنة ؟ أى أن أبا الطراد لم يقل بيتا واحدا من الشعر في المدح والفرح إلا « امتحانا لقدرة » وأنه نأه على ذلك كان يمتحنها أيضا متحدا ومد بان « على بما لم تستطع الأوائل » فالف هذه القصيدة دون أن يشمر بدلى فرح « بل كان « شديد التواضع » حتى في الطور الذى ألف فيه هذه القصيدة ؟

ولا نستطيع ، ولن نستطيع أبدا ، أن نعرف ما إذا كان أبو الطراد قد أحب في صباه أو صدر شبابه ، أكبر الفن أن لم يضل . ولكن لنا أن نهمل مسألة القول لأنه ما من شاعر هزلي قديم لم يكتب في القول « امتحانا لقدرة » أو اتباعا لتقاليد الشعراء العرب في التسيب - فاما المدح فمن مدائح أبي الطراد ما كان يكتبه رياءه لفته وفي ممدوح لا وجود له ، ومنها ما مدح به أشخاصا كان يعرفهم ممن لا دأى للإطاعة في حصرهم ، وأن كان بالطبع لم يتغاضى منهم ولا من غيرهم أجرا على مدحه . فمن الظهور أن نلحم على شعره أيضا بأنه لم يكن يقصد ما فيه من معنى ولم يكن يشمر به ، خاصة وهذا الفرع كان صليحا الى حد كبير كما يقول الدكتور طه حسين في المقدمة صليحا على البيت السابق ذكره « ومع ذلك فلم يصدر أبو الطراد في شيء من شعره الفرع كما صنف في هذا البيت » .

وهو ست شذرات تتناول في جعلتها استخدام المرى لفرح « لولا » ولا تكاد تريد شيئا من ذلك ، ولكنه يدل مرة أخرى على مدى ثباتي الأساندة الذين جمعوا الكتاب وهدم انفالهم لشيعة أو كبيرة .

## ٧ - الانصاف والتحرى :

وهذا كتاب مستقل مؤلفه ابن الصديق ( ٥٨٨ - ٦٦٠ هـ ) وهو من المراجع المروفة في موضوع المرى يشتمل ما يقرب من مائة صالحة من الكتاب ( وهو في جعلته يقرب من سبعمائة ) لورد بنصه كاملا ، وهو كتاب قديم معروف لعائس أبي الطراد .

## ٨ - مرة النعمان :

وهذا فصل في تعريف القصة بمرة النعمان « بلدة أبي الطراد » .

## مقدمة الكتاب :

والكتاب كما سبق مصدر بمقدمة لاستاندا الكبير الدكتور طه حسين ، بمؤلفها بعديته عن أبي الطراد ، وأنا أحد الناس الذين لا يتكلمون بأى قدر من حديث طه حسين عن أبي الطراد . لم يشرح الاستاندا بأجوات قصصة هذا المؤلف وما صالفة من صمويات ، ويطلب الى وزير الثقافة أن يكلف بعض طلائع البحث في الكتابات على اختلاف الطرائف والقصص على أن يظفروا بما لم يحصل اليينا من الأربابى العلم في هذا كتاب القصة منه ، وهو رجاء نعوذ الله من فلوينا أن يتحقق . ولقد أن نتنزل الى ما بعد القصة « لا يوثقون أن أسائل عما إذا كان في بدايتها خطأ طبخى أو مسطر سكتت سوا ؟ هى تبا يراود قول أبي الطراد في شبابه :

وانى وان كنت الأخيبر زمانه

لات بمسا لم تستطع الأوائل

ويقول الدكتور طه « وقد قصد أبو الطراد بهذا البيت الى مجرد الفرع ، شانه في القصيدة كلها ، وكان في أثناء شبابه ، وبعد اعتزاله الناس ، ولزوم بيته ، وأخذ نفسه بالوان من الشدة والتفتيق يحاول أن يمتحن قدرته على القول في فنون الشعر المختلفة يروض نفسه على ذلك كما راضها على اشياء كثيرة ، فيشر غير مؤمن بالفرح بل وهو راغبي للفرح أشد الراغبي ويتنزل والفرز أبشئ شيء إليه » ، ويصح وهو يرى أن ليس بين الناس من يستحق المدح » .

لم يعود في فترة أخرى فيقول « وما أشك في أنه قال هذا البيت وهو يراء فخرا من الفرع الذى ألفه الشعراء ولم يتنحروا فيه من الإيصاد والإغراق دون أن يؤمن بشيء منه فيما بيته وبين نفسه ، لأنه كان شديد التواضع .. الخ » .

وقد أصابتنى هاتان الفقرتان بحيرة واضطراب شديدين ، فالدكتور نقوله : « في أثناء شبابه » ، وبعد اعتزاله الناس ،

هل نطعن الى أن تحكم بأن أبا العلاء كان مصنعا في غزله وفي مدحه ؟

وهل يطعن فرباسا على ذلك أو فرباسا على لعمه لنفسه ولقديما والناس بعد « اعتزاله الناس » ، وبعد « لزوم بيته » أو فرباسا على أي شيء آخر ، هل نطعن الى أن غفره قبل اعتزاله الناس ولزوم بيته كان مصنعا هو الآخر ؟

بعبارة أخرى : هل كان أبو العلاء « شديد التواضع » طيلة حياته ؟ وهل كان صادقا في تواضعه ؟ وهل كان ذلك في جميع أطوار حياته وحتى في صباه ؟ وهل كاتب نظراته الى الحياة والناس ومدى طموحه أو تقاعده واحدة طيلة السبع والثلاثين عاما التي عاشها ؟

وهل يمكننا أن نخرج بهذه النتيجة لو اقتصرنا على درس حياته ومؤلفاته قبل الفزلة متفلسين ما بعد ذلك تماما ؟

إن أبا العلاء لم يكن رجلا واحدا ، بل كان رجلين ، أحدهما ولد سنة ٣٦٢ هـ وسافر الى بغداد سنة ٣٩٨ هـ ، والثاني عاد من بغداد سنة ٤٠٠ هـ وحسب نفسه في بيته الى أن مات سنة ٤٢٩ هـ ، محروما عليها كل ما كان يطمح اليه في حياته الأولى ، أما السنمان اللتان بين الحياتين فوا أسفا ! لم يات « القديما » شأنهما بما كتفاه لنا السر الرقيب الذي ذهب بأبي العلاء وجاء بأبي العلاء التالي ، ولو أسلفنا أن نعرف ما يعين كيف عاش أبو العلاء في بغداد وكيف رجع مهبط أسفكا بصحاح بعض القديمة ، وبعبارة أخرى حسنا دون عمار كبير ، فلنحاول إذن أن نجد ما جالس عيسى بن خنيس ، أو عدم الالتئاع به من أقوال « ز. م. أ. » ، الخ ، - ولعلنا نوفق في تيسر السر في « ز. م. أ. » ، الخ ، - ونرجع كثرة ، وسنطرح لبنا به كان في سر « ز. م. أ. » ، الخ ، - لاستنصاحنا بالقول دون أن نوفقوا في التحليل كثيرة ليسألو أنفسهم : « أي الرجلين قالها ، أبو العلاء ؟ أم أبو العلاء ؟ »

## مراحل حياته :

لا نستطيع أن نؤزم أنه يمكننا أن نعرف كل هذه الكتابات ونحصى ما فيها من الأخطاء . ففي حياة أبي العلاء حقائق مغفورة كثيرة ، والكثير مما يروى عنه أصبح الآن أبعد على مقياس الزمن من أن نستطيع أن نقطع مرأى فيه ، كما أن من الصيت أن تطول الباب صحة أو عدم صحة ما ينسب اليه من أقوال سواء وردت في كتبه التي بين أيدينا أم لم ترد وخاصة إذا كانت نثر ، فقد ضاع من نثره ما تركنا وليس في حوزتنا جزء من مائة مما كتب . فلما التشرع فيم التثبت من مصادر متعددة في الكتابات التي ألفه سنة دواوين من الشعر هي : سقط الزيد ولزوم ما لا يلزم والدرجات ومغنى السبيل ( وهو شعر ورث ) وجامع الأوزان والاستفطار . والأخبار لا يوجدان فيما أعلم ، أما الأول والثاني والثالث والرابع فهو جوفية ، ولكن أي لنا أن نطعن الى صحة ما فيها ولعل فيها ما لم يقنه ولعل بعض ما فهمنا لسقط ما عشنا من نسخ . وهذا الكتاب مله بالمشاهد الشعرية المنسوبة اليه مما لم يروى في دواوينه . ولكننا نستطيع أن نتفقد أخطاءه في البحث بالرغم من ذلك كله .

وقبل أن ندخل الى ذلك ، يجب علينا أن نرسم خطوطا لراحل حياة أبي العلاء ، ونضع مؤلفاته في موضعها الصحيح من هذه العجاء ، وهي مسألة لم تشرع لها الباحثون بجمع عناصها كما سئرى .

ولنتظر أولا في المراحل التي ألف فيها كتبه التي وصلت اليها مع استيلاء الدريجات لتطه ناصيا المبكر ولتقصر على : سقط الزيد - اللزومات - الفصول والمقالات - رسالة الفخران .

وفي هذا الكتاب « تعريف القدماء » وفي غيره من الكتب ما لا مدح مجالا للشك في أن أبا العلاء ولد في مرة التمان سنة ٣٦٢ هـ وأنه مرض بالجذري وفقد بصره وهو في الثالثة أو الرابعة وأنه تلقى تعليمه الأول عن أهله .

ثم يروى العففي والقصبي وآخرون أنه « لا كبير » رجل الى طرابلس أو « طرابلس » انشام ليقرا ما فيها من كتب وأنه اجاز اللطافية في هذه الرحلة وقابل راهبا في دير الفارس سمع منه « ما حصل له به شكوك » ، ولم يذكر أحد منهم عسى كان ذلك ، ولكن ابن المديم يرفض هذه الرواية بأكملها ( ص ٥٥٧ ) ويقول أن من روى عنهم هؤلاء قد أشبه عليهم ذلك مدار العلم ببغداد . وقال أن طرابلس لم يكن بها دار علم في أيامه - لأنها جددت بعد وفاته . ويبدو كلامه مقننا خاصة وأبو العلاء لم يتحدث طيلة حياته عن سفره الى طرابلس بينما ذكر ببغداد في مواضع كثيرة ، منها رسالة الفخران الى الفها يفرغ عوده من بغداد ما يرى في ربيع ثلث ، ويقول فيها : هذه عاصمة الدنيا .. الخ .

ونحن على أنه من سفره الى بغداد سنة ٣٩٨ هـ وفي هذا الكتاب ما يدل على ذلك في مواضع كثيرة ( وإن كان بعض الرواة يقول أنه دخلها مرتين ، وهؤلاء لم يذكروا أنه خرج منها إلا مرة واحدة ) وأنه عاد منها سنة ٤٠٠ هـ حيث أعلن أنه سيؤزم بيته لا يبرحه أبدا ، وفي ذلك من امتناعه عن مقابلة الناس - إلا أنه فيما بين سنتي ٤١٧ ، ٤١٩ ( طبقا لباقول والمصنف وما ألتبع به طه حسين من الروايات المتعددة عن هذه الواقعة ) خرج من منزله الى قاهر المرة ليشبع لأهله عند صالح بن مرداس .

ونوفي سنة ٤٢٩ هـ .

## سقط الزيد :

عسى ألف أبو العلاء هذا الديوان ؟

إن فيه قصائد في رثاء أبيه التي مات سنة ٣٧٧ ( ص ٦٩ ) وفي رواية أخرى لابن المديم سنة ٣٩٥ - وكلتاها قبل سفره الى بغداد . وفيه رثاء لأمه التي يبدنا هو نفسه أنها ماتت وهو في بغداد أو في طريقه للممرة ، وذلك في قوله من قصيدته لصديق له هناك يحثها اليه بعد وصوله للممرة :

أنا في عشكم أمان ، والدة

لم ألقها ، وتراد عاد مسفونا

ويوضح بذلك أن عودته عن بغداد كانت لبين أحدهما  
أسرعه للقاء والدته قبل أن تموت - وفي الديوان قصيدة  
أخرى منها رثاء أبي حمزة وهي القصيدة المشهورة :

غير محسب في طلي واعتقادي  
نوح بساك ولا ترم شمسك

وأخرى في رثاء جابر بن علي ، أحد أربابته ، وهي لا تقل  
عن سابقتها روعة :

أنفج بالواجب من وجيبه  
صبر يعيد التمسار في زنده

وقصيدة في رثاء والد الشريف الرضي وأخرى في وصف  
رحلته إلى بغداد وغير ذلك من القصائد التي يسهل تصديق  
نواريتها بالخصائص التي قبلت فيها والتي تقطع بأن الديوان  
كله كتب قبل أو أثناء إقامته ببغداد عما التأتية السابق ذكرها  
والطائفة التي مطلها :

إن جيرة سيموا التوال فلم ينظوا  
بظالم ما قل ينسبه الطغ

وقد نظمها سنة ٤١٤ أي بعد عودته بأربع عشرة سنة ( انظر  
تجديد ذكرى أبي الملاح لطف حسين ص ١٩٢ ) .

وهذه هي القصيدة الوحيدة التي كتبها بعد عودته عن بغداد  
بسنوات وعلته فيها إلى هذا الديوان وليس إلى اللزوميات  
التي لا شك كان يؤلفها إلى ذلك أو بعد ذلك بقليل ، لأنه أراد  
أن يكتب قصيدة طويلة لا تحتمل التزامه بالأوزان في فصاحة  
فخرج بذلك عما فرسه على نفسه من قيود السجع والتهافت  
من أهدافها هنا أن تعدد متى فرسها على نفسه ، وكل كان ذلك  
دفعة واحدة فيكون ذلك نتيجة لتحول مفاجيء في شخصيه  
وتفكيره ، ثم واحدا بعد الآخر دون رابطة بينها ؟ وأهم هذه  
الديود : لزوميته - لزوم ما لا يلزم - تحريم الحيوان -  
الامتناع عن الجنس والتسل - فاما لزوم بيته فنحن نعرف  
متى فرسه على نفسه : في سنة ٤٠٠ هـ بعد عودته عن بغداد  
بمباشرة ، بل انتواه وهو في الطريق بدليل رسالته لأهل بلده  
( ص ٩١ ) وأما لزوم ما لا يلزم فنستدل الآن عليه ، وأما تحريم  
الحيوان فسنأتي له أيضا وهي مسائل لم يترعى لها أحد فيما  
أعلم . أما الامتناع عن الزواج والتسل فهو بحث يطول فلنرجعه  
لخاصية أخرى وقد سبق أن كتبنا شيئا عنه في عدد يوليو ٦٥  
من هذه المجلة .

لزوم ما لا يلزم :

وهو الديوان المعروف أيضا باسم « اللزوميات » كما يجب  
له حسين أن يسميه - متى وكيف ألف هذا الديوان ؟ هل  
ألفه بالترتيب الهجائي الذي كتبه به ؟ يعني الهجزة ثم الألف  
وهكذا حتى الياء ؟ إن الكثير من كتب المعري التي لم تصلنا  
كانت مرتبة في الأخرى ترتيبا هجائيا ، ويظهر أن أفراسه  
بالعرف كان عظيما - ولست أشك في أن كتبه التثنية التي  
رثاها هكذا ألفت بنفس الترتيب ، ولكن الأمر هنا أمر ديوان  
شعر مليء بالانفعالات والمواظرات الوجدانية ( والفلسفية ) -  
واقشاعا لا يستطيع أن يفرس على نفسه قافية معينة قبل أن

يكتب وكل من مرس كتابة الشعر لا يد أن يعرفه أن العافية  
تفرس نفسها على الشعر في بداية أحسنه بانه يريد أن  
يكتب .

وقد قرأت رأيا لأحد الباحثين يقول باستقاده بأن اللزوميات  
ألفت بالترتيب الذي نراها عليه اليوم ، وأن لا قدر هذا الرأي  
وأعتقد - بالرغم مما سلووه - أن الأمر قد يكون كذلك ، إذ  
أنه يصعب الاتيان بالبرهان الثابت في قضية كهذه . ولكني  
أميل إلى الاعتقاد بأنها لم يؤلف بهذا الترتيب لاعتبارات  
مختلفة أرى قبل الياء في سردها أن أوضح أن أهمية استجداد  
هذا الأمر ليست تاريخية فقط . بل أنه قد يؤدي إلى كشف  
بعض المفوضي الذي يحيط بنفس أبي الملاح ، فانه من الأهمية  
بمكان أن نعرف هل كان أبو الملاح يرس إلى وضع مؤلف يتضمن  
أراء فلسفية ، أم أنه كان شاعرا يكتب عما يصح به لم رأى  
فيما بعد أن يكون مما كتب ديوان شعر ؟

يندر أن نجد في اللزوميات قصائد تدل على الزمن الذي  
كتبت فيه ، ثم أن ذكر حادثة معينة في أي أثر أدبي لا يدل  
إلا على أن الكتابة كانت بعد وقوع الحادثة وليس قبله ، ولكنه  
لا يحتم أن الكتابة كانت بعد الحادثة مباشرة ، إلا إذا كان هناك  
اعتبار آخر ، كما سنحاول أن نبين .

وقد ورد في اللزوميات ذكر لعادتين يمكن أن يستدل منه  
على الزمن الذي قبل فيه ما قبل بشتها وهذا : واقعة حصار  
المرحى وما استميتته من شغلها في العلل عند صالحي  
مروحي ، والآخر وفاة صديق أبي الملاح ، أبي القاسم الوزير  
المروزي .

ولقد ذكر أبو الملاح حصار المرحى في ثلاثة مواضع باللزوميات:  
أفان السائنة ، وهي القصيدة التي منها :  
بعثت صغابها إلى صبيالح  
وفاد من القيسوم رأى فسيح

ثم في الرأ المفخوخة ومطلها :

انت جامع يوم المروية جامعها  
نقص على الشمسك بالمر أمرها

والتى بدلتها فيها على سنة إذ ذاك بقوله :  
وما الجيش إلا لجة باطنية  
ومن بلغ الخصمين جاوز غصصها

ثم في اللام للكسوة :

نحي الصابر من بران صالحي  
رب يداوي كل داء مضطرب  
ما كان لي فيها جناح بوصفة  
أله أولام جناح تفضيل

أما الحادثة الثانية ، وهي وفاة أبي القاسم ، ففي الياء  
وهي آخر الحروف ، ومنها :

يا أبا القاسم الوزير ، فرحل  
ت وخلصت لـ  
إن نحتك للشمس قبل فاني  
متحاشيا ، والهي متحاشية





مكتنا اب رضى نفسا فاطما روابه ابن كثير ( ص ٢٠٦ )  
والعمى ( ص ٢٢١ ) من ان رحيله عن بغداد كان سبب عزم  
الصفاء على « اخذه » بقوله :

شفاضى ما لنا الا السيوف له  
وان نعود بمسولانا من الشعار  
مد يضى بين عيسى مسجد ورج  
ما بالها قطب في ربح دنبار ؟

فهذان البيتان من اللزوميات ومن السنجيل أن تكون بالنف  
اللزوميات قد بدأ في بغداد او قبلها ، ليس لنا ذكرها  
فحسب ، بل لانه لم يكن اذا ذلك قد نطف ، ولم يكن قد  
الرم القيد الى ذكرها ، لم يكن « لزوما ما لا يلزم » سبب  
موته من بغداد ، بل ان موته من بغداد كانت هي السبب في  
كل ما لا يلزم مما التزمه .

وفي ( ص ٥٠ ) رواه عنها لنا ابن المديم ، فقد بان  
أما اللطاف منزل عتده بعض الصوف ايام كان يعلى ديواف  
والهم شاعره يعلى في ليته واحده الى بيت ،  
وانه « كان يسكب رمانا ثم يعلى فريبا من خضانة بيت ثم  
يعود الى الفكر والعمل الى ان كلب الصده المذكوره » ورغم أن  
هذه الرواية تؤيد ما ذهبنا اليه من ان بالنف اللزوميات لا يمكن  
ان يكون قد بدأ وهو في الخامسة والثلاثين ( عند سفره الى  
بغداد ) واسفر الى ان يجاوز الخمسين ، ولكننا رغم ذلك  
لا نطمئن اليها رغم ما يعرفه من غيرته المرى وسفه علمه  
وقول كل ذلك فراقه للثلاثين ، كما سنبين عند الكلام من رساله  
الفقران .

## الفصول والفتاب :

في ص ٥٢٧ يقول ابن المديم « كليل ١٠ » .  
في منزله وبعد رجوعه من بغداد الكتاب المروف بالفصول  
والفتاب في تعجيد الله والفتاب « . » وزعم اخرون انه اسماء  
الفصول والفتاب في حكاية السور والافات « والله اعلم » .  
ثم استمر يصد كتبه فعال في رابع كتاب ذكره « ثم الف  
الكتاب المروف بالافات والفصول » واستمر يصد الكتب دون  
« ثم » ويتضح للمارى انه عدل عن فكره التريب الترتي لانه  
جاء بعد ذلك فذكر « سقط الزيد » مثلا وهو ما الفه أبو اللطاف  
في صباه . ومما يؤسف له جدا ان ابن المديم اتيه البحث  
في هذا التريب وهو الغريب بمصر الى اللطاف .

ولم افق بين كتاب اللطاف ولا المحدثين على ما راجع لكتابه  
الفصول والفتاب مما سنطرحه الى الاطفتان الى رواية  
ابن المديم خاصة وفي الكتاب بعض متعدد من اقوال المرى  
تؤيد ما ذهب اليه .

## رسالة الفقران :

لا بد ان نعرف اولا ان المرى كتب رساله الفقران ردا على  
رساله روت اليه من « ابن الفارح » ، خلاصها انه يعنيه  
ويعتد له عن غياض رسالة كان يحفلها اليه ، ويعتد له أيضا  
من حجته لاجد اصداقته بعد موته ( وهو أبو القاسم الفرى )  
ثم يشير عدة موضوعات ادبية وعقائدية ، وليس في الرسالة  
غير هذا .

فرد عليه المرى برسالة ، بدأها بالجملة التي ذهبت الى حد  
انه يخيل ابن الفارح قد ادخل الحق وجعله يطوف بانصاف  
المالم الآخر وهو خلال ذلك ناضت الشراء والآداب وتلوق  
ما في الجنة من نعيم . وهذا هو الجزء الاول من رسالته وهو  
حده فنية وادبية يدل على عبرية هذه بادره . ثم ينتقل الى  
الجزء الثاني من الرسالة فدخل الرائد على رساله ابن الفارح  
كلمة كلمة . وفي النهاية يفسر عن الاطالة ، كما يفسر عن  
الناخير بان « عوق الزمن » هي الى اخره ، والله رجل  
« مسيطر بفرى » فلذا غاب الكتاب فلا املاء » .

وقد يجب للمارى في زمن كرامتنا من ان يرد شخص على  
رسالته وصلت اليه من شخص لا يعرفه الا بالسماع ، يسفر  
طويل كفا . ولكي علينا قبل ان نكتب لذلك ان نلاحظ ان  
المرى هو الذى فعل ذلك ، فلذا جئنا ما يعرفه من غرارة علمه  
واعماده كلمة على ذكره لفقدانه نعمة البصر ، وان ذكرته  
كاتب متعمدة التظير ( وفي هذا الكتاب شواهد كثيرة على  
ذلك ) اذا جئنا هذا الى ما نعرفه أيضا من فراقه وانقطاعه  
في منزله طوال هذه السنين عرفنا ان الامر لا يستثنى  
المعجب .

وقد ورد في الجزء الثاني من الرسالة فقرة يقول فيها  
« ولا يجوز أن يخبر مخبر مثل مائة سنة ، ان امير حلب حرسها  
اه في سنة أربع وعشرين واربعمائة اسمه فلان من فلان وصلته  
كذا » .

وقد قرأ الباحثون هذه الفقرة واستنجموا منها بسهولة تامة  
ان الرسالة « . » هـ ٢١٤٠ هـ . ومهم شكوك كامل  
سعى . وفي نسخة أخرى : سنة عبد الرحمن في كتابها  
« . » هـ ٩٠٠ هـ . وبعد ذلك يسواف « والكرها  
من معرفة من اشتهر من تالفي اكثر من قراءة متنبهة  
وايه ، لى منها قول ابى الفراء . . الخ » وأورد هذه  
القرة .

بم نقل على استنجام من سيقا من الباحثين بقولها « وفي  
رأنا ان هذا استنجام لوزنه الحقة والحرى ، لان الصبار  
لا تتيح لنا مثل ذلك الحكم على سفته ، وكل ما نتيجها لنا هو  
ان تلك المبرة بالافات كتبت عام ٤٢٤ هـ على التصديق اما ما  
فلاها فيحمل ان تكون أبو اللطاف قد بدأ ببلية عام ٤٢٣ هـ  
واما ما بعدها فليس يصح ان تكون قد أم اللطاف بعد ذلك  
العام « ونرى في النهاية ان الرسالة لا بد كتبت « حوالي »  
سنة ٤٢٤ هـ وان كلمة « حوالي » سيظهرها فيها - بعد هذا  
النهد - كل من « يلو حمة اللطاف وصراحة المنهج » ثم  
نصيف « وكما نوه من استنجم ذلك الاستنجام الواسع ان  
أما اللطاف على رسالة ابن الفارح فليس يعلى رده عليه كما  
نعمل نحن في رسالتنا العادية » . ثم نطع بان الرسالة لا يمكن  
ان تكون اعلنت مرة واحدة .

واسان المذكوره عائشة في ان اختلفا في هذا الراى  
كل اللطاف . لان - كما سبق أن أوضحنا - ما يبدو لنا  
رسالة طويلة في عصرنا هذا ، ثم يكن كذلك في عصر ابى اللطاف  
وما يبدو لنا جها ضحكا لم يكن كذلك بالنسبة لرجل كاتب  
هذه احواله . وأما شخصيا لا نستطيع ان نصور ان المرى  
سلم رسالة من رجل لم يخاله في حياته فاتفق سنوات في  
الرد عليها ، وان الفارح اذا كان قد تجاوز السبعين من

عمود وهناك اجسام كبير في مونه قبل انعام الرسالة . والمحرر  
يعتذر في نهاية الرسالة بالمتأخر ويذكر سببا لذلك حساب  
الكتاب ، ومعرفتنا لعدد كتابه وبنايه في خدمه بجلهنا نرى  
في ان الكتاب لا بد يقرب يوما أو ساعه وهذا لا يمكن ان يفسر  
به عن التأخر في الرد سنوات .

وفي نهاية هذه القصة اطعم - على فلة ما طلب به - بان  
تأليف رسالة الغفران كان في سنة ٢٢٠ ولا يمكن ان يكون قد  
انصرف أكثر من شهر أو شهرين من هذه السنة .

ومن الواضح لكل من يقرأ الرسالة ان اما العلاء لجا الى  
طريقة لزوم ما لا يلزم في سجع هذه الرسالة " فجاءها لزوم  
( الا في حالات نادرة ) ، وفي الرسالة شعر من بانيه ، وهو  
فصيحان احداها رائة والاخرى سيئه وهما الفصيحان  
المولان على لسان الجن . ولعل هذا من اواخر الشعر الذي  
نظمه ، فهو قد ذكر في احدى رسائله الى احد اصدقائه في  
هذا الطور من حياته « وقد اجيت به بشير دون تعليم ، لا لاني  
مذ سنوات قد اظلمت عن ذلك الهنوب » بقصد الشعر .

وبعد لاول وهلة ان هاتين القصيدتين ليستا على مطلب  
لزوم ما لا يلزم . ولكن الخطيئة ان الزم في اولهما هو الرأه  
مسيوفا بواو ، وكان يجوز لابي العلاء ان يسبقها بالياء ايضا  
دين ان يتسلف قواعد الغافية ولكنه لم يفعل ، وكذلك في  
القصيدة الاخرى فهو يلزم اداء الصيغة للسنة كالمدروس  
والخبري والانيس والجليس وكان يحق له ان يسبقها بواو  
كان يقول « النفوس » و « الرويس » ولكنه لم يفعل . فهاهنا  
الفصيحان انن لوزيمان انه نوع مخفف من لزوم ما لا يلزم  
بفرا لول القصيدتين وخاصة السجبة في حرف ج حين  
اي اصاف قصائد الرومات . وبذلك صارت  
حرف ثالث مع السين والياء كعادته في الرسائل . وقد كان  
يوجد شيء من هذا في اللزوميات بعضها كالإتيان المولود في  
( ص ٢٦٠ ) من هذا الكتاب والتي حاد فيها بكلمات « فديما  
ودايما وبتيما » على ان الغافية هي الميم مع الياء ، وفي مقدمه  
ديوان اللزوميات يشرح ابو العلاء هذا الفن بلسان ويورد  
امثلة كثيرة وإن شاء ان يرجع الى هذه المقدمة ان يستمع  
فيها بهذه العروسة .

خلاصة القول انه لم يفعل مبدأ لزوم ما لا يلزم في رسالة  
الغفران ايضا .

سجون أبي العلاء :

ارام في التسلية من سجونتي

فلا تسأل من الفخيسر التيب

لقصدي باليسرى ، ولزوم يبي

وكون النفس في الجسم العيت

هكذا قال ، ولكنه لم يكتب بهذه السجون الثلاثة ، بل فتح  
داخلها وكبل نفسه بالقيد ، وايضا مها لزوم ما لا يلزم في  
شعره وشعره ، بعد مودته من بغداد . ومن الواضح لنا ان ابن

في جميع كدنايه السرية بعد العزلة ، بدليل ماورد  
لدينا من رسائله . ولا اخف له رسالة مربة أو عملا متريا  
نيل العزلة أو وسالته لاهل المرد في طريق مودته اليها ،  
وليست لزومة ، مما يؤيد رأاي ان ايه امرل والترم في وصف  
واحد .

القصيم وغيره - رغم انهم لم يترخوا مؤلفاته ترتيبا زمنيا - انه  
لم يؤلف قبل بغداد الا ديواني سقط الزيد ( والفرديات ) .

ومن حرا كتب الشعر لا يمكن ان سلوته الفاراك الكبير بين  
هذا الديوان في ناعته وكل مؤلفاته في تاجيه اخرى  
فالدواون كله في الشعر والمثل والمثل ( بل والوصف ) والفراس  
الشعر العادية ، عدا قليل من الحكمة لا يزيد على ما في  
ديوان التنبئ ، وطريقة التنبئ في الشعر واضحة في الديوان  
وقد اورد به حين من الأدلة على ذلك ما لا يحتمل الاصله  
( بجوده ذكرى أبي العلاء ) - ومن المعروف ما اسماء القدماء  
« مصعب » أبي العلاء للمصعب ( ص ٧٦ ) مما أدى الى شاحجته  
مع الشريف الرضي الذي طرده من منزله بطريقة لا شك تركت  
آثرا كبيرا في نفس الشعر الرفعة .

لا شك كان الشعر قبل سفره الى بغداد والى ان سافر  
يحلم بان يكون متنبئ عصره ، وخص في قصيدته اللابية في  
الشعر والتي ذكرها طه حسين انه كان ممتنا املا وحملها ،  
وانه كان يعد نفسه ليكون شاعرا في الصيت :

وقد سار ذكرى في البلاد فمن لهم

ياخلاء شمس ضوؤها مسكامل !

ما اتبه هذا اليب واللصبة كلها بقول النبي :

عصر متصدي هسي كل مطلب

ويصر في عيش التمدد القطاويل

ويصف في سقط الزيد قصائد متعددة في موضوعات كتب  
لها القليل ، وابو العلاء بعاليه في الؤوز أو الؤوز والغافية  
بشكل يؤكد تأثره به في صباه وكيف انه كان يقتلي الره خطوة  
جانب .

وذكر في هذا الامية ان له حسناوا وانهم كاذبين  
حين يقولون في سقط الزيد فسا بالغاها ، بل كالأرض  
أبي طلال الساء : ولا شك ان ذلك كان فطرا فطريا ناعما  
من طويحه الذي لم يترك له حد في هذا الطور والذي صدر  
في رجل غير الرجل الذي قال في كهولته :

فلا يصح فصارا - من الشعر - عائد

الى عصر الفطسار للتلح بفرب

لعل اناء متصيه يصنع مرة

فانك فيسسه من أراد وينسرب

وينقل من ارضي لاخيسرى وما دوى

فوانا له يصعد البلى يصيرب !

وقبل انكسني بالي ابو العلاء بامرير العيس - وقد قل دائم  
الذكر له في شعره وتره طيله حياته ، في اللزوم رسالة  
الغفران - ونرى تأثره به في « الفرديات » التي حاد آبه كتب  
كثيرا عن الدروب والسيوف ، وينسب أسلوب امرير العيس  
واوزابه وفوايه احيانا - الا اننا لا شك نالطبع في ان هذا  
كان شعرا مضطحا ، وان ذلك كان حقا « امعانا لقدمه » كما  
يعول طه حسين ، ولكي ذلك كان في طفوله ، وحين لم تكن  
له مجارب شخصية بكتب عنها ، ولكن الوجوهة الشعرية  
والقصيدة كانت تعجز في تعافه .

مرى الان موضوع ان مطلب لزوم ما لا يلزم ، ومطلب لزوم  
البيت قد استغفما الشعر في وقت واحد . شيء ما جعله  
يكتب عن الثاني بمرير القيس والتنبئ ، ويذا ياتي بالبراهيس  
وحكياء الهند ؟ فما هذا الترد ؟ ننظر ابولا في القيد الثالث  
الذي احكمه حول نفسه وهو مطلب التنبئ ، متى اضيقه ؟

هذه أيضا مسألة بدئية أن لم يتعرض لها أحد من الباحثين ؟

## تحريم الحيوان :

شرح أبو العلاء ملحقه لتعليلا في قصيده الناحية :

لموت مريض القتل والدين فالتنى

تسمع ألباء الأمور الصالح

فلا تأكلن ما أخرج الله ظلالها

ولا تبيع قلوبا من غريش اللباليح

ويستبر بعد تحريم السمك واللحم فيحرم اللبن والمسل  
والبيض وكل ما ينتج عن الحيوان لم يقول :

مسحت يدي من كل هيلة فليتني

أبعت لشعائي قبل شيب السالح

فهو إذن قد اعتنق هذا المذهب بعد « شيب السالح » كما  
يظهر من أسفه لذلك ، ولكن متى « شابت مسالحه » ؟ تلويح  
ليس دقيقا ، فلنظن فيما قاله في غير هذا الموضع وفيما جاء  
به القمطار .

يقول في رسالته إلى داعي العمدة ( ص ١٢٢ رواية بالقول ) :  
« فلما بلغ الصيد الضعيف العاجز - يعقد نفسه - اختلاف  
الأفوال ، وبلغ للآتين عاما ، سأل ربه اتعافا ، ويزيله صوم  
الطهر ، فلم يطر في السنة ولا الشهر ، إلا الميدين ، وصبر  
على نوالى الجديدين ، وظل اقتنعه بالنبات ، بئس له جسر  
العافية » .

ثم قال في رسالته التالية لنفس الرجل ( ص ١٢٢ ) :  
« فالصيد الضعيف العاجز ما له رغبة في التزويج والتكاثر  
اللطيفة ، وتركها صار له طعنا لئلا ، ربه ما ، كل سب من  
حيوان خمس وأربعين سنة » .

فلذا افترضنا أن هذه الأرقام ليس بها تقريب كبير ، ولو  
كان أبو العلاء حرم اللحم على نفسه وهو في الثلاثين ، وكان  
قد مضى على ذلك خمس وأربعين سنة ، عند مرأسته لداعي  
العمدة ، فإن سنه إذ ذاك تكون خمساً وسبعين سنة وتكون  
هذه الرسالة أو هذه الرسالة باللات في سنة ٢٨ هـ أي  
قبل وفاته بأحد عشر عاما .

وفي نفس الوقت نرى الذين أرغوا له بعد موته ( مطبوعات  
كثيرة منها ١٧ و ١٩ و ١٤٤ هـ الخ ) قد أجمعوا على أنه ما  
« أكل شيئا من لحم خمس وأربعين سنة » ، ولما كان قد مات  
سنة ٢٨ هـ فإنه يكون قد اعتنق هذا المذهب سنة ٤ هـ  
وهو قد بلغ الثلاثين سنة ٣٩ هـ والفرق بين روايتهم ومواجه  
على لسانه إحدى عشرة سنة وهو فارق كبير .

وليس فيما بين يدي من المراجع ما يتطوع بتاريخ المراسلة  
مع داعي العمدة ، إلا أنه في هذه الرسائل يصف مسقطه  
ومرضه وعجزه عن التمدد والحركة وفقدانه السمع شكل  
يرجع أنه كان قد اشرف على الوفاة . ولحق المرحوم الأساء  
كامل كليلي إلى أن الرسالة بينما انقطعت بومه وإن آخر  
رسالة من داعي العمدة لم تمره ولكنه لم يذكر من هم « المرواة »  
الذين نقل عنهم ذلك ، فلذا كان قول المرى أنه لم يأكل شيئا  
من حيوان خمس وأربعين سنة كان وهو في الثالثة والثلاثين

مثلا - أي قبل وفاته بثلاثة أعوام - فإنه يكون قد اعتنق المذهب  
النتائي وهو في السابعة والثلاثين أي بعد موته من بغداد  
مباشرة - أما قوله أنه فعل ذلك « لما بلغ الثلاثين عاما » فيمكن  
تفسيره بأنه يقصد أنه تجاوز الثلاثين ، لأنه لما قال :

وما العشي إلا لجة باطلية

ومن بلغ الخمسين جاوز غيرها

وكان يصف وفاته حصار للمرة ، كان طبا لتاريخها الذي  
يعرفه ، في الخامسة أو السادسة والخمسين .

الأخطاء التي وقع فيها القدماء ، في تعريفهم بأبي  
العلاء :

تبع لفارسي الكتاب متانفصات كثيرة في روايات القدماء  
عن أبي العلاء ، تحصر أسياها فيما يلي :

١ - عدم الالتفات إلى مرحلتى حياته ، أو تجاهلها رغبة  
في الحكم عليه بطريقة معينة ، للسبب الثاني وهو :

٢ - التصيب له أو عليه ، أعجابا بعلومه وأدبه أو انكرا لما  
ماله من التشكيك في إسلامه .

دخل أبو العلاء إلى بغداد معتنقا طوعها وإعدادا وإطلاعا ،  
داس فيها الأمرين من حسانيته وعلة نفسه واستقلته  
وفرغته عن مدح الكبراد ، يدل عليه قوله ( ص ٨٩ ) : « وانصرف  
وماء وجهي في سرب » ما أرب عنه فطره في طب  
أدب ولا من كفاي في سلف زعفر ، ثم وافاه خير مرض  
ألمه وإسراها على أنوف دسرع إلى الممره فلم يبركها ، ووصف  
له سواد تصاد في نفسه : « مكان لا يصب أن يمشي في سواه »  
ونك « حصار اللذات » كئني ذكرها في قوله .

ولم أحسن منسرى عن اللذات إلا

لأن خبيسها رها عن خبيسها

وهي حياة الأدب والعلم والإطلاع والتأليف ، رغم أنها في  
بغداد « أكثر من الحص » كما قال في رسالته لخاله ( ص ٨٧ )  
إلا أنها ليست في متناوله هو ، وإن كان من هم دونه يفرغون  
فيها إلى أذاتهم ، لأنهم لا يأتون مما يأنف منه هو . ثم كانت  
بغداد سببا في بعده عن ابنه عندما مات ، وقد عاد إلى الممره ،  
فول يرجع إلى بغداد ويتكلف هذه الرحلة مرة أخرى ؟ ولما  
شبه يعود ؟ لقد أبين أنه بطريقته في الحياة فاشل لا محالة ،  
وها نحن نراه بعد سنوات يتصر على إياها ، ثم يعود فيلدها  
مغزيا لنفسه لا غير ، كما سبق ذكره .

والأبقى في الممره فلماذا بقي ؟ لا علم ولا أدب ولا فن ولا  
مال ولا شيء .. فلغريب بالحياة عرض العائذ إذن ! ولقيش  
فيها تجنبا عنها ، لا ذنب له في أنه وجد ، ولكنه لن يلذب  
بأبجاد أحد .

ولا أزعج أننا نستطيع اليوم أن نعرف كل ما حدث له هناك  
وكم صعبة تلكها ، والأقارب في ذلك كثيرة ولكننا على ثقة  
من شيء واحد ، هو أن رحلته إلى بغداد وعودته منها وما بينهما  
كانت خطأ فاصلا يقسم حياته وتغييره إلى شطرين كان كلا  
منهما حياة رجل لا يعرف الآخر .

وسنورد الآن بعض أخطاء القدماء على سبيل المثال فلف :  
**بأقوت الحموي :**

أورد ياقوت رواية متولة عن « فلان الماني » لابن الهبارية ( ويظهر أن النجدة ألفتها مشكوكه ) فلم تورد ما جاء في هذا الكتاب بين ما أوردته ) يبدأ فيها بالهاجر مصعبه ضد أبي العلاء ويصله بأنه « مجنون معنوه » ثم يورد قصة مكاتبة لماني الدعاء ويقول « جرت بينهما مكاتبات كثيرة أمر في آخرها بالحصار عليه » ووجهه على الإسلام خيرا من بيت المال فلما علم أبو العلاء أنه يحمل للقتل أو الإسلام سم نفسه ومات » .

ويعلق ياقوت على ذلك بقوله أنه اطلع على الرسائل وأن « الخطاط بينهما انقطع على المساكاة ولم يذكر فيها ما يدل على ما ذهب إليه ابن الهبارية من سم العري لنفسه » ثم أورد نص الرسائل . والحق أن فيها ما يدل على أن الأمر لم يتحول إلى عدا من هذا النوع ، وفي آخر رسالة يقول داعي الدعاء ( ص ١٢٨ ) « والفرقي من السؤال والجواب الثلاثة وإذا صمت فله خلف أنه سم » ويقصد العري - أن يتكلم جوابا - . وفي النهاية يقول « وقيل ويصم فلما اعتذر عن سر له - أدام الله حراسته - أجمته ، وزمن منه بالقرادة والإجابة شغلته ، لآتي من حيث ما نضته فهرله » وانه لعالي يعلم إلى ما وصلت به غير الاستفادة من علمه ، والاعتراق من بعوه والاسلام » وهذا الأسلوب يدل على أن داعي الدعاء اكتفى بما اعتبره انتصارا على العري في مناقشة كان الأخير يتكلم منها مما جعله « يتكلف منه أن يتكلم جوابا » ، وبما اعتبره إذاً لمر العري أو فصيحة له على اللا .

كما أن في ( ص ٢٨٧ ) رواية للحجيني يورد فيها نصا من محاضرة لداعي الدعاء يذكر فيها قصة المارسة وكيف أن الرق كان قد استعمل على الاكتفاء بها فمضت يعلق ياقوت ، دون اللجوء إلى الزمجة أو أهدار دمه لأنه « كان من الصغر والضعف والاشراف على القبر بالنهاية القصوى » .

وياقوت نفسه لا يسلم من عيب الخطب بين نفسه وبين العري ونافره من عقيدته ، فيبد أن يصله في أول كلامه بأنه « كان والفر الملم غاية في الذم ملأ بالثقة حاذقا بالحقو جيد الشعر جزل الكلام » شهرته تنفي عن صفته ، وفصله ينفي مسجته » ( ص ٦٧ ) يعود فيعلق على أبياته التي يتحدث فيها من قطع يد السارق ، والتي يرى أنها « تمل على سوء عقيدته » ( ص ١١٥ ) فلا يتردد في أن يصله بأنه « حمار لا يفقه شيئا » وما ذلك إلا لأنهم نمودوا أن يظفوا بين رايهم في علم الإنسان ورايهم في عقيدته .

## ابن الوردى :

أما ابن الوردى فإن نصيبه للعمرى لا يقل عن نصيب ابن الهبارية فسمه . وهو يتكلم في ذلك صعدا وهبوطا فيقول ( ص ٢١١ ) : « وأنا كنت أنصب له ليكون من الكفرة » ثم ولقت له على كتاب : استفقر واستفقرى ، فابتغته وازدود عنه نفقة . ونظرت له في كتاب لزوم ما لا يلزم فرأيت التبرى منه أحزم ، فإن هذين الكتابين يدلان على أنه كان لما نظمه هاتما حائرا .. الخ » .

ونحن لا نعرف ماذا كان في ديوان « استفقر واستفقرى » ولكن لئلمى منه إلى النهاية ، خاصة ونحن نعرف ما في

اللزوم : « ثم ولقت له على كتاب « ضوء السلف » الذي أملاه على الشيخ الأصماني الذي لازم الشيخ إلى أن مات لم أقام بحطب يروي عنه كتبه فكان هذا الكتاب عنده مصلاحا للفساد موصفا لرجوعه إلى الحق واعتقاده فانه كتاب يحكم بصحة أسلحه .. الخ » وفي النهاية يقول « وهو خاصة كتبه والأعمال بخواتمها » .

ونحن لا نعرف ما إذا كان كتاب « ضوء السلف » هو خاتمة كتبه أم لا ، ولكننا نعرف من ابن الصديم وغيره أنه كان شرحا لديوان « سلف الزئذ » وأما كثيرا في أنه ختم حياته بشرح أول كتاب من مئات الكتب التي ألفها ، ومن المعروف عنه أنه كان يفضي هذا الكتاب لآله « مدح نفسه فيه » ، كما أن شرحه لهذا الديوان لا يعني رجوعه إلى ما كان يقضيه عندهما كتبه ، هذا بالإضافة إلى أن هذا الديوان كله كما سبق وصف ومدح وزل وليس فيه ما يمس الأديان من قريب أو بعيد إلا القواعد للبحث في دالته الشهيرة :

خلق النسياس للفساد فاسلم  
 أمة يصيبونهم للفساد  
 انصبا ينقلون من دار أمصبا  
 ل إلى دار شمسوة أو رشاد

وفد جورد كل من المصنفي ( ص ٢٧١ ) و ٢٩١ ) والعباسي ( ص ٢٣٦ ) رواية تدل على أن القدماء كانوا يتناقلون في هذين البيتين ويقلدون بينهما وبين قوله في اللزوم :

فصحتنا وكان الفسك منا مسافة  
 وحق لسكان البرية أن يسسفا  
 تصعب الأيام حتى كاتسفا  
 زحاجح ولكن لا يصفا له سسك

ويحكى عليه بالعباسي - والحق أنهم لم يقرأوا بين مرحلتى حياته . والعباسي أيضا ( ص ٤١٩ ) يورد البيتين للداليين دليلا على أن في شعره « ما يدل على التوحيد الصريح والاستعداد الصحيح » وهو خطأ من نفس النوع . فإذا كان ابن الوردى قد قرأهما في شرح العري لديوان سلف الزئذ فحكم بأيمانه فالأمر لا يدعو أنه لحبه للمعمر أخذ يتكلم ما يبره به من وصية الأعداء فجاد بآول كتاب له ، أو بشرح له - والنتيجة واحدة - ليعلم به كل ما كتب بعد ذلك ، ولا يستبعد أنه تعمد الزمن بهذا آخر ما كتب .

## ابن كثير :

ذكر أن أبا العلاء هرب من بغداد لأن الفقهاء عزموا على أخذه بما قال من طعن بد السارق ( ص ٢٠٢ ) . وقد سبق لنا الإشارة إلى أن هذه الآيات نالمت في الطور الثاني من حياته ، وهو إما خطأ في دراسة لمراحل حياته أو اختلاق لقصة - أو تصديق لقصة - يوجد فيها القدماء أرفاءا لأنهم لما يحسون به من كراهته .

وهناك الكثير من هذه الأمثلة ، نصك عنها خوفا من الاسراف في الإطالة ، فإن مقصدنا هو أن نبين خطأ منج القدماء في البحث وأهم بنوا قايضته على العاطفة الدينية أو التصعب الغني ، دون الحقيقة .



# المكتبة العربية

## قصة نفس

تأليف ركن جيب محمود

الفصل الذي كُتب عن السير الذاتية في التراث العربي المستشرق الألماني فريسي روزنثال ولخصه لنا الدكتور عبد الرحمن بدوي في كتابه «السير الذاتية» ، والكتيب الموجز الذي كتبه الدكتور شوقي صنف بعنوان الترجمة الشخصية (١) ، وهو عرض سريع للسير الذاتية في الأدب العربي قديماً وحديثاً ، والفصل الذي كتبه الدكتور عبد المحسن طه بدر في رسالته

(١) د . شوقي صيف : الترجمة الشخصية ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٦

- ١ -

السيرة الذاتية في سائر  
الأدب العربي بوجه عام ، وأدبنا العربي  
المعاصر بوجه خاص ، دراسة لآسيف لها  
مراقبها ولها دلالتها على مدى جرائنا  
على الاعتراف وعلى أثر نقالينا الإجمالية والأحلافية في وضع  
حدود لهذه الجرة . ولا أعلم أن أحداً قد تناول هذه الدراسة  
تناولاً شاملاً مستنبطاً دلالاتها حتى الآن . ولستأ نشر الأ على



للدكتور « تطور الرواية العربية الحديثة » (٢) بعنوان « رواية الترجمة الذاتية » وهو يتناول أهم السير الذاتية للأدب العربي المعاصر حتى عام ١٩٦٨ .

والسيرة الذاتية تحتاج أولاً إلى تعداد لها قد نستعجم فشمعل رواية الرحلات الجغرافية أو الاستكشافات العلمية حيث لا تكون الرواية مجرد معلومات جغرافية أو علمية ، بل يمر الراوى عن متابعه وأفراحه ودعشته ، ويعرض للذكر حياته الخاصة كزواجه وطلاقه على نحو ما يرى بمعنى الرحلة العرب . وقد تكون أتبه بشهادة ميلاد صاحبها فيذكر بيان نسب أو شهادة بتعلمه فيذكر ما تلقاه من تعليم وشيوخه الذين علمي عنهم في زمن لم تكن الشهادة قد عرفت بعد ، ثم يسبع ما تلقاه من مناصب . وقد تسمير السيرة الذاتية رى الرواية كما حدث كثيراً في العصر الحديث مثل انتشار الأدب الروائى ، فكثير من الروايات ليست إلا سيرة ذاتية من بعيد أو قريب .

وبالرغم من عدم وجود فواصل فاصلة بعدد ابن شهى السيرة الذاتية وابن نبدأ الرواية ، فاته من رأى أن العواصم الإسلامية بينها يمكن تلخيصها فما يلي :

أولاً : السيرة الذاتية مونولوج طويل تحدث فيه الشخصية الرئيسة بأسلوب - تلقى عليه الصفة العربية - عن نفسها وعن علاقتها بالأحداث والشخصيات الأخرى من وجهة نظرها . وقد يصل بها الأمر أن تورد مسئوليتها ودين الآخرين من غير أن يأت لهم حق الدفاع عن أنفسهم أو بيان وجهات نظرهم ، أما في عصر الرضى فيعتبر شخصية كاتبها المستقل ، وما يلزم وجودها ، ويرددها ووجهة نظرها . والعجيب المازفة في الأمر مع كل شخصه وجودها ، وإعذار من يد حجج سبب في الشخصيات وجودها وسجلها أشياء بأفاهة تصمير في معركة لا تكافؤ فيها . ووجود الأدب أو الحوار أو ليرى كل شخصية وجودها بأسلوب تصويرى هو الذى يعطى العمل الروائى عمقه أو بعده الثالث . أنه يبرهن على أن الكاتب قد استطاع أن يخلق مسافة بينه وبين أبطاله ، وأنه لا يحيز لشخصية على حساب الشخصيات الأخرى ، وأنه استوعب أبطاله بدلاً من أن يسوعيه بطل واحد .

ثانياً : لهذا فوظيفته الشخصيات الأخرى في السيرة الذاتية تكون في خدمة صاحب السيرة ، فتكشف عن بعض جوانبه وتطبع بعضها الآخر . أما في الرواية فالشخصيات بطور متكامل وتصلح عن دوافعها الداخلية في موضوع موضوع روائى هو وحده الذى يعقد وجودها الفنى .

ثالثاً : ولهذا فإن السيرة الذاتية مجموعة أحداث متباينة لا يوجد بينها غير تسمير الراوى ، أما العمل الروائى وأحداثه متطوره ، توجد بينها رؤى الكاتب وفوقه موضوع الروائى .

(٣) د . عبد الحسنى طه بدر : تطور الرواية المصرية الحديثة في مصر ، ١٨٧٠ - ١٩٦٨ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٢ .

رابعاً : ومن المفروض في السيرة الذاتية أن يلتزم المؤلف الواقع الذى عاشه أو واقع الشخصيات الذين تناولهم ، وإن كان الأمر لا يخلو بالفروقة من القيام بملاحظات اختيار من أحداث ذلك الواقع . ربما يسبب الرغبة في عدم الانسحاب أو لاسباب اجتماعية ، كما أن ميول صاحب السيرة تتدخل بالتحلف أو التسلل بل بالإضافة أما في العمل الروائى فمعرض التزام الواقع فرض مستبعد بطبيعته العمل الفنى ، وعمليه اختيار الأحداث تتحكم فيها السيرة الذاتية . والانسحاب الروائى معناه الانتقال مما وقع إلى ما يحتمل أن يقع ، وبمعنى آخر الانتقال من التاريخ إلى الفن .

وبعدم السيرة الذاتية في رى روائى أما أن يكون وراءه سبب فنى هو تجاوز النطاق المحدود للسيرة وتبناها المسكك وأسلوبها التفرى واستغلال تلك المادة في عمل فنى أرحب أفقا ، وأكثر ارتباطاً بأسلوب تصويرى أكثر حيالا وحرية . وأما أن يكون وراءه سبب اجتماعى لا سيما حين لا تألن التنازيع الاجتماعية لإدب الافتراء أن يتجاوز في جرائه حدوداً معينة ، لهذا فمفسل المؤلف أن يكتب سيرته الذاتية في رى روائى مستبعداً من هذه العربة ، فيجوز على أن يدلى بها لم يكن في استطاعته أن يدلى به لو أنه كتب افتراءً مباشراً سواء بالنسبة لنفسه أو لى يتناولهم من نساء ورجال .

٢ -

ولعل هذه الدافعين مما كلفا المؤلفين الإسلاميين لدى التأليف رى بحر محدود ، وهو يكتب « قصة نلى » في كتابه رى قصة به للرد ، بحث ممكن إدراجها ضمن رويات السيرة الذاتية .

فبالرغم من أن القصة تدور حول ثلاث شخصيات وليسبة هي الأسباط حسام الدين محمود - وهو رواية القصة - والاحد ربانى عطا والشاب مصطفى مختار ، فانه ليس من المصير أن نذكر أنه ليست هناك إلا شخصية واحدة رئيسية تطفلت في شخصيات الثلاث ، كل منها يغتنى بجانب نلى دل ومرحلة من مراحل الحياة ، واختصاص كل شخصية بجانب نلى على النحو الذى حددته الراوى هو الذى يجعلنا نشأتها شخصية مستقلة ، حيث لا يمكن اختزال أية شخصية حية واقعية في جانب نلى واحد .

فالراوى يعترف بوضوح - وإن كان ذلك والقصة تكاد تسبغ - قالاً :

فكانت نحن الثلاثة جوانب من نفس واحدة ممددة الجوانب، التوى منها جانب هو الاحد ، واستقام جانب وهو انا ، وما يزال جانب بطام وهو مصطفى (٣) .

ونجد تخصيصاً آخر لتلك الجوانب بعدد الاحد للراوى بعوله :

أنت أخلاق وفوائد ، ومصطفى عقل ومنطق ، وأنا عاطفة وأفعال (٤) .

(٣) قصة نلى من ٥٨

(٤) قصة نلى من ٢٠٣

كما نجد تخصيصاً لثلاث جوانب تلك النفس مستمداً من تصورات الصوفية حيث يقول الرازي :

فلئن كان هذه الأقسام الثلاث يكمل بعضها بعضاً في وحدة ملتزمة لو افلام أصحائها في منزل واحد ، فهناك نفس امرأة هي نفس صاحبنا الإحديب ، ومنها نفس لولمة هي نفس ، والثالثة نفس مطمئنة (هـ) .

ولما كان الرازي في الضميين من عمره ، بينما الإحديب في الخامسة والأربعين ، ومصطفى في الخامسة والشرين ، فلنجد الشخصيات الثلاث لا تمثل فحسب جوانب لشخصية واحدة بل تمثل ثلاث مراحل من حياة شخصية واحدة ، وبدلاً من أن ينتج المؤلف سيرته في تعاقب تاريخي خص كل شخصية بلحدي الراجل وجعل هذه المراحل تلتقي في فترة زمنية واحدة ، يقول الرازي :

لثلاثة رجال يسيرون على طريق الحياة في تعاقب من العمر ، في الكفعمية أسير أنا مستقيماً بتقاليد الثقافة الموروثة ولكن على مضى لأن أولئها تطرب النظم لغير الرقصة التي كنت اعتاداً لنفسى لكتنى أسير . وعمدى يسير الإحديب متمتم الخلفى فليس له هاد يهديه إلا طرفة القرينة التي لا تعباً بالأمم والمالية ، ووراءه يسير مصطفى وقد أخذ جدوة القتب تلوح العطر واستراح .. ثلاثة رجال ظاهريهم اختلاف ولهمسهم اتفاق ، كأنهم ولدوا باب واحد وام واحد (و) .

وعما يؤكد أن هذه المراحل صيرورة مراحل وهمية وأنهما ليست إلا فترات زمنية في حياة شخصية واحدة أنها كـ... أكثر من فلتة .. ولا نقول خطأ .. فيما يتعلق بتخصيص تلك الشخصيات ، من ذلك أن المؤلف ذكر في مودع أن الإحديب في الضميين من عمره (٧) بينما ذكر في أكثر من موضع أنه في الخامسة والأربعين وأن الرازي في الضميين بل حدد الفرق بينهما سنوات خمس . وليس لهذه العلة إلا دلالة واحدة هي أن الإحديب والرازي شخصية واحدة فرق المؤلف بينهما ولجأ - فيما لجأ - إلى فرق العمر ، وإن قلناه ذلك مرة فكتشف عن حقيقة التفرقة بينهما .

ولئن وضعنا هذه الفلتة أن الإحديب والرازي شخصية واحدة ، فلتة فلتة أخرى أوصحت أن الإحديب ومصطفى شخصية واحدة أيضاً ، وبالتالي فالشخصيات الثلاث مراحل مختلفة من عمر شخصية واحدة . فالإحديب يذكر أنه عندما كان طالباً بالجامعة كون هو وزملاء له جمعية أدبية فروا أن تكون لها مكتبة ، يدافعوا بشراف كتاب صغر حديثاً يومئذ وأرجعت له الصحافة الأدبية هو «عمر المأمون» للفتكون فرد رفائى (٨) بينما يذكر مصطفى مختار أنه عندما كان طالباً بمدرسة المعلمين العليا أخرج سلامة موسى كتابه «حسرة الفكر» فأراه فور صدوره (٩) ولا كان آخرى بين عصرى

الإحديب ومصطفى عشرين عاماً وحب أن يكون الفرق بين عصور كل من الكتابين عشرين سنة أيحسبوا أو أقل أو أكثر من ذلك قليلاً . ولكن بالرجوع إلى الطبعة الأولى لكل من الكتابين نكتشف اتهم صديقاً في سنة واحدة هي سنة ١٩٢٧ . ومعنى هذا أن الإحديب ومصطفى ليسا إلا شخصاً واحداً صغر أثناء دراسته العليا كتاباً عمر المأمون وحياة الفكر .

ولنتنبه من قول الأمر إلى أن فتي الإحديب ليس إلا فتياً نفسياً ، ولهذا كان عنوان الفصل الأول من القصة «إحديب النفس» أي أنه لا يعمل عالة بالمعنى الجسمي ، لهذا فللمحب أن كان القتب مكتفى بمرز طبفاً للعالة النفسية لصاحبه (١٠) .

— ٣ —

فالشخصيات الثلاث إذن ليست إلا ألقطة ثلاثة ، بل صاحب النفس جهده في التخلص في طياتها فلا يواجه قراءة مباشرة . لقد اعتلى منصة الاعتراف ، لكن بعد أن وضع على روجه تلك الألقطة التي نلغح بينها قواهر مشتركة نشي بالشخصية إلى تكمن ورعها . ويمكن تلخيص هذه القواهر في ثلاث : وفلاح الحياة ، وأسلوب التعبير ، وظيفته التكريز .

## وقائع الحياة :

في عالمي التشابه - رغم الاختلاف - تمتد بين ههذه الشخصيات أو الجوانب الثلاثة تلك النفس إلى وقائع الحياة نفسها ، يقرر الرازي ذلك بنفسه حين يزعم أنه من مضى «لصدا» أن دعوا جميعهم معوسسين ، وكذلك من مضى «لصدا» - (١١) ، على الرغم من حب لا رجاء (١٢) من بعد دعوا جميعاً من وضع الفراء إلى بعدها كل منهم ، «لها» - بلقى أكثر من اختلاف العمر - امرأة هي زوجة وأم . وهذا دلالة - كما نقول الرازي - على ملاق تلك النفس بالبعد المعتدل (١٣) .

## الأسلوب :

كللك يكشف لنا أسلوب الشخصيات مما بينهم من تشابه يبلغ حد الاتحاد . والذي أتاح لنا أن نكتشف هذا التشابه الأسلوبى هو أن لغة نفس لا يصرها الرازي على لساناته من أولها إلى آخرها ، بل أننا نتلقى أسلوباً متشابهاً من الإحديب أو من مصطفى على هيئة مفردات ومجالات ورسائل . وعندما يكون لكل شخصية وجودها الفنى المستقل ، فلنا نجد أن إحدى وسائل تمايزها هو اختلاف أساليبها . أما هنا فلاننا نجد أن أسلوب الشخصيات الثلاث متشابه متشابه لا يختلف أحده من الآخر .

ولا ينسوى الأسلوب بالتنسبة للشخصيات الثلاث فحسب بل وبالنسبة للمواقف المختلفة أيضاً - حتى حين تسكون الفرصة مناحة لأسلوب يخرج عن الإقتران وتلك الرسابة

(١٠) أنظر صفحات : ١١ ، ١٢ ، ٦٧ ، ٨٥ ، ١٢٧ ، ١٢٩ .

١٢٧ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٨٢ ، ١٨٨ ، ٢٤٤ .

(١١) ص ٢٤٤ .

١٢٧ ، ص ١٥٨ .

٥ - ص ٢٢١

٦ - ص ٢٤٥

٧ - ص ٢٤٥

٨ - ص ٢٤٥

٩ - ص ٢٤٥



أترك الرجل في حرته طليقا ينتقل من فنن إلى فنن .

وليس هذا الحوار مترجما من لهجة العديد إلى لفظة الكتابة كما يظن القاريه ، لأن المؤلف يزيل كل شبهة معلنا أن هذا هو نص اللغات التي تدور بين سميرة وزوجها عندما سأل بين فوسين قائلا أن مختار كان يظن أنه يستعبداه كلمة فنن يصعب جديرا بتبريل العديد مع التلقين اللذين يجلسان معا وهما الأحبب وصديقه الاستاذ حمام راوية القصة (١٥) .

كذلك الأمر مع عفاف زوجة فريد ، فالراوي يحدد شخصيتها بقوله إنها فتاة وقف تعليمها في مدرسة فرنسية عند مرحلة لقوية ، ومع ذلك فعال عليها ألا تفسح المظلة الفرنسية في حديثها حتى مع من علم أنهم لا يعرفون من الفرنسية كلمة واحدة ، من محال عليها كذلك ألا تدع بعض الاشتراطات تتسلط في كلامها أو في سلوكها لتتلى بها طبعها ليست كسبيلر النساء اللاتي تلتقي بهن في زمره أصدقاء زوجها أو عماره (١٦) .

ومع ذلك إذا قرأنا حوارا اشتركت فيه عفاف لا نتمش على هذه الخصائص ، وهي خصائص حورية قبل كل شيء ، ونجد أمثلة ناجمة في الأدب الروسي في القرن التاسع عشر حين كانت اللغة الفرنسية بالذات هي لغة التلقين الروس فكانت من السهولة اللغات الفرنسية داخل النص الروسي .

ومما له دلالة أن مختار زوج سميرة كان يستخدم هو أيضا في حديثه اللغات الفصحى (١٧) يظهر بدين زوجته تقززا منها ، كما يظهر في حوارها مع الزوجين على السواء ، مما جعلها تهرب في بعض الأحيان من زوجها سميرة إلى بعض النساء المحببات ، وفي حوارها مع عفاف التي سألها ما الذي فعلت في ليلة واحدة ، ليس كل دلالة من هؤلاء إلا صورة أخرى للثلاثة الآخرين .

ولئن فاف المؤلف أن يميز بين أساليب شخصياته ، فلهه تيه إلى شيء أتفه من خطأ فنن كان يمكن أن يقع فيه . ففصصة نفس هي القصة الوحيدة التي كتبها صاحبها بينما شغلت حياته موضوعات تنتمي إلى ما اصطاحنا على تسميته بالإنسان الفلسفي والفناني ، ويتغير آخر بموضوعات ، وسيلة التعبير عنها هو الأسلوب التزري على الأسلوب التصوري . ومن الطبيعي أن يلقى هذا الأسلوب القليل بطله على القصة الوحيدة التي كتبها صاحبها في حياته ، فخطب الزفة العاقلة على الزمة الفنية . لكن ما كان يمكن أن يؤخذ على قصة نفس من سيطرة الأسلوب التزري على الأسلوب التصوري ، استطاعت أن تفلت منه إلى حد كبير ، لا بالتخلي عن الأسلوب التزري بل باستخدام قوالب يكون الأسلوب التصوري وسيلتها الطبيعية للتعبير كالتذكريات والرسائل فمستل من الغلاب .

ونعمة ملاحظه أسلوبية أياها الراوي بالنسبة لما كان يكتبه الأحبب من مقالات صحفية حين قال :

١٥ ، ١٦

١٦ ، ١٧

١٧ ، ١٨

التي ينسج بها . مثال ذلك حين يعلق الراوي على مذكرات الأحبب بقوله أن بها أجزاء كثيرة ممزقة أو مطبوعة تصغر قوامها . وقد فاف لنا ذلك بأسلوب تزييري ، ولكن يمكن أن يشعر القاريه بذلك في أثناء قراءه المذكرات كان يتوقف عند سطر مهم أو لم يكتمل ثم يذكر الراوي أنه وجد هنا الورق ممزقا أو تضررت قراءة بقية . لكن الراوي فاضل أن يعمدها في سردنا القصة دون لفات ودون أن يشعر القاريه بأي قلق نتيجة لإحتمال وجود أجزاء ممزقة أو مطبوعة .

ويمكننا أن نقارن ذلك بالحوار الذي دار في نهاية القصة في أثناء مسيرتين بعد منتصف الليل والفتا في ذلك المنزل الذي يسكنه مصطفى مختار ، معركة في شقة عليا بين زوجة وابن زوجها ، ومعركة أخرى في شقة سلفي بين زوجة من ناجية وزوجها وصديقه المخبورين من ناحية أخرى . فبالرغم من أن الحوار يأتينا من خلال ذكريات مصطفى وهو متحد على هوس السليمة من دراسته في الطراز ، فاقنا نجد معالونه من المؤلف للتعبير بأسلوب متمايز وبألوان متباينة عن مختلف الشخصيات بحيث يصبح لكل منها أسلوبها بل ومفراداتها الخاصة بها . فنجد على السنتها - لأول مرة وآخر مرة في القصة - إلفاد متداولة في لهجة العديد المصرية أكثر ما هي متداولة في لغة الكتابة العربية مثل « ولأيا » و « كتته » اللذين يسميها المؤلف بين القواسم تغييرا عن اعتقاده . بل أنه يعمد خطوة أجرا فيورد المسككة الشافرة بأصواتها العبرة تلبية ما ها ها . (١٢)

فتشابه الأسلوب في منطقته وتسلطه في دهره أحسرا قصة تتجاوز دلالاته تشابه الشخصيات التي تتجلى أيضا في المواقف المختلفة . بل تشابه ما كان يدور من شخصيات القصة الأخرى من حوار حيث لا يصدق على بعد معالها . مثال ذلك ما يذكره لنا الراوي بأسلوب تزييري أن سميرة لم تكن قد زادت في دراستها على سنوات قليلة في مدرسة أولية ، فهي تكاد تغلو من كل تفصيل مدرسي ، وأنها تستخدم في أحاديثها كلمات مما اعتاد نساؤنا - وهن على الظفرة - أن يستخدمهنا ، ومما يتعلم من معلمن منهن أن تطلق زوجته وتزوج من أخرى ، ولا سئل السبب راج يثنى على زوجة الأولى في كل شيء إلا أنها اعتادت بكم تعليمها أكثر في حديثها من قوله « ثم أن » فكانت كلما فاهت بهذه الصيغة اللغوية أحس في نفسه نفورا شديدا لم يستطع مقاومتها . (١٤) وكنا ننتظر حين يرد حديث مباشر في أثناء حوار ما ننتظر ولو على كلمة أو كلمتين ولو بين القواسم تغييرا عن هذا المستوى التقالي بسيرة . ولكننا بعد من هذا تجسيدتها تغلب الأحبب عندما ظن أنها تريد منه أن يقص عليها أحداث للابن عاما في جلسة واحدة بقولها :

ولماذا قسيت بأن تكون جلسة واحدة ؟ اتعجب أننا ماركوك لشطح على جوانك ؟ فيجبها زوجة مختار :

١٣ ، ١٤

١٤ ، ١٥

١٥ ، ١٦

فراة مقلدا لم اشك في أنه كتبه عن نفسه ، وإن يكن قد جعل الحديث بضمير القاص عن سواه (١٨) .

وهذه الملاحظة نفسها يمكن ابتدؤها بالنتيجة للراوى حين يتحدث عن الاحمد بن مصطفى ، فهو يكتب عنهما بضمير القاص ، لكن لا شك - بدورا - أنه يكتب عن جوابات نفسه .

وهنا يجدد ملاحظته هنا انه وإن كان الاحمد بن مصطفى ذواة من خلال مذكراته أو مقالاته أو رسائلهم فإن حسام الدين هو الراوية الاساسي للنقصة ، لا يشك عن ذلك إلا الجزء الثالث من الفصل الخامس حين قام الاحمد بن مصطفى بزيارة سميرة وزوجها معمار لتتجدد ذكريات ثلاثين عاما مضت يشتمل رمانها . فقد روى حسام ما حدث في هذه الزيارة سمعا عن الاحمد (١٩) وكان يمكن أن يشهد ما دار في انتائها كما كان شاهدا على بنية أحداث القصة ، فقد دعي الى تلك الزيارة لكنه زعم التبرؤ . يعود سابق (٢٠) . ربما أنه أحس ما في هذا اللقاء الذي تتجدد فيه الذكرى من قسبة ينفي عليه إلا بفتحها . أما في آخر جزء من آخر فصل في القصة فإن الراوية يخفى عن موهبه ليدع المؤلف يخلق مباشرة على مصير شخصياته الثلاث بما فهم رواية القصة نفسه .

### طريقة التفكير :

ولما كان أسلوب أى عمل فني ليس معصلا عن موضوعه ، فإن غاية الأسلوب التفريرى في قصة نفس - وإن مرر بنفسه من خلال الذكريات والرسائل والمقالات - لا يمكن ولا يشك في التمييز عن عقلية فلسفية مما يعبر عن عقلية القاص . فحين يتحدث عن حسام لآخر يرجع الى اسمه أكثر من مرة . والراوى يتحدث عن مشكلة الهوانة الى مدير الملاحظة (٢١) ويذكر أسماء فلاسفة مثل هوسرل (٢٢) .

على أن أهم ما يلفت النظر ذلك الاتجاه الفكرى الذى عبر عنه الاحمد بن مذكراته بقوله :

« وألف للناس اتنى أجمل من ذاتي وخبرتها أسسها أولا وأخيرا في تقويم الأشخاص والاشيياء ، قيل لى : فليم إذن دعواك التى قلبت بها الأرض ، وأوجعت بها المماغ ، فيجوب أن يكون معيار التقويم دائما موضوعيا مستقلا عن الذات واعوانها (٢٣) .

والصروف أن هذه الدعوى مبدأ من أهم مبادئ الوضعية المنطقية التى دعا اليها الدكتور زكى نجيب محمود في أكثر من مؤلف له (٢٤) .

كما يعلن مصطفى في رسالته التى بعث بها من لندن أن مهمة الفلسفة هي تحليل القوال العلماء ، وأن كل كرامة في الفلسفة

لاسمى شيئا ولا تشير الى شيء هي كلمة زائدة مهما طال بين الناس دورانها (٢٥) . وهذا المبدأ من أهم مبادئ الوضعية المنطقية أيضا .

بل إن معظم رسائل مصطفى ليس إلا انتحرا كبقية امتناعه هذا الاتجاه الفكرى في أثناء دراسته في لندن حيث ترد أسماء برتراند رسل وبروفيسر آير ، وينصح من هذا أن مصطفى لا يختلف عن الاحمد ، وكلاهما لا يختلفان عن صاحبهما الدكتور زكى نجيب محمود ، حتى كأننا نقرأ أحد مؤلفاته الفلسفية التى ورد فيها أسماء المفكرين السابقين وكثيرين غيرهما .

والى جانب الإيمان بالوضعية المنطقية يجد الإيمان بفكرة الفردية ينطلق قصة نفس . فالراوى حين ينتج الاحمد بن مصطفى الطريق في أول القصة - وهو ليس إلا تنبؤ من الكاتب لسير جور جاتب من جواب نفسه - نراه يصله بقوله :

« انه في المارين بارز واضح ، فهو لا يبنى في الزحام ولا يذوب في الناس ، أنه فيهم كملقة الزيت صبت في فح من الله ، تحركها من أعلى وأسفل ، وإلى يمين وشمال ، فما تزال شيئا متمسكا من الله الذى حولها ، أنه في أوضاع الناس على طول الشارع لم يلقه مظه (٢٦) .

ويجد جاتبا آخر من جوانب تلك النفس هو مصطفى بمنى مقلده دائما ، فهو حين قدم اسمعاليه وأمرم المسير ليبرسي في الخارج أمان أن ما قبل عليه مقصور على مصيره الفردى لا يجوز أى انحاء العامة .

والدور الذى لا ينفك عن الاحمد بن مصطفى بل أنها تتشبه الاحمد بن مصطفى ، « والى تلك النفس وهو الراوى . فهو سر - سر - في النظر بخار دائما مقبده رقم ٢١ ، وينس على أن نفسه هذا الانتحار أنه ماعد فردانى (٢٨) .

وبه سبب آخر لاختياره هذا القصد هو أن الجالس عليه سجد مع سير الفكر كما يواجه مضمدا يقاب أن يتسلخها زميلان فيتجندا فيسلي باستراق السمع الى ما يقولان . وهذا البيان الأخير بكشفنا لنا عن صلة من صفات تلك النفس ، فموقفها في الحياة أقرب الى وفلة المتفرج التامل ، وتلك طبيعة الفنان والفيلسوف على السواء . ويؤكد همد الصفة جاتب آخر من جوانبها هو الاحمد ، حين كتب ذات يوم مقلدا متناسيا عند ميلاده يقول فيه :

« لكننى من هذه الحياة أراه مدينة حصينة سورتي بمنيع الجدر ، ولكننى منها طواف بطوف حولها وطوف ، ولا يجد الى جوفها من سبيل .

الى أن يقول  
« أردت أن يكون في حياتي ما أني أو ربه » (٢٩) .

ولعل هذا هو الذى أعطى تلك السيرة الروائية صبغتها ، فهي سيرة صراع فكرى ورحلة تأملية في الحياة أكثر مما هي

(٢٦) ص ١٢٤ - ١٢٧ ص ١٩

(٢٨) ص ٤٠ -

(٢٩) ص ٢٠٠ - ٢٠١

(١٨) ص ١٩٦

(١٩) ص ١٥١

(٢٠) ص ١٢١

(٢١) ص ١٩٠ - ١٨٥

(٢٢) ص ٢٢ - ٢٣ ص ١٥٧ - ٢٤١ ص ١٠٤

(٢٣) انظر على سبيل المثال : بحر فلسفة عليه ، مكتبة

الاجيال ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، ص ٣٠

سيرة حياة حافلة بالاحداث والاعمال . وقد شغى الاحدب ذلك شخصيا دليفا حين قال :

ولو سألت نفسي : لو أرجعت لحياتك ووددت ما هي بها من حوادث هيلا أت ذاتي ؟

ان من الرجال من يكون قصص حياته فاذا هي حافلة باحداثها ، طروها فكانها تقرأ قصة من خلق الخيال البارع ، فابن من ذلك ما عشت من حياة عارفة حواء (٢٠) .

ثم يشبه نفسه بسلي اليريد يتفق حياته ساحة بين الناس ويريد دون أن يفس الظروف الا من ظاهرها .

هذا الموقف مرتبط بالضرورة بموقف تلك النفس من الزواج حيث اعجابها وترندھا . فالراوي يعلن ان فكرة الزواج عنده امر لا يرد على الصور ، كما لا يرد فكرة الباترة المريبة (٢١) . ومن ناحية اخرى يجد الاحدب يقتل مرتين في علاقته مقلرا . مرة مع سيره قبل زواجها بمضطر ، وتبرير القتل هنا هو انه لم يكن من الظروف الواثبة ولا من الآداة المستقلة بعث بزواج من أحب وهو ما يزال مراهقا لم يبلغ بعد نصف شوطه الدراسي (٢٢) . ولكننا نربط في هذا السير عندنا من مختار زوج سيرة لا يزيد عمره عن عمر الاحدب ، بل ينش الراوى على أن لااتهم - الاحدب ومضطر وسيرة - في الفلسفة والاربعين (٢٣) . ومعنى هذا ان لاتهم كانوا في عمر واحد عندما قال مضطر بسيرة في دون الاحدب . أما المرة الثانية فيبين تقدم الاحدب الى عفاف قبل زواجها بفرس . وهنا كان سبب القتل اوضح . اوضحته عفاف من جانبها حين ذكر صراحة انها رفضت - رغم اعجابها بنفسه - على سفر جيمي صرف ، فهو ارادها طعما منه في صغر اجسامها ورفضه خسة منها في بهيظ في سلم المجمع (٢٤) بركة ادركه ان ابن جانيه حين ذكر صراحة انها رفضت له بمرس ، وقد كان ذلك هو الحد الفاصل بينه وبين المبرس ، إذ تركوا تسلم بالصحافة اديدة منذ ذاك الحين (٢٥) .

ويبقى هذا القتل بظله على نظره الاحسب الى الزواج فيقول :

الزواج عندما في ناحية والحب في ناحية . انه مجتمعهم رفس . فهل يجبه امساؤه الا مرفي (٢٦) . نظام الزواج هو في صميمه التصاب بعينه القانون ، فلما رجل التصب امرأة بعينها ولا نجبه ، أو امرأة المصيب رجلا نجبه ولا بعينها ، أو رجل وامرأة لمبايشان انشاء مصلحه مشتركة ، بغير حب من أي الطرفين . ان الناس ليكبرهم من الامر كله سلامة التشكل دون مضمونه ومطرا (٢٧) .

تم تنايد فكرة الاحدب عند الراوى من ان الزواج لا يجمع الا الاحساد ، عندما دعاه فريد الى عشاء في منزله بطوان ،

حيث كانوا سمة استشخاص ، اربعة أزواج وأربع زوجات ، والراوي باسمهم - كعادته - ومن مؤيد رأى الاحدب أنهم اعداد مزاحمون (٢٨) .

بل ان المؤلف يضع تيريرا لوفف جوانب نفسه الثلاثة من الزواج على لسيل عفاف زوجة فريد حين تفصل هي ايمانين الحب والزواج فنقول :

ما للزواج والحب في هذا البلد . خلها قاعده . حسبكون حب الا زواج ، يحينا يكون زواج فلا حب (٢٩)

وبالرغم من ذلك فقد تزوج قلب من جوانب تلك النفس هو المذكور مصطفى مغار (٣٠) . فبعد عودته من دراسته بالخارج وانسراكه في الصحافة الادبية مع الاحدب ، اتته رسائل من فلانة مجهولة خلق لها قلبه ، فطالها على صفعاب المجلة ان يسمر في مراسله حتى كشف له عن نفسها ، واذا هي زوجة بعلم زوجها ان القلب الخالص والعقل الطمئن قد يجتمعان في عني واحد (٣١) .

كذلك فان جانب آخر من جوانب تلك النفس هو الاحدب عرض الزواج على سيرة بعد وفاة زوجها لكنها اعتبرت بأنها ام وحده (٣٢) . اما الجانب الثالث وهو حسام فيبدو انه لم يغم بمعولة في هذا المجال .

وعندما روح جانب واسمر الزواج جانب اخر دون أن يحق ما اعتزعه ، سنا اسمر جانب ثالث في مـزولة من تلك المجاله .

ولكن ذلك لانه اليريد الفتاح تلك النفس الفتاة واصفا تصور الزواج . مصطفى ظ يؤمن به من افكار ، نجدها تكسر بطري مساهمة ليدى جوانبها الثلاثة .

— ٤ —

ولعل تغير اراد مصطفى في التامدرسته في لندن ثم زواجعقب عودته هما الطور الوحيد الوجود في قصة تفس . اما بقية الجوانب ففها لا تتحرك حركة تطور بل هي ثابتة من اول القصة الى آخرها ، حتى ان الراوى نفسه يشتها بعيت يشل كل منها جانبيا نمسا على نحو ما رأينا . والقرء هو الذي يحرك نحوها حركة استكشاف . وهذا الثبات الغالب مسلي شطصيات الفضة - وبالتالي على موضوعها - هو الذي يصف من اتساعها الى الفن الراوى .

ولكننا من ناحية أخرى نجد المؤلف لا يلتزم الرتيب الزمني فيما سرد من احداث . وهذه هي احدى الخصائص التي جعلت

٢٨، الجزء الرابع من الفصل السادس

٢٩، ص ١٦٦ .

(٣٠) ، يذكر المؤلف اسمه خطأ في صفحة ٢٢٦ راسم : مصطفى حيد اليارى . ولم استطع ان اجد تعميلا لتلك الفتاة التي لا يمكن ان تكون مجرد خطأ مطبعي .

(٣١) ، ص (٢٤١ + ١٤٢ ، ٢٤٤ .

(٣٠) ، ص ٢٠٠

(٣١) ، ص ٤٢ + ٢٢١ ، ١٤٤ + ٢٢٢ ، ص ١٤٢ + ٢٢٤ (٣٢) ، ص ١٦٦ .

(٣٥) ، ص ١٧١ + ١٧٢ .

(٣٦) ، ص ١٧٢ + ٣٧) ، ص ١٧٤ .

فصة لمس تعود فتبند خطوه عن السيرة الذاتية وتقرّب من الجو الروائي حيث يكون المؤلّف أكثر حرية في تقديم أو تأخير وقائعهم . وقد أوضحت شخصيات القصة على لسانها هذا المنهج ودوام استخدامه . فتجد الراوي يعلن قائلا :

ليست للتعاطي في حياة الإنسان كلها سواء من حيث فعلها في توجيه الأحداث ، فمنها ما قد يضيء ولا أثر له ، ومنها ما يكون له من بعد الأثر وعمقه ما يظل يؤثّر في مجرى الحياة إلى ختامها . وإن النثر إلى حياة إنسان بمجموعة أحداثها للتلخّص إلى مشهد حيوي أو إلى صورة فنية . فالعين لا تبدأ النظر من حافة الإطار الزمني ثم تسير في خط افقي مستقيم حتى تنتهي إلى حافة الإطار اليسرى ، بل أنها تتفعّ أولاً على نقطة بؤرة هنا أو هناك ، كشجرة على يمين الصورة أو جبل على يسارها أو قمر ساطع في وسطها ، ثم من هذه النقطة ينساب في مختلف الاتجاهات فكانما هذه النقطة البؤرة ينبوع لتجرب منه بقية الأجزاء . وهكذا يكون النظّر إلى حياة إنسان بمجموعة أحداثها ، فيتمثل أيضاً بنجته الانتباه إلى لحظات بلوّحات ، كانت حاسمة في توجيهها ، ومن تلك اللحظات ينسب إلى البصر إلى سهول الحياة ووديانها (٢٢) .

وقد أكد هذا المعنى نفسه جانب آخر من جوانب تلك النفس هو الاحديب بكلمات ونشبهات مشابهة بحث بهيب الفسروي تماماً بين الشخصيتين (٢٤) .

وعلى هذا الأسس يقوم رسم الأحداث في القصة ، ففي مدابها للمنى ، نحاسب من جوانبها من قهر حراسها ، الراوي والاحديب ، ثم يواجه بطوراً من القهر ، فما كونه الاحديب في ملاكاته ، ثم تعود لتعيشها في واقعها ، حتى تغلق بشبابها ممثلة في شخصه ، سائر ودراسه الخارج وذلك في الفصل الأخير لاسيما فيها كبره من رسمه إلى صديقه .

ولكن ها هنا مسألة نسبي الواليد ، فلا نحن كنا قد نعتقد أن هذه الشخصيات الثلاث ليست إلا جوانب لنفس

واحدة ، وبين لنا أن صاحب تلك النفس كان طالباً يدرس دراسته العليا عام ١٩٢٧ كما أوضحنا سابقاً ، فكيف بممثل مصطلح فترة شباب هذه النفس وهو يبحث برسائله من لندن عام ١٩٢٦ ؟ لا يكفينا أن يحدد لنا المؤلّف هو مصطلح فيقول أنه في الخامسة والعشرين لتصبح أنه يمثل تلك النفس في مثل هذه السن ، بل الأولى أن نؤكد أن صاحب هذه النفس قد سافر للدراسة إلى الخارج في حين متأخر ، ودليلنا على ذلك اعتراف صفيّر بلوه به طالب هندي كان يرى مصطلح متكباً على أوراقه بالكتابة في أثناء تلك الدراسة بالخارج من الصباح حتى ساعة العشاء ، فكان كلما أخذه الحب وهم بالانصراف يقول في نفسه : أيصمد هذا الرجل ولا تصمد أنت وهو أسن منك (٢٥) ؟ ومعنى هذا أن مصطلح كان قد جاوز سن الشباب ، وإنما جعل المؤلّف سنه في الخامسة والعشرين لأنه يعتبر أن فترة الدراسة تلك هي شبابه الحقيقي الذي أخصب فكره ، وأن كاتب قد يمثل أثناء رجوله خلال العهد الثاني بالنسبة لانتهاج دراسته العليا بالمعاصرة ، وهو ما نصيبه يطابق حياة الدكتور زكي مجيب محمود العلمية (٢٦) . وبالتالي فإن زواج مصطلح بعد من الخارج لا يعني إلا أن زواج صاحب تلك النفس قد تم في سن متأخرة نسبياً ، وأن كان جانبها الشاب = فترة أخرى - أخرى = هو الذي قبل على الزواج .

ويؤيد أن يخلط تلك النفس في شخصيات ثلاث لهاها ، لأننا قد قمنا بخطوه أخرى عن أن تكون مجرد مسيرة ذاتية ، وأن من ناحية أخرى = ولأن هذه الشخصيات ليست إلا جوانب نفس واحدة ، لم تمايز تمايزاً كاليا وقائع حياتها ، بل هي التي تعبر عن طرق تفكيرها = فالحا في الوقت نفسه ، لا ينفك يرد الذاتية .

فهذا يرجع إلى السيرة الذاتية والعمل الروائي هو الذي جعلنا نموذج قصة نفس فيما يعرف باسم « رواية السيرة » الذاتية .

## يوسف الشاروني

(٥٠) ص ٢٢٢

(٢٦) انظر مقاله : المعاد كما عرفته ، مجلة الجهد ، القاهرة ، مايو ١٩٦٦ ص ٤ - ٢٠

(٢٣) ص ٢٧

(٢٤) ص ٦٦

# الجويني، امام الحرمين

تأليف الدكتور هوقيه حسين محمود  
سلسلة اعلام العرب - المجلد (٤٠)



المجلد الأربعين من سلسلة اعلام العرب صدرت تحت موضوعه «الجويني امام الحرمين» بقلم الدكتور هوقيه حسين محمود . ويشتمل الى العرض

لهذا البحث اعتبارات عدة ، منها ان البحث موضوعه كلبي شاق نصبت له - في عرض - سيدة جامعية ، ولعل ايسر ما فيه الرجوع الى مصادر خطية بأسلوب منطقي عويص ، هذا الى ما ينبغي ان تنبهه له من اسباب الشغاف لثقافته والتأريخية والأدبية ، ثم من هذه الاعتبارات ايضا اتني منذ الصبا اسمع من اسرتي ان جميعا الآطى هو امام الحرمين ، واخذت تتوالى منهم على سمعي انباء الكرامات والآيات الماثورة عن واحد من ابناء هذا نجد الذي التقى - ثم من هذه الاعتبارات كذلك ان البحث لزميلة قريبة من هيئة التعميرس بالجامعة وان مبحثها هذا كان موضوع رسائلها في الدكتوراه وهذا بعيد الى ذكر بحث بحث الى جاني عرضت بحسب لهم كلبي احتزالي هو الزمخشري ، والذي هو مؤلف كتابه في هذه الفترة وفيها ما لا يريد ليدخل في إطاره ، كما عرضت في «الجويني» فير تسمح لاعتبار ان يكون غير ابناء السكاه وصلى الراي ، وما من قول الا وانت اخذ منه وبارك .

ادارت الدكتوراه هوقيه بحثها على مقدمة وفهمين رئيسيين ، في اولهما عرضت لسيرة امام الحرمين وانتاجه وفي القسم الثاني حدثت عن الجويني متكافا .

عرف على المقدمة روح دنيا بيئة ، فقد استلقتها محمد الله والصلاح على محمد رسوله وآله وصحبه وسائر الانبياء والمرسلين ومن تهم باحسن الى يوم الدين . ثم صرحت عن سرورها ان تعيش هذه الايام - كتبت المقدمة في شهر رجب - موسم اسلامي كريم ترى ملائكا ان تقدم فيه بين يدى اقراء عرضا لسيرة شخصية دينية . . الخ . وليست تكشف عن هذه الروح المقدمة وحدها وانما من السبل نضجها في اثناء الكتاب كله ، ولعل هذه الروح هي التي حدث بالدكتوراه ان تخصص في الطسعة الإسلامية ، وليس اجمع ولا اخصب من ان يفرغ الانسان بجهد ليدان يهوى العمل فيه . . ثم ابدأت الدكتوراه هوقيه في مقدمتها بها انما تقدم عرضا لسيرة شخصية دينية لها وزنها في القرن الخامس الهجرى ومآثله من القرون وأبانت هذا بذكر آراء لرجال من كبار ائمة عصره واللاحقين عليه من مثل قول شيخ الاسلام ابن عثمان الصاوي

فيه : « صرف انه الفكاره عن هذا الامام فهو اليوم قره عين الاسلام والذباب عنه يحسن الكلام » . ومن نقطة ائمة هذه انطلقت الى نقطة اخرى لها فيها كنه علمي وقومي معا ، فكتفت ان المكتبة العربية لا تزال في الحقيقة في اشد الحاجة الى الدراسات المختلفة لسير تيار ائمة المسلمين ومذاهبهم ، وذلك ان توجيه اليهود الى مثل هذه السير والمذاهب ان يكشف لتسا عن سير رجال خدموا الدين بقلوبهم وعقولهم فحسب بل سيدتيا على انماط متعددة من اشواق العربي الاصيل والجهاد العلمي والديني الصافي قد يلبس ظهورها تاريخ الفكر البشري ، ذلك ان مؤرخي نتاج الفكر من الشرقين والغربيين درجوا على رد نهضة اظم الحديث الى اهل العرب فأتين انهم استقوا اصول البحث القويم من فلسفة النهج من امثال دكارب وغيره .

فما احببت الدكتوراه عرض الواقع الذي افلته الأورخون المتعمبون ودون ان العرب كانوا اصحاب اتجاه تجريبي واضح في حياتهم الفكرية والعلمية على حد سواء ، وذلك ان القرآن الكريم الذي هو لنيل الصبب للقول والتفوق في عرض العربي في اهل الفكر انما على النور الفكري الذي جابها ان . . الخ . انما ائمة التي الاتباع باياته في السماوات والارض . . الخ . ان العرب منذ ان دخلت عليهم الثقافة القرآنية نحو مذاهب واتسعة وبطت الفكر بالواقع واحرمت خصوصه هذا الواقع وكانت تدور على المواقف لمسائل قوية من التجرد الواقعية والذهنية هي بمثابة المشعل الذي اهدى بهداء نمل القرب في عصر الجهالة ، فنهضوا - بعد ان جسدوا على التوارث من آراء ارسطو - على صيحاب علماء العرب في مدارهم المنتشرة انذ في الاندلس والغرب وصلقي . ونحن نتعرفنا على اهل الفكر من العرب - وخاصة المتكلمين منهم - اما ترمي الي بيان اصالة الفكر العربي من جهة ، واتر هذا الفكر في بحث نهضة اهل القرب من جهة اخرى بحيث تبين لنا مختلف العوامل التي تروت ازها في تاريخ الفكر البشري . وتكون بذلك قد ابرزنا حلقة غالية في سلسلة النتاج الفكري تسلفها بحز بعض المستشرقين المتعمبين من تناولوا الطفاق العلمية دون تقدير للاتصاف العلمي الخالص .

ومن هذا الاعتبار العام الموجه لنل هذه الواسطة للمسير يعود الدكتوراه هوقيه الى الاعتبار الخاص الموجه لبحثها فتسرى ان دراسة امام الحرمين - سيرة ومذهبا - تسفر عن اسئلة في الفكر تستحق من البياحت كل اهتمام وتقدير ، ان بلغ من حرصه على اداء افكاره واضحة جلية ان قدم لاقواله الانلاية بضمف في العرفه يصعد من ادق المصالح التي عرفت بين العرب حتى ذلك الحين ، والتي يمكن ان تقرب من آراء بعض الحداثين من اهل القرب مما يؤيد نقل هؤلاء من العرب لو ثبت

ذلك « به لن يقضى على الفتن اسمانية بين مضلف الفرق  
الغيبية الا ينشر وعى عميق دقيق بتقليد المذهب السنى ،  
وهكذا اوجه نظام الله الى صديق هذه السياسة العظيمة  
فعمل على نشر العلم منفتح المدارس لكثرة السنن يدرس فيها  
المذهب السنى على ابدى امة كبرى من اهل المذهب ، وفرد  
للجوني ان يكون راسا لمدرسة نيسابور .



ثم اذا ما انتقلنا الى البيتة الخاصة التى سمت الجوني  
بعد امام الحرمين من بيت علم ودين ، وبكينا وفلة عند والده  
الشيخ عبد الله بن يوسف الذى روى الدكتور فى بحثها انه  
نسب الى سقط راسه « جوين » وعرف بالجوني طوال  
حياته . اما عن نسبته الى نيسابور فذلك يرجع الى طول  
اقامته بها . لقد ذكر كثير من المرجعين الشيخ عبد الله  
والمصنف فى بيان قواه وعلمه وفلسه ، ويتبين لنا بحث  
سيرة هذا الولد انه كان له كبير الاثر فى توجيه ابنه نحو  
التصوف فى تحصيل العلوم الإسلامية وتكريس حياته لمقدمة  
الدين . فيذكرون عن حياة ذلك الولد انه تلقى العلم اول  
ما تلقى على والده المعروف بلأديب يوسف الذى عرفه معلوم

اللقب والادب كما التقى فى هذه الفترة بابى سقوط الابيوردى  
من كبار الأئمة فى الفقه . ثم فكر جيد فى الاتصال من  
الشيخ « طيا لتمام فتوحه الى نيسابور حيث قابل ابا الطيب  
الاصمغينى الذى كان معها شاعيا ومتكلميا وأديبا . ثم اوجه  
نحو « مرز » فاصدا للعدل المرزوى الذى كان له فى المذهب

التفانى ما ليس لغيره من انباه عصره . وقد لازمه عبادة  
العلم والادب الى ان حضر فى المذهب الشافعى وعلم الكلام واقتنى  
طريقه « شيخ الاسلام » . ولم يلبث فيه الله عنه حد  
المستحسن بل حصل بحقه على نشر العلم فكان يقعد المجالس  
لامتنافس « لاصمغينى » وهدم الغاصب والفتح مدرسة للتعليم  
بمرز بطاع دنى خاص . وقد كانت زين الوالد خصال  
منها ولعمه السيدى رافض حتى انه كان يقول فى دعاء فتواب  
الصبح : « اللهم لا تعنا من العلم بماق ، ولا تمنعنا عنه بماق »  
ومنها حرصه المكث على عدم الوقوع فى الشبهات اذ يحكى انه  
ما كان يستند فى داره الى الجدار ائتمرت به وبين جيرانه  
ولا يلقى فيه وتدا ، وكان يمسك فى اداه ازرقة حتى كان  
يؤدها فى السنة مرتين جرد التسيان او لدعها الى غير  
المسبك . كما ذكر عنه بعد اتصاله بام والده انه اضطلع  
به اشراها بقال خال من كسب يده عن طرق لتسجبالجره  
لكى تكون له خيرا وبركة ، وكلفت صالحة ، وما ان جاءت  
منه حتى اخذ يمسك بجانية عليه شبهة سواء فيما يتلقى  
بها او ما يمس ولشها ، وقد كان لهذا اثره فى حسن تشبه  
الاصمغينى . ثم كان من اثر تغلب هذه الصفة فى نفس الوالد  
ان كان يحرق فى اخراج مؤلفاته خوفا من الوقوع فى الشبهات .  
فروى انه ارد ان يكتب كتابا سماه « الحيف » لا يتخذ فيه  
بالمذهب الشافعى متبعا للتصنيف للمذهب ، ولما اطع  
الحافظ ابو بكر البيهقى على اجزاء ثلاثة من هذا الكتاب راعه  
ان يتخذ عبد الله الجوني هذا « طريق » ولرس الىه ينتد  
مينا الأوامر الحديثة لى لا يستطيع ان يتبينها الا من يتفن  
علوم الحديث . فما كان من عبد الله الا ان رجوع عن المسى فى  
كتابة هذا المصنف . غير ان والصف « الحيف » هذه وان

بالادلة القموسة اصالحهم بهم واخضعهم منهم . وهذا امر يجب  
ان يفهمه الباحثون العرب فى الصين .

ومن المقدمة انقلت الدكتوروة قوفية الى اعظم الاول من  
بعضها ففرست فى فصله الاول « سيرة امام الحرمين » ولنا  
ملطع على النتج هنا « الدكتوروة بعد ان حدثت عن نشأة  
الجوني ونفاته نراها متوفت لتحدثت عن عمر امام الحرمين  
فى ناحيته السياسية والدينية وما ترتب عليها من اثر فى  
النساجية الثقافية ( من ص ٢٠ - ٢٦ ) ثم تعود الى سيرة  
الجوني لتتلف كما تقول المؤلفة وفلة اخرى مستقلة فيها  
لحديث عن احوال البلاد السياسية والدينية لابرار الظروف  
والكاسبات التى احاطت بامام الحرمين وانتهى كان لها خطر  
الآثر فى توجيه اطوار حياته ( ص ٤٠ - ٤٤ ) وتعود لتسج  
اطوار حياة الجوني ثم تتلف وفلة ثالثة لتتريف بالحياة  
الاجتماعية فى عصره . وواضح نظريا ندخل هذا العصر فى  
وفلتها الأخيرة مع وفلتها الاولى والتالية حين حدثت عن  
التأخيرات السياسية والدينية ، ولكن يتبين انماضات التى  
سالفها فى وفلتها الثالثة يجد ان حديثها فيها انما مضى  
اساسا بالناحية العلمية .

واسلوب معالجة السيرة على هذا الوجه مضطرب ، شخصية  
الجوني نالها فيه ، وكنت احب للمؤلفة ان تبرز بن وفلتها  
هذه كلها وبسجلها خلية لرسمها شخصية الجوني ، فكون  
سيرته بهذا اكثر الصادة واضوح فسيات .

وايه لما يذكر بالثناء للمؤلفة فى هذا الفصل فبعضها السيرة  
الخاصة التى نشأ فيها الجوني وما ورثه من طوار الدكتوروة فى  
والد . فاطلها العلمية على ايدى والده شجرة مادها من  
منابر لغرافية ثم لهما ما فى هذا كتاب « الى جانب ما عده  
الجوني - من اثر فى اتاجه ونشأ بطوكه . فالقرن الخامس  
الهجرى - عمر الامام - له وزه العلم ، هو قرن يزخر بكبار  
رجال الكلام من معتزلة واشعرية وخوارج وفريقهم ومطلة وتسميه  
وكرامية وغير اولئك وهؤلاء ممن نعرضوا لسمال المصنف  
بالجهد والنقاش ، ويسر هذا لامام الحرمين ان يعيش فى  
اجواء تملث فيها مذاهب متباينة . وحلى القرن الخامس  
الهجرى بتسفيته فلسفية بارزة فى شخصية ابي على الحسين  
ابن سينا صاحب الانساج الوفير ومن تلاميذه المعبدين ،  
ابو عبد الله المصموي الذى قل عنه ابن سينا « انه منى  
بمئة لرسافو من الافلاطون » وكانت صفات المصموي  
الفلسفية فى الفترة الإسلامية نيسابور مما لعله اتاح  
للجوني ان يطالع على هذه الكتب ويلى بالتفسير من الآراء  
التي تضمنتها . ومن بين الشخصيات الفلسفية التى ذاع  
صيتها فى هذا العصر شخصية عمر الفياض وهو من الفلاسفة  
الذين ولدوا واقاموا نيسابور غير ان الفلسفة لم تكن من  
العلوم التى يثار لها فى ذلك العهد بلى بالكتسب من قبل  
بعض الفرق ، فكان المتأمله مثلا يناهضون العلوم الفلسفية .  
اما من العلوم الصوفية فقد جال هذا العصر بكسار رجال  
الصوف المحققين منهم الباقى ، والسلفى ، والقصار ،  
والقشيري . الخ واخطب الدولة فى ذلك العصر جانيبا  
مطعيبا بعينه ، فتبين للظك « ابي ارسيلان » الذى اعتلى  
كرسى الحكم حوالى عام ٥٤١ هـ ومعه وزيره القدر « نظام



ذكره في كتابه « طبقات اشاعيه الكبرى » وجوزت أن يكون هو كتاب « مختصر الإرشاد للباطني » ( ص ٦٢ ) . لم عادت (ص ٨٧-٨٨) فذكرت أن من الصناعات التي تسبب لإمام الحرمين « مختصر الإرشاد للباطني » « اختصره أمام الحرمين وهو مصنف يشك في نسبه له ، ثم استمرت أنه حتى قطع الشك باليقين في هذا الأمر بالإطلاع على النسخة المخطوطة بجمعة الدول امريية رقم ٢١١ عام ١٢١١ نقي هذا المصنف « من مصنفات الإمام الكلامية .

وقد كان الأولي اخراج هذا المصنف من المبدئين جميعا والاكتمال بالإشارة إليه في الهامش حتى يثبت الرأي فيه . وفي ختام هذا الفصل قومت المذكورة فوفلي « الجويني » عالما « فذكرت أن نجاح امام الحرمين الطوسي يشمل موضوعات اسلامية صميمية وقد نظرت مصنفاته بعناية الكثير من علماء العرب وشراحهم ويمكن القول بأن هؤلاء الشراح قد ساعدوا في بيان ما غطى من افوال الإمام بحيث يمكن عامة الناس من الإلمام بمفاهيم الجويني فساعدوا بذلك على إتمام ما بدأه اصحابهم وهو شرح الحق وإزالة كلفة الدين فهم بذلك نفعوا معاصريه وخالفه . والواقع أن أسلوب الإمام قد ساعد على اصدار آرائه ، فالنارس استغاثه بتبيين انه يواجه رجل فكر نر أسلوب الوضوح والتميز على إنشاء العبارة المتقنة ، وقد يكون من دواعي الإعلاء هذا الأسلوب انه خالف مواضع من الفيل وأبدل معاصروا واصحابه من بعدهم بعض الألفاظ . ولا يخفى هذا أن امام الحرمين لم يكن انسانا مرفوعة الحس سميل الجويني رضى الله عنه .

اسمهم وكان يبيّن الحافرن بيده . مصنفه من غير انه ويكفي أن يكتب الإمام قصيدة أو فوجين في غير موضوعات العلوم الإسلامية لسكان لهذا المصنف .

العالم الآخر الذي يكشف عن تجويزه بالتصور الفطري المصنف بالتأثير الجوداني .

رأى القسم الثاني من الكتاب . منهج المكتوبة في هذا القسم منهج موافق ، الإرواف فيه متعمدة وإن كان الفصل الأوائل ( في التمهيد لمذهبه في العلوم ) الذي عرفت فيه الدولاب الثبوتية والآه ملاحظة للالفاظ التي يستعملها الجويني في حدوث العالم وتعدد له فصلين أولهما وهو الفصل الخامس لأن الفصل الرابع تضمنت المكتورة فيه من مؤلفات الجويني ما حاولت به تمثل مذهب الجويني في المعرفة . لم من مذهب الجويني العلم في المعرفة تضمنت المكتورة إلى آليات مذهبه في حدوث العالم وعرفت له فصلين أولهما وهو الفصل الخامس أعرفت فيه ما أتبته الجويني من حدوث العالم على رأي اصحابه الإشارة ، والفصل السادس لإبائه حدوث السلام ، قربته هو الخاصة . وبعد هذا الإجمال تفصل ..

بائدين بالفصل الثالث : في المذهب لمذهبه في العلوم . ذكرت المكتورة فيه أن امام الحرمين كان من الذين يحرصون على اتباع المنهج الذي يحدونه للتفهم ولذلك نراه يبيّن الأولاه في العلوم التي مارس البحث فيها ببيان الدولاب الفكري والإصطلاحي للالفاظ التي يستعملها . واختصرت

مسألة « حدوث العالم » لدواية آراء الإمام فيها لأن تناولها بالبحث مجال طيب للتصرف على اتجاهات الإمام ومنهجيه في الكلاميات . ورات إقناعا عليها قبل أن تعرض لتحويل الآسام لاصطلاحات النسبية أن تعطي فكرة عامة عن المعنى الفكري والإصطلاحي للفكر « حدوث » و « عالم » وذلك - كما نقول - لكي يتبين لنا موقف امام الحرمين من الفقيين والإصطلاحيين معا عند استعماله للذين للفقيين . وتعرض في الوقت نفسه إلى بعض المصادر التي يصح أن يكون امام الحرمين قد استقى منها بعض أصول مذهبه في حدوث . لم بعد أن فصلت في هذا خلعت إلى أن امام الحرمين قد استعمل اللفقتين بمعناها الفكري عند الفقيين وبمعناها الإصطلاحية عند الإشارة . وذكرت أن مصنفات امام الحرمين التي تعرض فيها الأوالة في آليات حدوث العالم أربعة : « مع الأدلة في فوائد عند أهل السنة والجماعة » وكتاب الإرشاد إلى فوائذ الإكتمال في أصول الاعتقاد - وكتاب الشامل في أصول الدين مذركاب العقيدة التلصافية » . وأوضحتم أن امام الحرمين، عرس في الثلاثة الأولى منها إخوان أهل الحق في آليات حدوث العالم فحلها ونعما وربط بينها بالادلة والبراهين المتكلمة . وأنه لم يكن محلا ونافذا لأفوال أهل الحق لمذهب وإنما كان يفتد ويحل ليفرض ما يرى فيه باطلا ويقتل ما يرى فيه حقا ، عليه ليحفل به منحا ينهي به إلى آليات الحدوث مع أهل الحق . وهذا شهي بنا إلى أن الإمام كان له مذهب في آليات الحدوث : في طريقة أهل الحق إلى جانب مذهبه الآخر الذي عرسه في معنائه « العقيدة النظامية » والذي صرح في صلبه

باعتباره

ARC

والله في التواريخ . جعله أدوية بعنوان ( الجويني والمعرفة ) أسبله بأنها حين يبحث مصادر المعرفة لدى الجويني نجد أنها ثلاثة : الفعل ، والحواس ، والفلس . والآليات العقل والفلس مصادر للمعرفة ، يعني أن الباحث في الحدوث الذي يبدأ كلامه فيه يتبين الإمكان في الموجودات في مقدوره أن يقيم مذهبه على أساس عقلي محض ، وذلك بأن يتبين الإمكان في الموجودات بلوغ حجم سلكان أولا : ثم بعرض .. الخ . أو يثبت ذلك فيما يبحث في داخلية نفسه من نظريات أو فيما يظن من نظريات على الموجودات الخارجية ولح هاتين الحاتين يقيم مذهبه على أساس مشلعية الواقع المتوس ومن هنا أمكن تصد مذاهب الحدوث بحكم مصدر مصادر المعرفة .

اما درجات المعرفة لدى الإمام فهي متعددة : إذ يرى أن العقل في مقدوره أن يتبين بعض الطاقق بسرعة وفي سهولة ويسر بينما لا يتأتى له ذلك بالنسبة لبعض الطاقق الأخرى . ويطلق على الأولى لفظ « علوم ضرورية » بينما يسمى الثانية بالعلوم « النظرية » .

وتتعدد أيضا موضوعات المعرفة عند الجويني فتجد أن مدركات القول لديه على ثلاثة المرب : أولا : ما يدرك بالفضل وحده . ثانيا : ما يدرك بالسمع وحده . ثالثا : ما يدرك



باسمهم والطفل جميعاً ، والأصول تدخل في هذا اللون من المعرفة .

أما مناهج البحث في المعرفة فتختلف باختلاف موضوع المعرفة ، فمهما يتفق بالسميات يهتدنا أمام الحرمين عن الأصول فيقول : أن السمي منها يحصل عن طريق الرشيد والأدلة السميّة . أما المرشد فهو الذي يقول بلام صادق ، ووسيلته لدعوة بضيق إلى قبول هذا الكلام العجائب . وليس للعلم في ذلك نصيب ، أما الأدلة السميّة فهي الكتاب والسنة . وفيما يتعلق بالعمليات الخاصة لم يحصل الاسم القول فيها لكنه قال عندما تحدث عن قدرة العقل على العلم بالجزئي : أن معرفة هذا الجزئي تتم بالاستقراء أي بملاحظة الطبيعة وتقرير أحكام منطق والواقع . أما منهج العلوم التي يشترك في أدائها العلم والمعمل فهو المنهج القياسي الذي يقوم على حدود نوضح وفيما نستطيع منها التلخيص . والإمام فلا قد عرف العالم وانتشر والجوهر والعرض . الخ قبل شرحه في اثبات حدوث العالم .

وإذا كانت موضوعات المعرفة عند الإمام تختلف في مناهجها فهي أيضاً تختلف في القاية من البحث فيها . فاما السميّات فالصديق بها واجب ويكون ذلك بالقلب لا بالأقل . واما ما يشترك العقل والسمع جميعاً في إدراكه كعلم الأصول مثلاً فالقاية من البحث فيه هي إرساء قواعد الدين في النفس . أما فيما يتعلق بما يترك بالمعمل وحده . فلهذا البحث عند لدى الإمام في التعرف عليه في حقيقته كما هو موجود في الواقع الخارجي .

ومع هذا السجل السابق اسمي ، فلهذا لا بد من توضيح نصي لتتلى والأفكار الرئيسة في العلم الذي تصب تواتر ( الجويني وأهل الحق ) . في الإمام أول ما يتأتى من طريقة أهل الحق - ويقصد بهم أهل السنة والجماعة من الأخدين بذهب أبي الحسن الأشعري - تعتمد على تعريفات ومصطلحات اصطلاح عليها المتكلمون فيما بينهم . وأثبتت أمام الحرمين أن أهل الحق قد اصطلاحوا أولاً على العالم مفروقه تعريفين : الأول للسلف ، والآخر للسلف . والأول هو أن العالم ( كل موجود سوى الله تعالى ) . والثاني هو أن العالم ( جواهر وأعراض ) . وفيما العالم ، للثاني أدلى بهما الإمام مع أهل الحق لا يمارسان . فإمام الحرمين قد أظهر في فروع أن الموجودات تنقسم إلى ما ليس له أول ومفتوح وهو الله سبحانه وتعالى . وما له أول ومفتوح وهو الوجود الحادث . وهذا الوجود الحادث يتقدم قسمه بديهياً إلى جوهر وعرض ، فيكون ماسماً بالسلف كل موجود سوى الله تعالى هو الجواهر والأعراض خصوصاً وأن السلف والخلق قد جعلوا الجواهر الحادث خصوصاً بالعدم . ويقول الإمام مع أهل الحق بأن إثبات حدوث العالم بهذه الطريقة يعني الكلام في الشيء والجوهر والعرض .

الشيء : يلعب الجويني إلى أن حقيقة الشيء الموجود ، فكل شيء موجود وكل موجود شيء . فالوجود فطري هو الشيء الموجود وليس المصنوع . فالشيء يكون بعد أن كان علماً وهذا ينتهي الإمام إلى إثبات حقيقة كبرى وهي لدولة المصنوع . فلهذا لدى الجويني فائدة ومفيدة تتجلى في أن يصنع الشيء

من العدم وهذه البصرة لا يصح أن تكون خافية ، بل أن من صفة القدرة أن تأتي في مظهرها ، وإثبات ذلك الأثر يكون باليات عملية العلم من العلم إلى التكون والوجود . فلو كان الشيء شيئاً في العلم لا يمكن أن يكون للقدرة أثر حين يصيب هذا المصنوع موجوداً . ثم عرض الجويني لاستعمالات الطبيعة (شيء) في اللغة فأنشأنا صورة دقيقة للعلم العرب لها ، فلم لا يقصدون بها متعلق من التعلقات كلفظ جسم مثلاً بل يعلقونها بدون متعلق وكل ما يلقبه آيات أمر أن كانت مثبتة وبلى آخر أن كانت منفية ، فإلا كان الأمر كذلك وكان الدليل القوي للفظ « شيء » الباتاً لا غير ، فلهذا يمكننا أن نقول أن أمام الحرمين أو السابقين عليه عند اختيارهم لفظ « شيء » للتعبير عن معنى الوجود أو الوجود كانوا قد استعملوه بمدلوله القوي .

الجوهر : يحددنا الإمام عن صفات الجوهر فيلزم في هذا السبيل لثاني صفات يتبين منها أن الإمام يقضي على الجوهر وجوداً في العقل غير متعلق في الواقع الخارجي بل يرى أنه لا يصح أن يتصوره المرء في صورة معينة لأنه لا ينصهر في الفهم إلا الأجسام ، فإلا كان الأمر كذلك وهو أن الجوهر له وجود في العقل ولكن لا يتبين في شكل فيكون الجوهر الآن عبارة عن فكرة هي التلخيص .



العرض : عرف أمام الحرمين العرض لقولاً بأنه « ما يحضر ولا يدوم معه » . ويرى أن الاصطلاح موزع الساتين عليه من « كل شيء وكل شيء » . ثم يخلص إلى أن هذا الموجود الذي حذر من « ما » أي موحده عرضي ، عرض في أدول وهو الجوهر البصيص ، وحجم الشيء ، وتبين في الثاني التفسير والتبسيط والجواز . هذا الوجود مرابط الفسيفساء ، الجوهر والعرض لأنه يقول لمسألة عرض كل منهما عن الآخر ، وعن لم ينشئ إلى أن ما لا يسبق الحادث حادث ، بمعنى أن الجوهر الذي يرتبط بالعرض الحادث ارتباطاً لازماً ، لا يسمح لنا بتصوير وجوده سابقاً على العرض ، هو أيضاً حادث .

فإذا كان الجوهر والعرض حادثين ، وهما شيئاً الوجود المينى ، أصبح هذا الموجود المينى حدثاً وهو الموجود الذي عرفه الإمام بأنه هو الشيء ، أو كل موجود سوى الله تعالى ، أو العالم .



ثم يجعل الدكتور موضوع الفصل السادس ( الجويني وأثبت حدوثه على طريقته الخاصة ) : فإلا انتقلنا مع أصنام الحرمين إلى طريقته الخاصة في إثبات حدوثه نجد بوضوح أنه عرف العالم فقال : « هو كل موجود سوى الله تعالى » . وهو تعريف يعبر عن كل موجود سوى الله تعالى في وجوده المينى : فهو يصور العالم كما يلعبه في الواقع المحسوس . والتعرف على الأجسام عن طريق الحواس ثم يصح ضرورة دون نفي كما سبق أن نبينا ذلك عند حديثنا عن المعرفة لدى أمام الحرمين ، ثم يتجه الجويني إلى التمسك معنى الجواهر فيما خفي به هذه الأجسام من صفات متغيرة فائض الذي يتبين لك

التنص وعنه يشرع البحث في تحصيل العلوم النظرية ، والنظر عبارة عن تراوح بين هذه العلوم الأولى الناطقة في اللسان بمعنى أن الباحث في محاولته الاستداه إلى حقيقة جديدة لا بد أن يعتمد على ما سبق أن اهتمى إليه بداهة ، وهذه المحاولة تقوم على ربط فرضي جديد بديهية راسية في العقل ، وههنا الربط هذه عبارة عن تراوح بين عقل والباب إلى أن تكشف به الحقيقة ليراجع إلى فرض معين . وقد فطن علماء الحرمين أنها صغوبة وخطورة فرة التردد بين البلى والآليات فيبين أنها فرة دخل ورد بين موضوع البحث ونفس الباحث ، وهو في هذه الفترة يكون عزيمة لأن يعتقد اعتقاداً مغالاة لعلم الصحيح فيقع في الخطأ أو تلؤلؤ به فترة الانتقال بين الفنى والآليات فيقع في الشك . ويعتبر الجوينى حالات الخطأ والشك بأنها « غلوط » تتلحق بصحة على خلاف ما هو به . أى على خلاف الحقيقة التى يرى الجوينى أنها مثل الضروريات موجودة في نفس الباحث . . وهذا يعنى أن العلم النظرى لدى امام الحرمين قائم بالنفس ، وكفى بالمرء يحتاج إلى بحث أو حك العقل بالمشكلة . . وتكون العلوم كلها - الضرورية منها والنظرى - مفروضة من حيث أنه متى تم النظر فيها على طريقة سليمة أثبتت ضمن النفس ، ومنها في ذلك كمثل البديهيات والخصائص وغيرها من الفكرات المباشرة ، وقد أعطى الجوينى للباحث مقياساً يتصرف به على موقفه الحق من المخطوب ، قال : ( أن الذى على علم حقائى يشعر في نفسه بالتيقن والتلج والذلة ) .

فهل لنا أن نقول إن علوم تنبثق من النفس ومليئها دعى النفس إلا أن فيها نفعاً صوفية ذوقية ؟

والجواب نعم ، بل نجد دليلاً آخر ، فالجوينى عندما تحدث عن هذه العلوم بالجزئى ، يقول : أن معرفة هذا الجزئى لا تستلزم أن يلاحظ الطبيعة وقرير أحكام تنطق والواقع . ثم يشير إلى أن ما لا يمكن حصره من الجزئى كخاصة الجذب بالمغناطيس لبعض الأجسام مثلاً يمكن معرفته فيما بعد ، وذلك بعد أن تهيأ النفس لمعرفة . فبشأن هذه الظواهر ليست من القضايا الطبيعية وحسب ، وانتمسها هي اعتماد أياً من جهة النفس وتلهم معرفة الطبيعة ، فكان الإمام يرى أن معرفة الوجودات تنقسم نوعاً من الإله والرد مع الطبيعة بعينه النفس لبحث الحقائق وعرفة كلها .

وإذا لم يكن هذا التهيؤ النفس فيه من سمات الصوفية ؛ فماذا يكون ؟ .

ثم إن علم فروعاً بيئية مؤثرة في علم الجوينى بتسبب الصوف فلا رسواك . . نجد في سنته الخاصة عمه الحسن على بن يوسف الحنوفى شيخ الحجاز صوفياً طليعاً يصنف في الصوف . ول البيت العامة تجد الجوينى قد عاش في عصر كان فيه اعلام المتصوفين بالتصوف ، ورفيقه القشيري علم منهم . ثم إن الحدوثى مارس الرياسة الروحية وشغل بها آخر حياته . وخطوات الجوينى العلمية تنسأها سلكها العلمية الفزائى من بعد .

لقد وضعت المكتوبة فوقية بهذا على سر طائفة الجسوينى حين قالت : ( أن الإمام قد أدرك ما هو عسير له في حدود علمه

الصفات ثم يتبين غيرها في غيرها ، لا بد أن يحسبكم بإمكان تشكيلها في غير الصورة التى هي عليها ، ومن هنا يرى الإمام أن جميع الوجودات يسرى عليها حكم الجواز . فلذا كان الصالح جازئاً - كما يقول الإمام - فهو الذن مختار إلى فاعل أو صانع له ، ومن هنا ينتهى الإمام إلى القول بصانع لهذا العالم ، صانع مريد مختار يعلم بوجود العالم منذ الأزل . وما يرمى أصنام العربيين إلى آتياته ، هو أن صانع العالم قديم ، خلق العالم حسب مشيئته في الوقت الذى اراده ، وعلى الوجه الذى اراده .

أما الفصل السابع والأخير من الكتاب فقد جعلته المكتوبة بعنوان ( الجوينى بين الكلام والتصوف ) واستأثر معظمه بتكوين كلاميات الجوينى ، غير أن هذا لن يستوفاه هنا لأنه جعله دائر حول مدى اتساق آراء الإمام ، أما الذى يلتصق حقاً هو الورقة الأخيرة من الكتاب لعل ما جاء فيها . . لقد رأت المؤلف أنه كان للظروف السياسية في العصر الذى عاشه الجسوينى وما ترتب عليها من فوضى في الأمور المحلية - أثره في استتسار القلق والغيرة بين نفوس الأفراد ، ومن ثم اشتغل الإمام بالكلام بدافع رغبته الأكيدة في إقناع الأهلين لأنه رأى فيه الوسيلة الناجمة الموصلة إلى تهدئة نفوس بنى قومه . فلما هدأت النفوس ولم يجد من في الكلام ما يشغل قليل نفسه رجع عنه ، وذلك أن الجوينى كان يرى الكلام وسيلة لهدى الباحث إلى وجود الله عزه من صفات الافتقار دون أن تهدبه إلى حقيقة الذات الإلهية ومعنى هذا أن الإمام كان يرى في علوم الكلام نفساً . ثم كدنا ورقة من مرسعة بأنه رجع إلى افواز السلب . ثم قال : ( اشهدوا على أنى رجعت من كل مقامه كآماله فيعلم السلب وأنى أموت على ما يموت عليه عجائز تيسابور . . ) لهذا اشتغل امام الحرمين بالتصوف ، ولم يكن التصوف إلى بذلك العصر غير اتباع الكتاب والسنة فيكون طريق العلم هو التصوف الذى ينتهى بالباحث إلى الحق بالذات العلمية ، فالإمام إذن كان متكلفاً في مذهبه ، متصوفاً في حياته .

فلذا كانت هذه هي حال امام الحرمين فلا يبعد ، والأمر كذلك أن يكون الإمام الفزائى وهو الذى تسلط على امام الحرمين مدة ليست بالقصيرة . قد تأثر باستلاده فعاش في العلوم كلها وأوزل جميع الفرق منزلة البحث والتصحيح ، ثم خرج من كل ذلك بأن التصوف هو العلم الموصل إلى الحقيقة وأنه لا طمس في الفلسفة أو الكلام ، وتكون التهمة التى بهاها الإمام الفزائى بالعلوم الاسلافية ترجع في أصلها إلى استلاده الجوينى ، أصنام العربيين .

ومع أصحائى بهذا الذى نهدت إليه المكتوبة ، وقرقرها لآثر الأستاذ الجوينى في تنفيذ الفزائى غير أنى لا أتفق مع المكتوبة فوقية في أن الجوينى كان متكلفاً فصبغ في مذهبه ، فهناك روح صوفية واضحة يسرى تبارها في خلال آرائه الاسلافية ؛ وإلى الدليل من عبارات المؤلف تبينها وفى صحيح نظريته في المعرفة . . تقول المؤلف : « أن العقل لدى الجوينى به علوم ضرورية ، أى تلك التى ليس في مقدوره العبد أن يوجدها وتتصل في العقل من تلقا ، وبه علوم تعتمد على هذه العلوم الضرورية ، وهذه العلوم تحصل بالنظر . هناك إذن أساس أول ثابت في

ولم يفقه ما للقلب عليه من حق في أمور دينه ، بل كان حريصا على بيان أن للقلل حدوده رغم جبروته وأن للقلب طريقته الذي يوصل إلى التعرف على الحقيقة الكبرى ، على أنه جل شأنه ، لذلك يمكننا أن نقول أن تصوف الإمام لم يبتني إلا من خلال تجاربه في الأصول : أصول الفقه ، وأصول الدين والجسد والخلاف ، حيث تكشف له حدود القفل فأثر عليه حياة القلب المودع إلى الحق الأعلى ) .

وكان يودى أن تجعل القزفة هذا مفتاحا لبحثها الكلامي كله مسهبة ومتنبهة لهذا التيار الصوفي السلفي في كلاميات الجويني .



وليفي بعض هباب القف إليها لتداركها في طبعه لاحقة منها : (أ) ما يتصل بالمصادر ، فقد نقلت الدكتوراة نصا تاريخيا عن نظام الملك ، وجمعت مصدريا فيه كتاب زكي مبارك ( الأخلاق عند الفزائي ) والذي ينبغي استشارته هنا هو المصدر التاريخي الأصيل . ثم ما يتصل بالمصادر أيضا رجوعها إلى كتاب اللطيف « سير أعلام النبلاء » في نسخته المطبوعة في مواقع من الكتاب ( ص ١١ ، ١٢ ، ١٥ الخ .. ) مع ذكرها له في المصادر الختصة بديل الكتاب مطبوعا في دار المعارف سنة ١٩٥٥ . هذا إلى ورود خطأ مطبعي في نسخة هذا الكتاب إلى السمعاتي مرة ص ١١ وإلى ابن كثير أخرى ص ٢٩ .

(ب) ومنها ما يتصل بالتصوير ، فمع هذا الأسلوب الصوري الرصين الذي يشيع في ناياب الكتاب كنه يصب جبروت معارفه للعربية مثل قول الدكتوراة عن نظام الملك ص ١٦ : « قد يرى للقلب والبطن هيئة بغير ما يس في سائر الأصول لوحدة باليسر والصننى من وسيلة ناجحة لإخراجها من سها . »

ولعل موضعه هنا القول بأن مطلع قصيدة الجويني لولده . إلى كم تعادى في غرور ولذلة ، وكم هكذا التوم إلى غير لحظة سليم الوزن صحبته من بحر الطويل ، وليس مكسورا كما ظلت الدكتوراة .

(ج) ما يتصل بطريقة البحث . فحيانا ، لعرض المؤلف على آثاره ما تعرض له من نماذج ، نراها تستدرج عملا ( ص ٨٩ ) ، بينما تتعدت الإزلة عن مصنفات أمام الحرمين في الفقه وكيف أنه رد على مخالفيه في المذهب على أساس الدماء ، بأصول الجدل نقول : ولا غرامة في ذلك والإمام ممن صنعوا في الجدل على نحو ما ستلمس ذلك بعد قليل أثناء عرضنا لكتابه « الكفاية في الجدل » . ثم نروح نعرض لمباحث هذا الكتاب ونقطع سياق الحديث عن مصنفاته الفقهية .

(د) ثم ما يرتبط بصحف بعض الآراء التي لنجدتها من المؤلف ولا نرفي لمسوح بحثها من مثل قولها ( ص ٢٥ ) : ( فساكن أمام الحرمين قد بين وهو في هذه السن المبكرة وفي مثل هذا العصر المتقدم أهمية المعرفة بصلة عامة وإمكان قيام علوم دينية منفصلة عن العلوم الدينية ) هذا رأى ، لكنه لا يثبت على قديمه أمام مثل قوة وسداد رأى آخر للدكتوراة فوفية ( ص ١٢٨ ) : اذ تقول في شأن اختلاف الإشارة في فهم أصل من أصول المزمز . وهو راجع في الجوهر : ( أنه لا يبقى لنا أن نقى في كل قول مصر به أهل السنة أو غيرهم ، ن آراء المخرقة . )

ثم .. شكر صادق للزميلة الدكتوراة فوفية لآرائها لطلاب المعرفة من صمعة عقلية كان مجالها بحثها القيم ، وآية قدرنا له هذه الملاحظة التي هي في جوهرها شاهد ما ينسجم به البحث في كونه وصالحه ونطق ..

ذكرور مصطفى الصاوى الجويني



# المكتبة العربية



## فلسفة سديلية

تأليف الفيلسوف الفرنسي  
فرديناند الكيه

يحفلون بنفسارة وجوهم وروى هينهم رانم تلامهم الاصل  
داخل لغات السوربون .

وهو لا يطع في ان يقدم تاريخا للسريالية ولا معالجة  
لشاكلها . ولا أمل له في ان يقدم للجمهور فلسفة السريالية  
كما لو كانت فلسفة سريالية . إذ سيجترس الجميع على  
ذلك بان السرياليين ليسوا فلاسفة ولا يصح ان يطلق عليهم  
اسم الفلاسفة . والاذ كانوا قد تميزوا بشيء فقد تميزوا  
بانساج الشعر وبانساج الفنون التشكيلية . والاشك ان عيونا  
قد خلط بما فيه الكفاية بين الاثن والفلسفة . ولكنه يضاف  
ايضا وبمبالغة اكبر بين الفلسفة والعلم .

ومن اجل تمييز الفلسفة عن كل هذه الاختصاصات الأخرى  
يجب ملاحظة شيء هام جدا ، وهو ان الفلسفة لا تلتصق  
نظام فرعي للأشياء وانما هي خط سير الإنسان كاملا مكتملا .  
هذا التعريف الذي يخص به الكيه الفلسفة هو نفسه الذي  
لنعمه في بحثه الفلسفي الكبير عن وحدة الوجود حين قال :  
انه لا يتصلح الى فلسفة جديدة . انه يسعى لاثبات في تعريف  
الفلسفة على خط سيرها الأبدى . وهذا التعريف هو نفسه

السريالية والفلسفة :



هذا الكتاب هو « فرديناند الكيه »  
استاد الفلسفة بالسوربون . وهو  
مؤلف عشرات الكتب الأخرى في  
العلاقات العقلية والوجودية و

فلسفة ديكرت . ويصعد ديكرت نصه الأكبر وان كان  
لا يمل اجابة في تناول أية فلسفة من الفلسفات المعروفة عن  
اجادته في تناول ديكرت . وهو شخصية مرموقة بين اسقده  
الفلسفة بالسوربون ومحاضراته مكثفة دائما بليستمين ولن  
تجد نيرة في الكلام اوضح او اوقع من طريقته في العرض  
والتحليل .

وناقى أهمية هذا الكتاب من انه استطاع أن يبرز جميع  
الأساطير الفكرية .. أدبيية .. وفلسفية .. وغنية ..  
وعلمية .. في سنة ١٩٥٥ حينما ظهر لأول مرة في سلسلة مكتبته  
الفلسفة العلمية عن دار للتراثيون بإديس ، وشغل الأذهان  
نوا لما عرف من مؤلفه من خصوصية وتلهج فلسفين . والاستاد  
الكيه هو أحد محترقي الفلسفة المتخصصين الذين ما زالوا

التي يعطيها للفضة مرة أخرى وهو مصدد بعشه عن السيربالية .

ولما كان هناك أمل كبير في أن يبالي السيربالية جانب لا هو بالآدي ولا هو بالعلمي وإن يسمى هذا الجانب المستقل عن الأدب وعن العلم إلى التطلع نحو الخلافة وهو الاكتشاف في المجالس المجردة المهمة . . . أقول لما كانت السيربالية مرتبطة بهذا البحث الجاني بلا أدنى شك فقد صارت خطواتها تلك أمضا بالضرورة غير قابلة للنقض بالتفاهج العقلي أو التفسيرات الجمالية . أو بعبارة أخرى يمكن أن نفترض السيربالية نظريات حقيقية عن الحب والحياة والعيشال والعلاقات بين الإنسان وبين العالم . وإذا صح ذلك فسنحاول الكسه مرل هذه الفلسفة واستخلاصها .

لهذا يمدد الكيه إلى التفتتات الداخلية الترابطة كي يتسقى طرفه ابتداء من عندما . فلا يصبر من وجهة نظري السيربالية ، وهذا طبيعي ، لأنه لا يعني ذلك خصوصاً وأنه يحاول استخلاص فلسفتها دون أن يتطرق في نظامها ، أي أنه يبحث السيربالية من الخارج . وهو يعتبر أنتمريه برتون أكثر من وليس للحركة . أنه ينظر إليه بوصفه الوحي اللهني المنكر للحركة السيربالية بأكملها . هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى تتحدد نظرية إلى السيربالية خلال وجودها نحو الحقيقة الواحدة . وبرتون هو الذي قال في بعشه عن الحب أن متابعه الحقيقة تقوم في أصل كل نشاط حيوي ذي كسه .

ولا نفلو كل أعمال برتون من دعوات لانتهى نحو الأخلاق ونحو الجمال . وينهى ضد كل التفتتات الخارجية من وجهة نظري الإنسان ووفاء لتجربته الإنسانية . ( ص ١٠٠ ) خلاصه الموضوع هو الطور إلى الحقيقة في ثلاث كة من الحالات التي التي عليها العلامة المتكون بالتشبيه اسواميه . وإذا كان برتون قد ألقى على رأسه اسم صمو المينافيزيا فإنه لم يلبث أن توصل هو كسه بطرق مختلفة خاصة به إلى عين ماكدو التي المينافيزيا . وبعداً أحبب الكيه باتمريه برتون إلى نفس مستوى أمجانه باللاطور ودرنكات وكانت . ويقول أنه هو وحده مسئول عن أمجانهذا .

ما هي السيربالية :

السيربالية هي الحياة . وليس يهها أن تنتج أعمالاً أدبية بلعسد ما يهها أن تظهر القوى التأسيسية في الحب والأمل والاكتشاف . وقد تحول الأدب والشعر بظهور الثورة السيربالية بين سنتي ١٩٢٠ و ١٩٢٠ إلى التطرف في قلب الحياة ذاتها . ولم يمد الأدب والشعر فناً أو حالة فنية بل صار الحقيقة والفكر ذاتها . ومن ثم صارت المؤللات السيربالية فائدة على انزعاجنا من الأدب ذاته كي تبث فينا ألواناً من التساؤل العلمي والفلسفي . ولكنها لا تعهدنا بعلم إلى أي جانب جمالي .

نحن نعرف أن هذا كبد يشير إلى غير قليل من المقالة في التعبير . ذلك أن أنتمريه برتون ( ١٩١٩-١٩٢٦ ) قد جعل من الإهتمام والأمل منذ البداية اتصلاً أمام الجمال وألا فيه . بل نستطيع أن نلاحظ من استألفنا الكيه أن برتون قد اشترى في «الليفستو» أو الميانشير السرياني سنة ١٩٢٤ في إنشاده أن الجمال هو الميانشير الوحيد لتقمة الصورة . ولتقمة قيمة

الصورة على جمال إشارة الواردة بها ( كيهان السيربالي ص ١٠٩ ) .

غير أنه من الواضح ولم ذلك أن الثورة السيربالية هي ثورة على طريقة التعبير الجمالي . إذ لا يمكن مثلاً أن نصف البحث الذي قام به برتون في كتابه « السلك القابل للذابة » بأنه ذو صفة جمالية قبل العزل . ويصبح كل جمال قابل للتلف من الحياة . و قابل للموضوعه كشهد من وجهة النظر هذه نوعاً من الأدب . ولكن السيربالية ترفض الأدب . ( ص ٧٠ ) من الليفستو يولايكن أن ندله الجسار الذي يرفض الموضوع للموضوعية إلا بأن نلناه في قلب اتفاق الذي نسميه اليوم للما وجودياً والذي يمكن وصفه في لغة مصر برتون بصلة القاي العوي .

لذلك يهها ما هنا أن نذكر محاولة السيرباليين أول الأمر أن يرادوا اتفاق الوحي الميانشير والجنون وحالات الهوس . أرادوا أولاً أن يستشفوا الميانشيرات الإجتراة التي نظراً على اللحن وهو في عزلة تامة عند الناس وأن يلتقطوا الصور التي تصب هذه الصبرات . واستحال موقف السيربالية بالتالي إلى موقف سلبى لكثرة أهملها على استماع الناس التواهي وعلى انتظار موجة الإحلام . ولقدت السيربالية كل روح بلاقية . واجهت من أجل مد تجربتها الإنسانية ولتسيرها خارج الحدود المذهب الملة وخارج المارافيه كي تتحلل من نظراها القديمة . . . عالمها بمعاس أسامية .

سحت السيربالية أن من طرق للمعرفة والخلص معاً . لهذا طمحيها إلى كل من شأنه أن يرفع الإنسان إلى ما هو من كسه . إلى ما هو كسا من كان خرف ذاته . ذلك أنها طمحيها إلى ما طمحيها إلى كسا من غرورات الفكر الملتق ومن سلطان المولفين إلى تتكم في الحوسوسات . وتقبل السيربالية إلى التخلص من المهرجات التي ترفضها الأخلاق المعادة ومن كل ماسنه الإوضاع من الشغل والفروغ . أي أنها باختصار كسه من أجل الانتقاء مبرية الإنسان الكاملة آزاد موضوعات كسه .

السيربالية والشعر والأدب :

ويقال البعض أن مثل هذا الاتجاه من شأنه أن يؤدي إلى الانعطاف والخلل . غير أن الاستاذ الكيه يصرح في ذلك معارضة قوية جدية . ويقول بوضوح وصرامة أنه يعتقد على العكس أن العصر الطاهر لتجربة السيربالية والتفتتاتها في آزاد لقوى كانتا نوعاً من العودة إلى ماهية اللغة التي هي لبسها الشعر . ليس في الأمر أي انعطاف . لأن الشعر في الواقع هو الجسر الذي يربط عالم الحقيقة اليومية بعالم لإحلام الزائع . ويقال هذا الجسر الشيء الوحيد الذي يمكنه كل من يود الاحتفاظ بالوضوح بحيث لا يترجم رموز العالم المادي في لغة فروغ تخيلية أو سحرية أو دينية .

ويصير برتون بأجواب قوى نحو الظهور ونحو نوع الكلام ومعناه كسا يشغف بالتبلي في التعبير . ويقوم على أثر ذلك بزيارة فيليب جريغان ويول فاليري . ويبدأ بالتشغلة ليقول بحبونه في نهاية كتابه « الحب الجنوني » : « لك ذكوت من ريق ما كان عذبي في النهاية ولد الشعر الذي كرس

له شيأى بالى ما زلت اقوم بضمته مستصغرا شأن كل مايس بشر» وارجون ( ١٨٩٧ - ١٩٥٢ ) الذى لم يظهر نحو الشعر لنس الوفاء طول حياته يقرر فى كتابه عن البحث فى الأسلوب : « نعم اننى اقرا .. التى مصاب بهذا الاداء الضحك .. وأحب الشعر الجيدة .. هذه الانشعار شىي تبعت على الاضطراب ... وأحب كل ما يمتص الى حسده الانشعر وراء الوجود ... اننى كما لو لم اكن احى يوده السكابت الجيدة الرائقة التى خللاها الليل عن طريق رجل لم اعرفهم . اننى أحب الشعر » .

وهكذا يمكن أن نقول مع اتقيه أن الانتقال الى الشعر لم يكن الذن سوغا بالنسبة الى السيرالين . ولم يكن خطوة الى الامام ايضا . لقد كان الانتقال الى الشعر مجرد عودة الى عالم مجزوه قط . وعلينا من أجل ذلك عدم الخاط بين الشعر وبين الأدب . فهؤلاء السيراليون قبل رفضوا الأدب ذاته باسم الشعر نفسه . إذ أن الشعر فى نظهم هو مفسار الزوجة والتر عن جبل دائما . أن كل ما يبعث الزوجة جميل بل ما من جميل سوى مايبعث الزوجة . ولا يدعون الشعر الى الاهتمام على نحو أى منظومة وإنما يعمون بتفسير روحنا عن طريق الانفعال السدى بينه فىنا . أو بعبارة أخرى الشعر هو مجال هويتنا وهو الذى يسمح لنا بأن نسبح على كل الانشاعر صور رعبانا .

وعلى العكس من ذلك انكر بريون احده بصورة عظيمة . انه سكرها لما فيها من حكاية . ربما . عذوق . ما للشاعر المنطق . ويظل هدف القصة خارجيا بالنسبة اليها لارتداد كل طابع استاتى فيها فيروى كما انى بعدد بلادهم . ومن البناء الشكلي كل اشغال ميساير ابدانهم . من حكاية . بريون - تريد ان يسكب الناس عندهم كلهم . من حكاية . وعندما يرفض بريون الأدب فهو يفعل ذلك شفه بانه فى الشعر الذى يبدو فى عينيه حبسا ومربط باسم الوجود . أو يبدو الشعر فى عينيه مانكا لكل عناصر الحرية ومضويا رساله السعادة الانسانية . وذلك من حيث يمثل الشعر الفقه الاصليبة أو اللغة العنقيدية «توحيدية» التى تعبر عن الوجود ونطاق له موضوعه . وليس الشاعر رجل اللهو والتسليه . انه الوالد الذى يوحى ويحقق ، انه هو الذى يبعث الآمل . فالشاعر اندره بريون يعزز مركز الشعر ويترك قهقهة . يرى انه لايجاب مع الشاهد الطبيعية أو الاجمال الغنية التى لايتبع فيه الزبدية الطبيعية ولا واجه اجملال الالفاظ وجدانية . ويقع من ثم على خاصية الجانب الجانبي العالي فى الشعر . ويؤيد ذلك الجانب كما لو كان احد الوجهات التحقيقية فى الشعر . ويرفض بريون التسليه الجمالية ككباس للاختلاف فى اللغة وكباسي يمتع الناس جميعا من ان يكونوا شغراء . ويقوم رفضه ذلك على حكم -سكاف بعدم حيوية الجانب الجانبي وباعتباره سببا فى انفصال العمل الفنى عن الحياة .

وكاى واحد من أولئك الذين ارادوا تعميم احدى المنح أو احدى الفهارس جعل سرون للشعبه نهجا هو منهج الكتابة الأولية أو الكتابة الاثومابائية ، وينتقى ذلك من السكبات مجرد الكتابة بغير أن يكون ثمة موضوع معلن نظر وبغير أن نغفل أى اشراف منطقي أو جمالي أو أخلاقي . كل ما منطبقه

هذا النهج هو أن تدفع الى الخارج بكل ما يوجد على صورة لغة بداخلنا مما تنوقه عادة مراقبة الشعور . لأن كل ما فىنا هو فى الواقع خطاب ونزوع نحو الخطاب . ويعمد بريون بهذه الكتابة الالهة الى تحرير هذا الخطاب وإظهاره بوصفه هو بلسه الإنسان . ومن ثم تتجنع السيرالية نحو العلم الذى يمكننا ان نتحدث فى افكاره وعنده من المنهج والتعليم وإلحاحه يمكنون المظاهر . ولذلك صفر من الضروري أن يفضح بريون لكل متطلبات الموقف العلمى وأن يتكلم عن موضوعية الفانيات وعن سير الواقع الحقيقى الخاص بالفكر الذى تظهره اكتيابة الالهية - ويعرف « الأنايستو » أو البيان الذى كتبه ريسون السيرالية ماتها : « آية نفسية خالصة نود ان نعبر بوساالتها عن السير العنقيدى للفكر أما مشافهة وأما كتابه أو بآلية وسيلة أخرى .. فالسيرالية تعتمد على اقتصاد بالحقائق الرسمه الخاصة . بالشكل معينة من التدهى التى ظلت مهمة حتى وقت ظهورها .. » ( ص ٤٢ ) من البيان السيرالى لاندريه بريون ) .

### فلسفه السيرالية :

ويبرز أمامنا هنا مشكله نامدة الاهمية وهى لماذا تكون العاطية للانشعور للفكر العرب الى العنقيدية من فاعليته الفعلية ؟ أو يمكن وضع السؤال بصيغة أخرى شاقول : لماذا حقيقا يلقى صور التداين حقيقة كرفع من حقيقة التسليم المنطقى أو من حقيقة لاساء ؟

والجواب : انه من هذا السؤال من وجهه نظر السيرالية والاشعر والاشعر الى بعض قول . فالفكر الاثر اكثر حذفه لسانه من غير . والشعر فى السيرالية كما سبق النموذج هو هذا . الشعر هو الذى وحى بعام فوق النوعية . وهو بانه احدهم المثلثة فى نظر سرون كما هو به من ركيزتين العالم المرنى والعالم الخيالى . ولايقاب الشعر عند احد بعيد المظاهر حديدا فويلنا عن طريق المعنى الشعرى الذى يبيع رؤيتها على نحو آخر . انما يصمد من الشعر عن لقده أصالة يعبر بها قبل أى تسكير عن الشريط الارضى للاسنان . انه يسعى لتغيير الحياة بل والفساام أيضا . ونحن نعرف واقع المدهم الثورى على «سيرالية» وليس هناك مانعها . كما طول الكية ، بالانتقاد فى لمسك مثل هذا المشروع أو قابليه للتحقيق . كل ما يمكن قوله هو أن هذا المشروع كان أساسيا فى الحركة السيرالية حيث لايمكن تمييز الشعر عن الوجود أو من الحب أو من الأمل .

ولاشك فى وضوح الموقف السيرالى على «ترغم» مما يبعده فى طياته من تردد بين امتداد الفن والنفاس قدره . فانواقع أن اعترافى اندريه بريون الأساسى انما ينصب على ذلك النوع من الجمال الذى يتفصل عن الحياة والنسب والامل الانسانى . وهو ذلك الجمال الشكلي الخاص بما يميز دون أن يطاق وبما يروى دون أن يسمي الى الصغير . ولم يكف بريون عن اعتبار الشعر حياة أو وجهه من أوجه العالم التى يجب تحفظا أو حرية الإنسان التى تستصمد من أجل تحقيق ذلك العلم .

وهنا تعرض لنا ذلك الإنشكال الكبير الذى اصطلحت به السيرالية رغم انها . هذا الإنشكال هو كيف نوفق بين الفن

المصنك بطرق الفكر الأولى أو انتفاحي وبين سيمه لغير الحياة والعام ؟ أو كيف نوفي بين عالم القوة عادة من اجلية وبين معالم السلبية التي اكتنفت آراء السيربالية ؟ أو بتعبير آخر كيف يمكن ان نقد السيربالية من حكم بعض الناس عليها منها فلسفة عنمية . فقد اطلق عليها كاس هذا الوصف في كتابه عن الانسان المتورده بحكم اختيارها دائما الموقف الاسوأ والأروع الاقل قيمة . وقال انها وفدت شئت في "تصول على الاربع اترت من نم ما هو ادنى . ولهذا تعد مذهبي عنياً . وحاول الكيه الترضي لهذه النقطة في النصل الذي عده من التورده واشورة . فيقسم كلامه عن التورده والتشور الى ثلاث نقاط رئيسية اولها "الرفض السيربالي وناتجا السيربالية والمركسية وفالتها عدم التحقق . ويرد لتقبل الكيه مسألة الغالبية السيربالية خلال كلامه من النقطة الثالثة عن عدم التحقق .

وهذا طبيعي لان الاجراءات التي تستند اليها السيربالية في فئوسها لشهرة تعد الى عدم تحقيق العالم بواسطة الانسفال الذي ينيجه في داخل كل الصفات الخلقية ، انبها تعد الى عدم تحقق المصالح بواسطة الاخلال بالروابط الخلقية المختلفة بين الاشياء نفسها . وهذا يعني اننا لن نبليج مستوى التورده الطولي الأول الى تدرى بنده علاقة العقل بالاشياء الا اذا قلنا بهلجم كل مستلح لتجديد المعنى والناقي الذي يعيش فيه خلال مجارها . اننا نجد داخل هيكل وروابط ذهنية ولا يكاد يفرق العالم الا خلال هذه المظاهر العقلية الخاصة . بينما يعمل السيربالية على مسوي السور الطولي الاول . وليرسم بعض الناس في كل تلك المظاهر كما شئت باوع هذا السهوي . الخرد اليه . وعلى هذا النحو نفهم السيربالية بعبارة اخرى انه رفض بعض الاشياء . ورفضت من من يحور من رفضه لافعال الناس واحاديثهم الى رفضه لافعال احباب الانسان والمركبات والعلوم . وفلان التدريه برسون الى سر ضغط الحياة العامة فعال ان تغلبه العالم التي نعش فيه تستند بخاضة الى مدى قدرتها على التنويه والايابة . ولم نستطع برسون . صاحب المناقصة السيربالي . ان يسمع كل العصر مغرورا براسيائه وان يظافه من قيوده . والسبب في ذلك هو ان تلك المصويبات التي صادفها فرغت عليه ان يختصر اما الفاعلية العملية واسم البشر . وكان يرتبون تماز في كل مرة يستهم عليه فيها الاختيار الى عالم التورده . ورفضاً عن ذلك فانه يبايع في اخلاص مقالته الشاعر الفرنسي رامبو ( ١٨٥٤-١٨٩١ ) ( التي اشتمت من كل الحرف ) ويغرض الى السيربالية في تورها ان "من الحرب على العمل . ويرى أكثر من ذلك ان فائضة يركلي من اجل اللطافات التي تنكر وجود المادة وبعد انتقال من فائضات عدم التحقق . ولكن اذا امتدت اجلام يركلي الى افاقه العام فوق معالم واسعة فان امل السيربالي منحصر في عدم الخطأ .

## السيربالية والتورده :

وعند السيربالية أساسا الى ايجاد أزمة جمعية في عالم الفكر . هذه الأزمة هي أزمة التورده . ارادت السيربالية ان تبث نوعا من الغربة في الحب البشري ذاته . وكانت هذه

عن بين المسائل الرئيسية في الوضع السياسي الذي اختارته السيربالية . ولعل هذه من أولى المهام التي حول القيام بها شعر السيربالية . كانت عملية ابتعاد الغربة في الحواس الانسانية من اول الواجبات التي حاولت "سيربالية ان ساطها لنفسها . ويتم ابتعاد آخرتها في الحواس عن طريق الشعر . فالشعر هو الذي ينكر ملكة الطبيعة ولا يبا بغواص الانسية . ولذا هو "الذي لا يلهي له قرار الا بان يمر بابايده السلبية فوق العالم بأكمله .

لذلك اذا شئت نفهم الرقية في حقيقتها بوصفها اول خطوة من خطوات العمل والتفكير وجب علينا ان نصل الى مستواها الحقيقي . الرقية هي عتبت كل القيول والمواقف والحوافز . او الرقية هي مصدر الحركة والأداء في كل فعل . وبناء على ذلك يجب الرجوع الى التبع ذاته . يجب الابتعاد عن مظاهر الآلية وفوائت التأثير الإيجابي وقوى التفاعلية لكي نمود الى التورده الذي نشت منه . هذا التورده الأولي الطولي هو مشروع عدم التحقق الذي يبلج الرقية في حد ذاته . ويستند عناق هذه المغزاة على ان العقل يظل دائما غريبا عن الانسان . يظفر العقل في كل الوسائل العقلية التي يبرتها الانسان من اجل تسوية أمور معيشه . واذا كان العقل في الانسان فلا يمد قوة من قوى التورده المعنى لديه وسأولاً في الشعر والاحتياط بالنسبة الى كل ما يصفق به وفادة من ذرات حبه . . . . . اقول اذا كان العقل كذلك فانه يظل رغم كل ذلك غريبا عن الانسان . ومصدق ذلك أنه "عربة الانسان كلما احتاج الى ما يعلق وحده كياته .

والتي هي في ذاتها مع مصام حازم من التورده يؤدي الى "عذاب التي . وتوهم السيرباليون الرقية لا بوصفها "لا الى الإله . ذاتها بوصفها جنونا الى ما يصحب ويرى . ولا يعرف السيرباليون عالم الأعجاب بوصفه عالم الحلو التي يسمع بها الأطفال الضغار وانما بوصفه الطريق الذي يؤدي الى فنيا الشعر . ولذلك فهو عالم يبتث على التشوهد والوجد . وعلى السيربالية ان تتفرع الوسائل التي تخلص الانسانية من الاعمال اليومية . وتبني هذه الوسائل التي نستعملها من العهدة والافتراق . فهان الظفران هما اللتان يفتيان على كل توقع يرفض الثاني العادية للتأليه .

وعسا يوحده السيربالية بين الرقية والروح . انها ترفض هسيم الانسان وتضع أمام انظاره ثورة جديدة صادرة عن كين الوجود بأكمله . ويعتقد الوجدان وحده ذلك الابداع فيها بين الرقية والروح . ومن لم يصبح مستخدم التأليه لم يجد انجمع ذا أساس أصلي فيها تحتوي عليه الرقية من عبق ومن أصالة طبيعية . والرقية العارمة هي التأليه ذاته . ولذلك يمكننا ان نرى في صور شتي أمام الأحداث بغير عواطف الظلم العادية .

وبود السيربالية ان تظل مخصصة باي لمن لهذه المجموع الكلي للرؤية البهجة على الرغم من كل مافيا من متناقضات وتوتر زحده . ولعل ان التورده السيربالية هدف الى مثلما هدف الى القوة الماركسية : تغيير العالم وتحرير الانسان . ويقت السيربالية محافظة طابع الناقص الاصل بين معنى العمل الإيجابي والفسال ومقتضى التورده الحق اقراء كل انواع

الماركسية كصفاً وأيديولوجية نورما على يد جوزيف ستالين .  
وستحكم الإنسانية يوماً واحداً على الأقل من سلفادور دالي  
كان أنظم من ستالين .

عبد الفتاح الديبى

## توماس هاردى

قصائد مختارة  
اختارها وحررها و.أ. وفيامر

و ( نافع البولي ) وغيرها . بغیر أنه ما لبث بعد أن اتجز كل هذه  
الاممال الروائية العظيمة عن عرف عن الرواية وهو في قمة مجده  
الروائي عام ١٨٩٧ ، ونحول إلى كتابة الشعر . ومنذ هذا التاريخ  
وحتى وفاته في عام ١٩٢٧ بدأ ينقله الشعر في الإنجاز . غير  
أن أهم فترات إنتاجه الشعرى كانت بلا جدال تلك السنوات  
الضرا الواقعة بين ١٨٩٧ و ١٩٠٧ . فبرغم أنه اتفق جزوا كبيرا  
من وقته وجهده في تلك الفترة في كتابة ملحمة الدراميسيه  
( الحكام The Dynasts ) التي تناول فيها الحروب  
النابليونية . فإنه كتب خلالها أيضا فزيرا من القصائد التي ظهرت  
في هوائيه الثلاثة الأولى ( قصائد وسكى ) عام ١٨٩٨ و ( قصائد  
المضى والمضى ) عام ١٩٠٢ . ( مسخرية الزمن ) عام ١٩٠٩ .  
وقد استمر إنتاجه الشعرى في التدفق بعد ذلك ، ربما لانه  
كان في السبعينيات من عمره كروائى بعد انجز كل هذه الاممال  
الروائية العظيمة . وربما لان غزارة الإنتاج الشعرى الى  
كتب في السنوات الخمس الأولى من عمره سببته الشعر على أقره  
بمواصله هذه الرحلة نحو النثر ، وربما لاي سبب آخر ، المهم  
أن كتاباته الشعرية توالف بعد ذلك ، فظهرت له عام ١٩١٤  
مجموعه الشعرية المبارة ( هجاليات الظروف ) ثم ( لحظات  
التفكير ) عام ١٩١٧ و ( الهجاليات الأخيرة والأولى ) عام ١٩٢٢  
و ( الاسمرات الانسانية ) عام ١٩٢٥ ثم ديوانه الأخير الذى  
ظهر بعد فترة قليلة من وفاته ( كلمات شتالية ) عام ١٩٢٨ .

وتقسم المجموعة الكاملة للإنتاج لى هاردى والتي ظهرت أخيرا عن  
دار ماكملان ما يربو على الاف قصيدة . وهو عدد كبير جدا من  
القصائد بالنسبة لشاعر إنجليزى واحد . فتمت كتير من  
التنوع الانجليزى الذين اوفقوا كل حياتهم على الشعر وحده ام  
بخلافه تصف هذا العدد الكثير من القصائد ، فما بالك وقد كتب  
هاردى كل هذه القصائد في نصف حياته الفنية تقريبا . وأفضل  
قصائد هاردى بأجاس كل التمدد ، هي تلك القصائد التي كتبها  
بعدما تجاوز الستين من عمره ، بل يرجع البعض أن  
ما كتبه هاردى بعد تجاوزه الثمانين من عمره هو أفضل اسباده  
الشعرى قاطبة ، ويسجلون على ذلك ديوانه الأخير الذى أجزه  
وهو في السابعة والثمانين من عمره ( كلمات شتالية ) والذى نشر  
عقب وفاته .

وفي المقدمة القصيرة التي كتبها هاردى لمجموعة قصائده  
الأخيرة تلك ، نجد أنه يلع على أنه ( ليس ثمة فلسفة متكاملة  
متسقة يمكن استخلاصها من هذه الأوراق ) أو من أى من

الصفوط . بينما قبلت الماركسية بجيز الفعل في الإنسان  
بواسطة التنشيط مع قواعد العلوم .  
وقالت السيريالية كلمتها وحقق سلفادور دالي لأول مرة  
في تاريخ البشرية معنى الرعبية الجسم المائل . وقالت



أن « توماس هاردى » السوراني  
المصرف لدى الصداقة العنصرية  
أكثر من توماس هاردى الشاعر ، برغم  
أن عددا كبيرا من النقاد ، الذي منزه  
بشارل مورجان واللورد دافيد سبيل وإيلين هاردى وداني  
لويس قد أكدوا أن هاردى شاعر يستخدم الرواية وسبيلة  
لتعبير .

وإيلياون هم الشعراء الذين كتبوا الرواية بالتمثيل  
في الأدب الإنجليزي ، فلما ما استثنى هاردى وده . لويس  
فلن نذكر إلا على عدد قليل من الشعراء الرومانس الذين مارسوا  
الشعر والرواية مثل والتر سكوت وإيميلى بروني وغيره  
الشعر والرواية مثل والي سكوت وإيميلى بروني وغيره  
ورادارد كيلنج ويولوف وشسترتون وقد ظهرت براعة كل واحد  
منهم في الشعر أو الرواية وليس في الاثنين معاً . لا شككم يمر  
على كتاب واهب براعة الرواية براعة شاعر . سون هاردى  
و د. ه. نورمان ولا غير . إذ برع هاردى في الشعر والرواية  
معاً ، بل أننا نجد أن براعة هاردى التهجيرية سجل في روايته  
بصورة واضحة ، كما تظهر مقدمه الروائية هي الأخرى في أعماله  
الشعرية وخاصة في ملحمة الطويلة ( الحكام ) .

وقد ولد توماس هاردى في عام ١٨١٠ وماب عام ١٩٢٧ . وجاء  
موته في قرية تدعى بوخامبتون في دورست ، كما عاش بالقرب من  
دورستستر ، وكان والده سيد التينين في هذه القرية . وكان  
بيته أن يصبح ابنه مهندساً معمارياً ، لذلك فقد ألقاه في لندن  
لخاض الممارس التي زلعله لهذه المهنة ، غير أنه ما لبث أن  
تركها إلى إحدى المدارس اللاهوتية ثم إلى المدرسة الكبرى ،  
مدرسة الأدب واللاهوت . وقد تمنع هاردى في صباه بفقر كبير من  
الموسيقى التي يهبطها ، موسيقى الطبيعة - إذ كان شغوفا  
بجمال الطبيعة إلى حد بعيد ، وكانت شدة حساسيته تدفعه دوماً  
إلى التجول وسط المراعي وخلال الغابات الجبلية للتقطعة . وقد  
تزوج هاردى مرتين ، إذ فشل زواجه الأول لأسباب يرجع أغلبها  
إلى تعلق زوجته بالأنعالي الذي أدى إلى أن أصبح هو وزوجه  
فريقين أحدهما عن الآخر بدرجة مرعبة . فكان زواجه الثاني  
عام ١٩١٤ من فلورانس دو جدال التي نشرت باسمها سيرته  
الدائية ، والتي كانت - كما كشفت إيلين هاردى مؤرخاً لأول  
مرة - من كتابة توماس هاردى نفسه .

وبدا هاردى كتابة النثر حالاً ترة لنس عام ١٨٦٧ . وخلال  
الثلاثين سنة التي أعقبت هذا التاريخ ، كتب هاردى أهم أعماله  
الروائية والقصصية ( عسمة كاستربرج ) و ( مودة المواطن )



الأوراق التي سودتها من قبل « وهاردي صادق في هذه الكلمات التي أبعد حد ، وإن جازوه الصواب قليلا في التعبير ، فصبح انه لا يمكننا أن نشر في أعماله على فلسفة متكاملة أو متناصفة تلك التي نجدها في أعمال تينيسون أو وردزورث ، ولكن مستغفلة أن نشر فيها على تكليف رابع وراخي بالعبودية للناس والأنفس الذي يظفل في التجربة الإنسانية ، كذلك التي يضل علينا عند استنراف عالم برونزنج الشعرى . كما نستطيع أن نشر فيها على حب غامر للأنسان والجمال والطبيعة ، وعلى كراهية متفرقة من الحروب ومن كل الانفصالات غير الإنسانية . وعلى ولع شديد بالبرادة والزخاوة والظواهر ، وشغقة على جهة المصير الانساني ، ودية شديدة في أن تطل اليهجة على دويبه . في كل هذه الاشياء يمكننا أن نكون رؤية فلسفية لانهاجها أو نداء فلسفيا متكامل ، وليس ملوليا من الشاعر أن يقدم لنا ملجأ فلسفيا متكامل ، فليست هذه وظيفته ، ولكن عليه أن يكون إنسانيا حتى أطراف انتمائه ، وأن يقدم لنا رؤية فلسفية وإنسانية للحياة ، وهذا هو ما نشر عليه مغفلا في كل اشعار هاردي . وهذا أيضا هو ما عنيته بان الصواب قد جاوزوه في التعبير عندما اكرر تماما انه ليس لمة فلسفة متكاملة يمكن استخلاصها من أعماله .

ويجب نشر هاردي قبله احساسا بالصدق التلقائي لحرده ودهافته ، ذلك انفراد التابع من جهة أسلوبه الشعري والتي تلور مير كل إنتاجه . والظفر فردية هاردي والصفحة خلال اشعاره بالقدر الذي يجعل له أسلوبا مميزا يمكننا في التعرف على قصائده حتى لو لم نقرأ عليها اسمه . إذ لا نجد في اشعاره أي نالي يفير من الشعر ، لا من ناحية البناء الشعري ولا حتى من ناحية العنصر اللبني المتمثل في رؤيته للواقع والشعر . يقول داي لويس في كتابه « شعر توماس هاردي » ( ١ ) : « ان قصائد هاردي ، مثلها في ذلك مثل رواياته ، ليس مجردة اولي من طيبة الخاصة ، ومصدر عن شعور وراخي . هي حرة ، وهذا هي شخصيته التي وهبت أعماله مذهبها الفاضل وجوهرتها » وقد كان هاردي يتمتع بشخصية جذابة شديدة الحيوية والفلسفة ، ولم يكن غزوفه من الناس ، إلا جزءا من ميراثه من مواطنيه أهل نورستون . من هذه الشخصية الجذابة انبوت أعماله وبها التصفات ، والتصال أعماله بشخصيته وتجاربته الذاتية واحساسيه ، هو ما يتمتع بشخصياته وكلماته حيويته وديناميتها وقدرتها على استيعاب الذكريات والتسميات الباهتة الكامنة في أعماقنا ، ولا فرق بين قسما لفرنا بوندي أن اعترف بمقدرة هاردي تلك عندما قال « ما من أحد يمكنه أن يقرأ قصائد هاردي دون أن يحس بان حياته ولحظاته عمره التي نسجها قد عدلت اليه . لمة من هنا ، وساعة من هناك . . ليس هذا هو مقبلي التسميم الصادق ؟ » . « ملي ، انه ليليس صحيح في اعتقادي ولكنني جازي . لان الشعر يعمل أكثر من مجرد تذكيرنا بما في في خاطرنا دائما ولم نضمن التعبير منه . انه يمنحنا القدرة على أن نلهم أكثر ، وعلى أن نرى أكثر وأعمق ، النطق المظلمة من حياتنا وهذا هو ما عناه وردزورث بقوله « ان على الشاعر أن يعب عمره الرؤيا » كما ان من وظيفة الشعر ان يسلفنا على أرياف الافاق العنسية من كل ما في العالم من فواقره وعلى الاستمتاع بكل ما عليه من خيرات .

وشعر هاردي شديد البساطة والثراء ، ذلك لان أبرز ملامح طرية هاردي في بناء قصائده تتعدد في تلك البساطة والقسوة التي يجعلها - كما يقول داي لويس - يعبر عما يجيش في انفسنا

من احساسيه ، وكثيرون من الشعراء العظام مثل شيلي أو بيرون أو كيتي أو وردزورث يتوهون بانفسهم أو معتقداتهم أو موالفهم في كتابة قصائدهم ، وكذلك يفعل هاردي ، يبدو حساس الهاس سيك يستطيع عبره احساسيه وملاحظاته الحيوية والبسيطة ، وجنوح هاردي الي هذا الأسلوب يكسب قصائده قدرا هائلا من القوة والبساطة والرفعة في آن ، وهذا هو ما يمنح قصائده فديرة القلة على النظم والظلال في نواصيا . لان هاردي - كما يقول البيوت - « يسو الى اللغة دون أن يمر بالطور الذي يمكن أن يوصف فيه بأنه شعر جيد » ويسر والتسر دي لأمير هسه الظاهره مان « هاردي يفسر الشعر ويبدسه في اللغاة ، بدلا من ان يشتزعه منها في سحر كما يفعل ليرد » . . وعلى التقبي من هذه الآراء نشر على راي اليزابيث دوي التي تقر داهشة بأنه « ليس لمة شعر مجيد - ربما باستثناء وردزورث - كسب مثل هذا العدد الكبير من القصائد الرديئة » وان لم يمنحها هذا الرأى من الاعتراف لهاردي تنقلل الاحساسى العميق بالعبية في كل قصائده . وقد يرجع وجود عدد كبير من القصائد الرديئة ضمن إنتاج هاردي الشعرى الى فرازة هذا الإنتاج والى كثرة التي لابد وانها أدت حتيا الى الافات زمام بعض القصائد من بين يديه . والدراسة المستانية لشعر توماس هاردي والمترتبة عند اخس خصائص هذا الشعر العظيم . . تؤكد لنا تدفق شعوره بالوسياتي بل ان الثراء الويسيتي من أبرز ملاميا هاردي الشعرية ومن أكثر سمات وجموها ، وهناك أيضا صوت يشبه آئين الكمان أو الفيولا في عدد كبير من قصائده ، حتى أن أكثرها حزنا . ويتبدى هذا الرئين الإنسان جنبيا الى جنب مع الاحتفال الشديد بالمسرح وبحال الطبيعة وعظمة الحياة ، مما يكسب قصائده طاقات جليلة حصية كما لو كانت هذه الدراسة ان اضطرابات الون والعتو - الكفينة القصيدة التي نشر فيها لديه ، راجية الى سلق شعوره . « تمام - خمسة وثلاثه عشر شعرا » . فاشكال قصائد هاردي ليس يصدق من الجوع الماطلي والآماله البيرة السالجة ، ونجسد من خلال الظاهيا العارية من الخوف كل نوترات الإنسان اللقلق الراللب في حياة حافلة بالآمان والهدوء والفرح . . وهذا ما سوف نلهمه من ملامح شعرة التالية ، والتي افندنها الترجمة الكثير ولكنها برغم هذا ما زالت تعمل الكثير .

## ١ - عن فراشة

لعل من شاء فارسي

لكن الام حرماتي وعزلي

غير قادر على انظور من جديد

فما من أحد يموت مرتين

تنثر أوراق الورد

وما دام هذا قد حدث من قبل

فلن يصيف هذا النظر الأسى

ألسا لاامى

سقطت الطيور في وعاد الخرف

لكني لن افقد قواي الفديرة

في صقع الفرادي القزري الوحدة

فصوى لغتها منذ زمن طويل

أوراق الاشجار تجددت حتى الشجوب

لكن الاصداقة لن يستطيعوا ان يشيعوا عنى بيروود

في هذا الفصل النشائي الفارس  
فصواهم ما عاد الى احد  
المواصف قادرة على ان تلوذني  
لكن هيهات للعب ان يوجع  
ثانية في هذا العالم قلب من  
لم يعد لديه قلب  
مصمه عبادة الليل  
لكن الموت لن يلوذ  
من فقد كل شيء  
المنظر بلا امل

## ٢ - أي أغنية صغيرة عجوز

أي أغنية صغيرة عجوز  
يمكن أن تقضي لي  
بعد أن مرت أيام المرح مثل أمم بعيد  
وأي مرح يمكن أن يوجد  
أو ووجه صديقه تستحب رؤيتها  
فاكثر الأشياء جدة سنمها  
على وتر رفيق  
وليس من لثبات نهر المنظر  
تولد الأغنية الجديدة  
ولست في حاجة إلا الي الوطن  
في القلب الهالج

## ٣ - في المواقف الذي تتعظم فيه الالم

وحيد الرجل الذي يسوى الأرض اسرته سرته  
في خطوات بيضاء صاعدة  
ومحصان عجوز يهتر ويهائل  
نصف نائم كسوفه حشة  
وحيد نعيم كدخان بلا نار  
متبعث من كومة من الانشباب المسة  
وحى لو ملى قدما  
على القرب الذي مروت عليه الإمبراطوريات  
هناك حياة ومها حبسها  
مرا به سهامسان  
كل مدونات الحروب ستنداح في الصمة  
قبل أن تموت قصتها

## ٤ - السمانة الداكنة

استندت على بوابة دفل من الشجيرات  
عندما كان الصقيع يقايا رمادية  
وحذاء الشتاء قد عكر  
عين النهار المظلمة  
والأفصاح المسلفة المشاككة قد خطفت السمانة  
كاوتار فيثناراص مطمح  
وكل الناس الذين كانوا يجولون في الليل  
تحلقوا حول النيران داخل المنازل  
ويدت لى الأرض ذات البشرس الحادة  
جثة لهذا القرن مسجاة  
فبرها كان جلدها الملبد بالبروم  
والريح كانت الثالثة على بانها

وتنعه القصوبة العديمه والياد  
هيمرت بقسوة وجنت  
وكل روح فوق الأرض  
بدت فائقة لحيويتها مثلى  
وهجاء انطلق صوت خلال  
الإفصاح المرنجفة فوق الرؤوس  
ويغلب ممتلئ بدأ يقضى مفردا  
في نشوة متهجة

سمانة عجوز ، هزيلة ، شاحبة وصغيرة  
في الصمغ المسكب خلال ريشها  
اخسرت أن لمسكب روحها  
فوق هذه الكاية المنسية

ليس لمة سبب صغير يدفعها الي تلك التهذبات  
التي يشد بها صوتها الرخيم  
أو الي تسجيل تلك الأشياء الأرضية  
بعيدة كاتب أو معومة بالقرب من ليالي  
ذلك ما يجملتي الآن نوما  
أن أملا قد تغفل ليلتها السميدة الطبية  
يعلى الآمال الرالمة  
التي أدركته هي  
ولم أدركها أنا

## ٥ - أرقد بقطنا

أرب يا بحة الضاح  
أعرف كلما رايتك  
أفك ميس نحو الشرق  
أنت يا أسرار أنان  
مقوسة على سطحه السام  
أفصاك التحيكة حتى أصغر ضمن  
لسه عسى ورقة وفلما حتى أرسك  
أبدا أبها الزوفية  
يغصاء بالهفلك بظاء من الندى  
أراه كلما عبر  
أنت أبها المفيرة  
المسلة بالرفية من في الشجر  
الاسماء زاحطة عبر كل الإمكة

## ٦ - في انتظار كليشا

يرنو النجم بعينه الى  
ويقول : هنا أنا وأنت  
يفك كل في مكانه  
ما الذي تنوى عمله  
تنوى عمله ؟  
قلت : على كل فانا  
أنتظر ، أترك الوقت يمر  
حتى يقتل بيدي  
وهو كذلك !  
قال النجم .. كذلك أنوى أنا  
كذلك أنوى أنا

صبرى حافظ

# المجلات الغربية

## شهرية الفكر

يكتبها من باريس  
الدكتور أنور عبد الغفر

## مختارات من الصحافة الأدبية

- جديد في الشعر : جورج إيمانويل كلانسييه
- إيمانويل الرجال من جميع القارات : داء إفريقي
- أدب المطبخ في فرنسا
- أحلام العصفير : تعليق على قصة قصيرة

### جديد في الشعر :



جورج إيمانويل كلانسييه أميراً طيبة  
جديدة من ديوان (الوجه الطيفي) (١)  
التي نضمت عنه ثلاثون ألف نسخة ،  
وسد الطبعة الجديدة بطلعة يحترما

لقد شعر بمثابة « نكذ ذاتي » بقلمه شاعر من شهد لهم  
الجيل المعاصر بأنه من بين أئذين كتب لهم الخلود ، وبمثابة  
نظرية جديدة في الشعر ، يمكن أن تنطبق على كل إنتاج أدبي ،  
بصرف النظر عن « النوع » الذي يمارسه الأديب ، سواء  
لأن قصة أو مسرحية .. وتتلخص هذه المفهمة في أن الأول  
بان الصورة الشعرية ذاتية أو موضوعية ، قول متيق أثبتت  
التجارب الفنية أنه غير صحيح ، بمعنى أن لوعي أو الإلهام أو  
ما نسماه ألفريد دي فيني « الوجهة الإلهية » (٢) ، لا يحدد

(١) Georges-Emmanuel CLANCIER : Vrai Visage ,  
éd. Seghers 1968.

(٢) Alfred de Vigny - le « don divin » préface de  
Chatterton.

لا عن الصدى السلي بعده العالم الخارجي في نفس الأديب  
وعن طريق الحواس ، ولا عن اتصال مجهولة في مفيدة الأديب ،  
وأنما تعدد هذه الصورة عن « ذكريات لا أصل لها » ، هي  
في واقعها « طائفة كاملة » منذ زمن طويل أو قصير ، يشعر  
الأديب بقية « بأنه في حاجة ملحة » إلى إخراجها إلى حيز  
الوجود ، وإلى التخلص منها لأنها تشغل حيزاً كبيراً من عقله  
ومشاعره ، فيخرجها على هيئة « تمييز لفظي » ، ثم يرفضها  
تماماً كما يرفض الشاعر بضاعة معينة ، فيتهافت عليها محبو  
المنتجات التافهة .. ألا أن تخطي من الاسواق .. تخطي لكن  
تظل في النفوس ، وتظل كاملة كما « تعيش الجوهرة التافهة في  
صندوق زين أيضاً » ، كما يقول بودلير في « الزهار الشر » .

وعلق أنافد كلود ميشيل كلوني (٣) في مجلة نوفيل ريلو  
فرانسيز ، محدة أكتوبر ١٩٦٥ على هذه المفهمة ، فيسأل :  
لكن ما هو أصل هذه « الذكريات الكاملة » ؟ أيمن أن يكون  
شئاً آخر خلاف « الموضوع » ، أي الصور التي تقع عليها

Claude Michel Cluny, Nouvelle Revue Fran- (٣)  
çaise, 1er Octobre 1965, p. 716 passim

العواس ، والتي تعيش في العالم الخارجي ؟ من كل شيء .  
مصدره الطبيعة ، وإي موضوع شئ . أو أدب ، مثله مثل موضوع  
البحث العلمي تماماً ، مصدره هذه الدنيا التي تعيش فيها  
ونعيشها .. والذي يقصد كلانسيه بالطاقة الكامنة ،  
ما هو الا صورة ، أو خبيصة من صور انقضا البصر أو  
السمع ولم يغير عنها القلم في الحال فليأثر ، بل اختلط بها  
أي أن يأتي « كثير » ما يوقظنا من دناها ، فيسرع الأدب  
إلى تسجيلها على هيئة شعر أو قصة ، وهو في تغييره هذا يغير  
أبداً عن ذاته وعن « حقيقة الرجل » وكما يقول كلانسيه  
نفسه ، عن « مرتفعات ومنحدرات كتابها » .

يعني هذا أن الشعر عند كلانسيه همزة وصل بين الماضي  
والحاضر ، بين الذكريات والأولع الحال ، وهو ، كما يقول  
كلانسيه أيضاً « بحث كذلك عن صو المسفل » لعل حادثة  
من مر الزم .

ويضيف كلوني هنا قوله : أن هذا هو الذي يحدث لأي  
أديب أو صاحب فن ، وإنما نستطيع بسهولة تأمة أن نسحق  
عن كلمتي الذاتية والموضوعية ، أو عن أحدهما ، بكلمة واحدة  
هي الذاتية المتبادلة intersubjectivité وهي صافية  
المنبسط عن انتقال ما يغير في عملية الشاعر إلى عملية القارئ .  
من ذات الأول إلى ذات الثاني ، بل صبح التعبير ، بعد أن تشمل  
الصورة أيضاً من « ذات الطبيعة » باعتبارها كائنات حيا كما  
أثبت الرومانتيكيون ذلك ، إلى ذات الأديب . ويضيف كلوني  
أيضاً أن عن الجسائر استبدال التعبيرين بصر آخر « مرجح  
الجميع » وهو ، « الموضوع البارد » .

et status de .. ورجعها المصوب في تعني الشعر  
التصور الناتج من العالم الخارجي . نوسور ، . بلدياً في  
ذاته ثم خروجها وتبلورها في ذهن القارئ .

ومهما يكن من أمر ، وسواء أسميناها « الطبيعة » ، بهذا الاسم  
أو دال ، فهذا دليل على صائب أن تحدثنا عنه في المكان  
الصائب ، من حيث أن اللغة الفرنسي في أيامنا هذه قد اند  
يتمز أولاً وأخراً بكيفية الإبداع الآن ومهاجته ، محاولاً التنازل  
إلى أعماق نفس الفنان ليبري ما يجري بداخلها من « أحداث » .

دعنا من المقدمة ، فالحديث أيها القاري ، أعزني قد يطول أن  
نحن كأولئك التدخل في تشايع القائل الشعاري ونؤاياه ..  
وننتقل إلى الأديوان يكتبه كلانسيه لايجاد يزيد عن أن يكون  
رئيسه شار René Char يقول فيه أن أجل الشعر ما كان  
« بيتاً » هادئاً موسيقى الغرفة musique de chambre  
لأنه يسمح للقاري ، أن يصرف كله بعبوسه وشاعره ، داخل  
إلى غرفته الخاصة « إلى الاستمتاع بجمال البيت والمقصدة »  
ويبت الشعر الذي يكتبه كلانسيه لايجاد يزيد عن أن يكون  
سلسلة من « هضبات » بيتية يرتبط بعضها بالبعض وتسير  
تدريجياً الواحدة نحو الأخرى تشعبها وتنسجها ، بعد أن  
سند الثانية عن « كفي » الأول في رفي وعدو . وإلى أن  
يحب القصيدة الأخيرة تدنوا كل بحرها ، فيسهي الأديوان  
إلى « مسواد الأخير » .. إلى هذه التعبير الكاملة . وبهذا  
يصبح خط السير واحداً .. خطاً مستقيماً واحداً لا تأني له .  
ولابد أن نلاحظ هنا أن الارتباط بين القصائد بعضها بالبعض  
لا يعني ارتباطاً أو تسلسلاً منطقياً ومن حيث المعنى ، بل أنه

سلسلة انتشار انشائية ، التي تأتي إلى النفس المتأثرة من  
طريق العالم الخارجي كما ذكرت ، ونهاية السلسلة ، نهاية  
القصيدة عا هي الا « ملخص » لهذه المتأثر ، وهي :  
« جزيرة ساخنة / جزيرة الآمان ، الزمن الكامل / جزيرة  
صغيرة .. ومستترة / هي الأبد .. الأزل » .

ويضيف كلوني بين « الوجه الحقيقي » وديوان جديد أصدره  
كلانسيه أيضاً بعنوان « أرض من الأذات » (٤) ؟ ويقول  
أن هذا الديوان صورة جديدة من « الوجه الحقيقي » أراد  
الشاعر أن يؤكد بها نظره الذاتية إلى الحياة . بعد أن صبح  
يقول الزمن ، وبعد أن تنطق من أن « الذاتية المتبادلة » تفرغ  
بأن يرتبط بين نفسه ونفس الآخرين : « ويشعر يشعور  
الآخرين » ، والآخرون هنا هم « أبناء المصانع والمناجم ..  
ورعاة القمح » في البراري البعيدة تحت السماء ، فيصيح :

« يا أبناء الليالي القوية ، حيث تجري الدفاب

في سرعة .. طوكم الآلي ، فحتمك الآلام

يا أبناء المصانع .. والمناجم

ويا أيها الرعاة الناهون ، يا خدام السماء

حراس القنابل والسحاب

أبناء الجوع ، جاثمون منذ الطفولة ..

المصنع ، والنجم والرياء الماهون ؟ هذا هو العالم الذي

عشناه كلانسيه ، وهذا في نظره هو « الأبد » و « الأزل » ..

تسعى .. إلى .. من الأرض .. وحب السماء ، فاماله

والألم ، عود إلى الحياة البرية .. وعود إلى منابع الطبيعة ..

التي

تسعى .. حيث الطيور الجامعة نفس حول كرة الأرض هذه ..

وتلج .. في .. جدران برنيسال في بلاد خضراء ، زوايا

مسطحة ..

أوه : أنها الطيور تحمل في بيوتها كتل أصفار كله ..

تحدث السماء ، بأجفائها ونسائك ، أحرت أرضك أيها

الصلاح :

ذلك أن شعر كلانسيه ، هكذا يقول كلوني « نظرة إلى

الأرض تأت من السماء » إلى الدفيا أتي لا تعرف كيف

تحدث ، فتمسكت تستمع إلى صوت الطيور ، لأن صوت الطيور

يأتي من السماء .. لكن .. هل يسمع الناس ؟ وهل يهت

الصلاح أرضه .. أي هل يعمل الإنسان متأثره به السماء ، وماهو

في صلته .. وماهو عائد عليه بكل فائدة ؟ هل يستمع ؟

وهل يطيع ؟

أيها الرجال في جميع القارات (٥) :

تصدر في باريس مجلة الوجود الإفريقي (٦) للآثار عرب كل عام،

وهي حسب الإحصاء الرسمي الذي صدر في ألام الماضي عن إندرة

الأحما الصفي بوزارة الداخلية الفرنسية ، أوسع المجلات الإفريقي

والأسيوية والأينية انتشاراً عساً ، حيث يوزع منها بمعدل

أربعة ألف نسخة لكل عدد .

١ (٤) Terres de Mémoire; éd. Robert Laffont.

٢ (٥) Poème par Bernard B. Dadie Présence Afri-

٣ caine p. 234.

٤ (٦) Présence Africaine... (IIe semestre 1963)

يا من تريدون عدم ايديكم تربطها عما يابديا ...  
ما يزال الرصاص يفتقر الورود  
في صبيحات الاحلام :

### ادب « المطبخ » :

لا تعجب ايها القارئ، ان انتقلت بك فيجيسة  
من « الرصاص الذي يفتقر الورود » الى « المطبخ » - « لاجل  
من اجل الحياة هو الذي اخبر هذه « الصبيحة » المؤلفة من  
قلب « داني » .. والجهاد من اجل الحياة هو عينه الذي  
جعلت عمل لائل . وائل لعيش . او عين لائل عمل  
حد سواء .. وقد دأبتنا من فترة قصيرة ان الشاعر لائل  
يعتبر ارفع انواع الشعر بصناعة تجاع وتشبثي . ولما اغلنا  
ان البيع والشراء متعاهد الكتيب علمنا ان « لائل » هي التي  
دعونا دائما الى العمل .. وكلي قرض الشعر .

ليس في هذا مزاج ياسيدي القارئ .. اصبح لي ان اذكر  
لك اولاً ان كثيرين من مجالات الفكر والفلسفة ينظرون الى  
« الاكل » نظرة جمالية ، فنية . والى الطهي وطريقة اعداد  
« المطبخ » لكثرة فن في نفس مستوى فن الرسم والتمثيل  
والتصوير . وقد قام جان جاك روسو في حوال متخيل  
القرن الثامن عشر بتخلييل الفلسفة اكثرى التي يلتهم بها  
الانسان « صفتا » لذيذا ، حين كانت لغوه شقيقته مدام  
دينيشال المتضا . وكتب في هذا سطوراً لا تنسى في  
« احلام هجره وحيد »

### Réveries d'un promeneur solitaire

كما كان الكسندر دومايس يصعد الوان الطعام الذي يساعد  
« لا يتركك في حرج » . هكذا كان يمارس  
سيرة « المطبخ » في امرون الثامن عشر يجب التمسك  
دائماً بين التهم وهو « عادة كريهة يتميز به » لا خلاف  
لهم « وجب الاضاف الفيلسفة التي « لا يجب ان تكثر من  
الاهتمام حتى لا تصعب لبيتها الفئوية » .

وما تزال الفكرة في صلب : فهم  
gourmand وصاحب اللوح في التلويح gourmet مصدر وحى لتثيرين من  
اهل الاصب في فرنسا . وقد نشرت مسجلة « لوموك » في  
عدد ٧ اكتوبر ١٩٦٥ مقالاً في صحتها الادبية تمت غلو .  
« الاكل » (٧) اوردت فيه احداث مظهر في هذا المجال ، مسروبا  
تعليلات طريقة تجهيا احد التقاد المروطين ، هو رئيسه جاك  
كودن (٨) .

بسم لنا اليوم فرانسيس اموناي كتابا تحت عنوان « لذة  
الاصناف الصغيرة » (٩) . وفي مقتضى ان من الجائر ايضاً  
تسمية هذا الكتاب « فن الاكل العظيم » ، لان الكاتب ، وهو  
كاتب وشاعر ، عرف كيف يرفع جدياً بعملية الاكل الى  
مستوى الظواهر الروحية . لان الكاتب يعرف كيف يستخرج  
من الصعود التي تاكلها كل يوم ، ويوجه خاص ايام الاعداد  
والايام . فيما خالدة .. وهو اذ يعود بنا الى ما كانت تصد

وانجله في ذاتها اداة للجهاد الافريقي في سبيل دفع مستوى  
« العصر الاسود » كما يسميه الغربيون . ونشر الثقافة  
الافريقية ومناهضة التصيب الاوربي ضد الزوج . ولكننا مع  
هذا نكرس الجهد الاكبر من صفحاتنا للادب والفرح بوجه خاص .  
وجدير بالذكر ان ما من عدد من اعدادنا الا وكان القفال  
الافريقي يلقم وليس من رؤساء القوق او الوزراء الافريقية .  
وفي مقتضى ان « جسو » هذه المجلة يفتق تعاماً وروحنا  
وبهضنا . خاصة وابها بهتم اهتماماً كبيراً بالربط بين  
« لومبيين الافريدي » والغربة . (نظر مثلا القفال ص ٢٤٥ الى ٢٥٥  
يخون : دورمسة « Palabre » ) خاصة وابها تدبر تعاماً  
بالاشتراكية المعتدلة دون اعرف او تطرف . وللمش في هذه  
المجلة حظ وافر .. وكله يتصب على الدفاع من حق الانسان  
« الاسود » في الحياة . ويعبر عن الله . وعن قوته وارادته .  
ويشبه بقدرته التي جعلت .. من اقرب غرباً . ومن افريقيا  
افريقيا .. لكنه شعر ينظر الى المستقبل .. لا اليه . بل  
الاقرب ، والاقرب جداً . شعر يطمح جراحاً صاجه . ويدعو للتفاح  
بلا هوادة . وكما يقول برنارد دادي الشاعر الكوتول . ان خلط  
سواده بسواد الليل . بحيث يطلع النهار فثقل السواد بورا  
ساحها . اصبح ايها القارئ . هذه النعمة الخافتة التي تخرج من  
ارغون « داني » :

هائدا اخرج من الليل ، ملطفا بامسا

انظر الى جاني

لقد حرثنا التيران والمجاعة

كنت ارضا صلفا ..

انظر يدى وكلها طوى .. اسود

لها كانت « محج » عيني امدت به

في حين كانت عيناى تفرقان بصبر اللش جها

... ..

كنت هناك عندما طرم « لائل » اجدادنا

كنت هناك حين تاكلت الجبال بصل اياه

وهناك لما ربط يسوع النساء بالارض

هناك ، وما ذلك ، فلما انبسم من فوق الاعداد

فربطتنا ابتسامته . نحن جميعاً ، بنفس الحسير

ايها الرجال في جميع قارات الدنيا

ما يزال الرصاص يفتقر الورود

في صبيحات الاحلام

خرجت من ليل تيراته كلها اصغنا

وهائدا اريد ان اغني لكم

انتم يا من تعملون انسما . على ارضكم

وتنن تبتح في وضع النهار من صباح

انا ايضا عرفت البرد في الطعام والوجوع في البطن

عرفت السهر ، سهر الليالي ، سودا . مثل

لكني رايت نضبا يسبح في الميون

في ليالي الصريق ، في ساعات صلت فيها

نفس بصل اللثايل

ايها الرجال في جميع قارات الدنيا

يا من تعملون انسما . على ارضكم

يا من تعيون السحاح لتسكات سالكم

يا من تعيون دؤبة سعادة ابتاكم

(٧) Littérature gourmande p. 15.

(٨) R.J. Courtine.

(٩) Francis Amouatogui : Le plaisir des mets; éd. Fil d'Ariane

لأوبويل ديفو فرانسيز عند اكتمور الحال بانها « ذات جمال مذهل » عنوان القصص « احلام الصائفر » (١٤) : يرى هذا العالم ان الطيور جسيما تعلم احلاما لا تنقطع ، وذلك بعد ان « اكتشف علميا هذه الحقيقة التي كانت غريبة على الناس » .

ويحدث صديقه المجهول حول هذا حديثا لا يمكن معه ان يشرب الشك في عقل الثاقب ، الى صديقه اكتشافه هذا . في حين ان صديقه يأخذ الحظاظ في احتياض وتطعم شديدين . لكن ليس لهم في هذا التطعم ، ولا في اليقين الذي يؤمن به العالم في كشفه هذا ، بل لهم ، هكذا يقول شيكس في شيتين اركها ان الحديث بين الرجلين يجري في « الجو » . في جو لاهو بالظيقة « الارضية » ولا هو بالظيقات العليا « القريبة من السماء » .. انما هي « جو آخر » اشبه ما يكون بدنيا الخيال التي يصورها لنا عادة كتاب قصص الاطفال ، دنيا لا وجود لها من حيث الاضواء التي تسع فيها ، وهي ذوا ، تختلف من لون السماء ، اختلافا كاملا ، ومن حيث الاشياء ، التي تقع عليها العين والتي لا ترى لها مثيلا في عالمنا هذا .. وثاني الشيتين : الاسلوب ، الجملة التي يكتب بها اتال فكرته ويصلها لثقافة بانها « جملة ذات اجنحة ، سريعة ، تقسم مناطق عدة في مرونة تتخللها احداث تبت اطلق في توسعا وتقطع تفكيرنا في ما بعده الحديث حول حلم المصور . ثم تعود بنا الى هذا الحديث بعد ان يكون الشك قد اخذ منا حيلنا » .. او باقي القديسين .. وتدخل بنا الى منطقة الحلم نفسه ..

ثم يتصل : لكن من الذي يعلم في الحقيقة ؟ الطيور ام نحن ؟ ان يبدى انتم وضع بعد في هذا التكيف .. ثم نمن انتم ؟ ان يبدى لانتم في سيرة الحديث لوجدنا ان الكتاب « صيغ مستقر » . تلك اوسق العلو التي تمر بين الصغار .

وعيش في هذا العالم المريب .. « الرشيح شفاقة المصور » ونصه لهما في الارض . تحمل جسده الثقيل .. وامامه صديقه الذي لا يصدقه ويقطع عليه الحديث فيقطع عليه حبل الاحلام . هذا التمازج بين العلم والواقع ، بين غبة الاجنحة وتقل الاقدام الشيرة . يترسبه المؤلف ترتيبا جميلا « خليج الروح » Sympathique كما فيه من بساطة وسهولة . تلاعبها في الجانب الآخر ( لدى الصديق ) سخرية لاذعة تقيلة لا نستطيع رغم ثقافتها ان تصعد امام العلم الجليل ..

قصص قصيرة شخصياتها عالم ليس هو الذي اكتشف احلام الطيور ، بل - على عكس ما نعتق - الصديق الذي لا يؤمن الا بالمشق والعلم والبرهان ، وشاعر هو الذي كنا نعتقد عالما يكشف اكتشافا عليا جديدا ، فاذا به يقف لنا شاعر خياليا ياتي من حيث تظير الطيور ، والتخصيص اثاثته وفي هذا المصور الذي يعلم ، ليست بشخصية ثالثة .. لانها سرعان ما تندمج في شخصية صاحب الاكتشاف ، الشاعر الذي كنا نعتقد عالما .. فاذا به شاعر ذو اجنحة .. يعلق في سماء الخيال ، بعد ان تضي شخصية المصور ، او قصص المصور شخصيته !

جده منذ ما يقرب من قرن مضى . ينقلنا الى « كلاسيكية المائدة » والى ذكريات عهود جميلة في تود ، لان تسامنا اليوم قد تسين حتى كمية اعداد الثالثة بطريقة « نفتح الشية » .

وينقل كورين الى كتاب آخر كتبه هلم ميريل ايلوارد فاييت تحت عنوان « الساعات الكبرى للمطبخ الفرنسي » (١٠) وصفته عندا كبيرا من « وصفات » recettes لاعداد اطباق جديدة مستانة من وسائل الطهي في الماضي ، وموجدة طبقا ما ايدته اللان الصناعي اللذان من مواد جديدة . امده فيه « من الشرق والغرب » ما يتفق والذوق الفرنسي ، الذي « اصبح يعيل الى ارضاء ، لكذ الذوق لجميع الاجناس » بعد ان اصبحت فرنسا اليوم مقصد الصياع الاول من جميع بقاع الارض . ويعلق كورين على هذا الكتاب بقوله : « ولو انه كتاب للطهي واعداد الاطباق والمائدة ، الا انه لا غنى لى مكتبة ادبية عنه ، وخاصة اذا كان صاحب هذه المكتبة رجلا من اولئك الرجال ، الذين يميلون زوجاتهم لانهن يعرفن كيف يرضين رجالهن عن طريق اشباع رغبة الاكل » ( هكذا ) .

اما اذا كان الباحث عن كتاب للطهي الذي سيدة « ست بيت » احسن ترجمة لكلمة ménagère ، فعليه - كما يقول كورين - بكرة الكتب التي ظهرت على ايدى اماتة الفن : كتاب من الطهي الحديث (١١) الذي يقسمه لنا اليوم « الاساذ الكبير » هنري بول بيلابرا ، وليس في تعبير « الاساذ الكبير » هاء اي مزاج ايضا ، فالؤلف اساذ فعلا في كل من مدرسه ، « الكودون الازرق » التي يتعرب فيها شيان اغاروا لالتصوير

مهمه المتروك على « مطابخ » المتصان كبرى ومعهد الشماق يبادي ، وقد بدأ حياته « طبا » في « كافه دي ناري » ثم في مطبخ « كورين » . ثم في مطبخ « لوكاس » الذي يقصده عادة غيار لعموم من اضاء العالم اليوم .

ويعلق كورين على الكتاب ولا يقول « اوهنا خلف نستطيع ان نميز بين الطهي فقد والطهي ين ، او بين الاكل كغذاء كائن ، والاكل مع « الاسباب » . فالؤلف عرف كيف ينتقل بالناظر من الحياة المادية الى الحياة اللحية ، كما ننظر الرسام تماما بالمشق بلته ، من الشارح الى « الاتلية » حيث يقوم باعداد لوحته .

هكذا ترى ان لمطين حقوقا لا تقل عن حقوق اكلتلب . وان المصا بين الاطن والقلب تأخذ في الصفر .. لدرجة يحتل منها ان تنتم لدى الفرنسيين .. على الاقل !

## احلام الصائفر :

هل تصفد الصائفر العصف ؟ .. حلم البظطة او حلم النوم ؟ كان هذا السؤال مدار حديث بين عالم من علماء الطيور وصديق له عرف عنه اشك في كل شي ، وبدون هذا الحديث في قصة قصيرة كتبها جان بيير اتال ضمن مجموعة من القصص (١٢) يصلها جاك شيكس (١٣) في مجلة

Cécile Eguard-Valette : Les Grandes Heures de la Cuisine Française, L'art culinaire moderne, par H.P. Pellsprat, Lausanne

Trois Contes par Jean-Pierre Attal, éd. [Inédit]

Jacques Chessex N.R.P. 1er Octobre 1965, p. 605

# جوليا

## في الثمنافة

### تقتسم على شلش

هذا الباب سياحة في رحاب النفاة الزائدة . لكنه ليس دليلا مفصليا أو غريبا معصلا لكل ما يحدث من طواير واحداث تعاقبة ، وهو يمتد على ما تنشره الصحف والمجلات الادبية التي تصدر في لندن ، باريس وبيورث وموسكو وغيرها من مراكز الثقافة العالمية ، وكذا ابروسومات والظواهر الثقافية التي تشغل اهتمام القاصين .

### حكاية الزوجة غير المتزوجة

في عام 1962 قال سارتر ان رواية « النشيد Nausea » لا ترجع كلها ولا تفيد اذا وضعت بجانب طبل يموت جوعا . ومن قبل اشار بيزاريك الى انه يفضل زوجا من الاحدية على الاعمال الكاملة لشكسبير . وقد تكون هذه او تلك علامة من علامات الضميمة ، لكن الحقيقة ان سارتر حين يعي قيمة روايته أمام القول الاجتماعي المسمى بالزوج كان صادق الفاعل لواء أحداث العصر التي حكمت على اليسار الفرنسي بالفتش . ذلك لان هذا اليسار الذي يضم سارتر ورفيقه اصحاب ستوات مره سيمون دي بوفوار قد عجز عن التأثير على مجرى الأحداث السياسية ، وخاصة بالنسبة لشبكة الجزائر . بل ان سارتر اعترف قبل ذلك بعام واحد بان الجزائريين هم الذين حققوا استقلالهم بأنفسهم ، وبالتالي قتل من تولده ونفوذ زملائه على سياسة الحكومة الفرنسية ، في الوقت الذي اشتد فيه ساعد حركات التحرير في آسيا وأفريقيا ، وكانت هزائم الجيش الفرنسي في الجزائر تذكر سارتر وزملاءه بان الثقافة والأدب لم يعد لهما التأثير المنشود ، ولم يعد الأدب بصلة خاصة هو الوسيلة التي تغير العالم من حال الى حال . فكان فشل مجله « الأمانة الحديثة » التي يحررها سارتر وزملاءه في خلق صرخة حقيقية ضد الحرب في الجزائر هو الذي أدى سارتر الى آرائه المشابهة في الأدب وعدم جدواه ، وكان المثقفين الفرنسيين خسروا انهم الذي انتزعه ديجول في هذه الحرب التي فتدت فيها الجزائر أكثر من مليون شهيد .

فيرو ان سارتر لم يكن وحده في الثمرة ، وانما خاضها الى حولة حشودا دق بوفوار التي خرجت منها بفكرة لاينها في السيرة الذاتية . فقد اخرجت خلال السنوات الثلاث الماضية جزاين من هذه السيرة الذاتية ، لم يتبعهما بالجزء الثالث قبل شهر ، وهو بعنوان « قوة الأشياء Force de choses » وفي الوقت الذي بعث فيه بيروم الأجزاء الثلاثة الى العربية كانت لغتين يدورها قد نقلتها الى الانجليزية ، لكن يبدو ان بيروم لمع وترخص في اسماها ، فقد اصدرت الترجمة العربية لهذا الجزء قبل الترجمة الانجليزية بنحو شهر او أكثر . بينما جعلت سمرها زهدا ناتيلس الى سعر النسخة الانجليزية الذي يبلغ ٦٢ شلن أي ما يساوي ٦٢ قرشا . وقد صدرت الترجمة الانجليزية عن دارى تدمريه دويتش وويدفيلد ونيكولسن ، وفلم بالترجمة وشارد هوارد الذي غير العنوان الأصلي الى « قوة الظروف Force of circumstance »

ويبدو ان سيمون دي بوفوار مصيبن كثيرين فيما وراء الفتنة الانجليزية ، فقد رحبت الصحافة الانجليزية الأدبية بهذا الجزء كما رحبت بسابقه . وقد عقب الملحق الأدبي لصحيفة « تايمز » بان هذا الجزء عبارة عن اعتراف وامتداد بيشلان قصة ثلاث سيمون الشخصية ودفعها عن آرائها في الأدب والسياسة .. وصاحيته لا تجرئ الضميمة فيه عن الضياء والحب بقدر ما تحببه حين تتحدث عن الموت ، فهذا الجزء يسيطر عليه الاحساس بالموت ، ولأنها بحب الحياة حبا جما تكلم فيها تتحدث عن الموت ..

باصطاف قد دعشت القمع : ان الناس يكتون كي سمعوا بحب  
الناس .

ولكن الترجمة ذاهبا لم تسلم من النقد ، فقد اجمعت  
الصحف الثلاث وكتابتها على انها لا تحلو من كثير من الاخطاء  
في نغلات الالفاظ الفرنسية والتعابير والاستعارات : كهذه  
الطائفة التي اوردها علي « دي تايز » « الآدي مثل :  
the best pages مقابل les bonnes feuilles وصحتها  
Page-proofs أي « بروفات الطبع » .

اما سلسلة مواقع Situations التي يكتبها سارتر ويجمع  
فيها كتاباته في شتى المجالات والأحداث فقد صدر منها  
بالفرنسية ٧ أجزاء من الآن ، وتظهر الجزء الرابع منها مترجما  
الى الانجليزية هذا الشهر من دار هارفي وهاميلتون . ومن  
الغرب ان يحفل هذا الجزء في نسخته الانجليزية بالاطحاف في  
الترجمة والطبع على السواء ، وهو امر مستغرب خاصة اذا  
عرفنا انه نادرا ما يتكشف النقاد خطأ مطبعيا .

ان سيمون دي بوفوار رغم انها تلمن في ختام كتابها هذا  
وقوعها ضحية حالة ضخمة من حالات الضحك ، ورغم انها توحى  
في آخر سوردها بان حياتها كلها كانت مشلا في فشل ، الا  
انها في الواقع قد نجحت بمفكرة وكتابة ، وبكيفية وبكلى سارتر  
انه اصبح لهما فراه في افريقيا وآسيا يولفون قراصعا في  
اورب . وفي فرنسا بوجه خاص .

### أقربيا على خشبة المسرح :

ليب ان الافريقية المتحررة حديثا فيما وراء  
البحر في فرنسا ، لها دور مهمة أدبية وفنية فائرة على  
مواقع القبول التي يولت به القسرة ايان جهود  
السفر والاعمال ، ولعل جلود المسرح في هذه البلدان  
كفيلة بمعو الوصية التي اطعمها الاستعماريون بها حين زعموا  
ان المسرح ينسب اذري حائلي ، والله لا ينمو الا في ارضي  
اوربية .

وحلال النهر الماضي اقيم في لندن مهرجانا لفنسون  
الكومولت ، اشتركت فيه تيجيريا مغربي مسرحيين ، قدما  
لأول مرة على مسارح العاصمة الانجليزية هرفيسين تيجيريين  
بالما وميتلا واحراجا ، وباللغة الانجليزية . فعمل المسرح  
الكلبي في سرامورود قدمت مسرحية « الطريق » تاليف دول  
سويكا ، ولعل مسرح سكا لا قدمت مسرحية « اغنية جدي »  
و « الخنع » - بتشديد التون - تاليف جسون بركلاله ،  
والاخيرتان من فصل واحد ميثاني في فكرة ان عدم الجواب  
للأطفال مسألة مخجلة لجلب الامر . ففي « اغنية جدي » نجد  
صيدا تيجيريا مزوجا وله ولد واحد ، لكنه يتكشف ذات يوم  
انه عاجز جنسيا ، ولا تلبث زوجته ان تهرم بالفصح يوتحول  
عنه الى اخيه الاصغر . ويتكشف الصياد هذا فيبيع خطة  
لعمل اخيه ، لكن اخاه لا يبعله ، الا يتكشف هو بدوره جريسة  
فيست اخيه ، ولا يجد الصياد مفرأ امامه سوى الانتحار فيفرق  
بعسه ، ويولد الطفل الصالح لكن الام يموت في أثناء الولادة ،  
ويبقى الطفل بمثابة فتاح . فكان الامر ان يتكلم هذا آخر  
لأزاته ، وهكذا تجري سلسلة من الخطبة والخطاب ، مما يجعل  
المرحلة قريبة من المأساة الافريقية ، وطريقتي ان الاحساس

وهذا الجزء الثالث من سيرة سيمون الدانية ينطى العره  
من ١٩٤٤ الى ١٩٦٢ ، وهو في رأى الملحق الاسوي لصحيته  
« في صنداي تايز » رحلة في الفضاء والمكان ، واحتراف  
وسجبل بالوناتي ، بل هو محاولة جيزة للسجل الامين ،  
بينما يظهر سارتر من خلال هذا القسم كشخص متوجهة ، ولا  
غرو فقد ذكرت في ما نصح : « كان في حياتي نجاح غير مشكوك  
فيه هو علاقتي بسارتر » . وصاحبة هذه السيرة لا نعلمنا في  
سيرتها الانحلال وانما هي لا تفضل اكثر من توسيع حدود  
الاحلال .

وفي طغي نهاية الاسبوع الذي خصمه صحيفة « دي  
أوبزرفر » كتب جون وسمان يمتدح الكتاب وينش على مؤلده  
بعت عنوان « الأزوجة غير المتزوجة » . وهي اشارة كما يعرف  
الى علاقة سيمون بسارتر ، لهما ليسا زوجين بناء على عدد  
زواج مكتوب بلقد ما هما زوجان اجماعا وقبولا ذاتيا ان صح  
الصير ، وكان مما قاله وسمان في عرشه للكتاب :

« لقد كتبت صدام دي بوفوار اليوم ما يمكن ان يكون اصعب  
والأمر سيره ذاتية يطغها فلم انش . وليست هذه السيرة عملا  
فنيا ، ولا تلمي ان تكون كذلك . فمثل سنوات ما بعد الحرب  
ويعد ان اصعبا - سارتر وسيمون - ترين ، فلايفسيلي وفا  
طبا في السياحة في كثير من البلدان . منذ سنوات كثيرة  
كان ذاتي باريس يرى سارتر وسيمون جالسين يترقان في  
مهمي « لاكوبل » معرو من العالم . وكذا يجيبان الى مائدة  
بأحد مقاهي تلك « القرية الكبيرة » . في يوم من هذه التي  
معد من معظه موباربان الى نقل . في يوم من هذه التي  
يجعلان من هذه المائدة مركزا للعالم .

وفي الوقت الذي عالج فيه سيمون في الجزء الأول  
من سيرتها الدانية عره الصبا والسياف في حياتها بجدها  
عالج في الجزء الثاني وطاه الاحلال اللائي لباريس . اما في  
هذا الجزء الثالث فلعل اهل اكتشاف يعجز به القاري - هو ان  
الصاع جزم الانسان ، هي في قلب النجاح الفني والهنائي .  
واكثر اجزاء هذا الكتاب متعة هو الجزء الفني وخاصة  
علاقته سارتر التي يبدو حالة فريدة من حالات زواج عليلين  
باصحين حقيقيين ، رغم ان الجسد من كل منهما الآخر .  
كذلك هي نصحت في هذا الجزء عن فصح حبها وعصاة  
علاقتها بالكتاب الانجليزي يسلمون الجرن وصداقتها وحلاقتها  
مع المعاصرين البارزين امثال كامي وكوستنر وميروبوس  
وراييود ارو . كذلك تروي الفترة التي تنبها في وسارتر  
تاليف كتبها ، ومحاولات الشهر من جانيهما ، بالإضافة الى  
سطرة احساس الشيوخوخه والموب عليها في النهاية .

ان سيمون دي بوفوار كما حول وسمان في نهاية تعميمه  
عبارته من « حزمة غريبة من الانفصالات » فهي متحررة لكنها  
ساذجة ، قليلة اللال لا يعرف الفكاهة لكنها فائرة على سرد  
معنى الحكايات الطويلة ، ذكر في شهيها للأفكار لكنها انش  
في اخلاصها لسارتر وفي شرابها التعميمية ، جسور على  
الورود لكنها دائما غير واقعة من نفسها في شخصها ، امينة  
بدرجته مؤفة لكنها تدفع نفسها بشكل واضح . انها تالول



بالعار أزه الزوج ديز أنجاب الإطفال أما هو أحساس اقربى  
مضى ، بل هو أفعال عميق مدبر كمسا هو مدبر فى هذه  
المسرحية .

أما مسرحية الطريق فتدور فى كوخ ينتظر خارجه عدد من  
الرجال المنطليين طالبى الاممات جايوا الى صاحب الكوخ  
ليحصلوا منه على شهادات مؤلفة أشهر باعدادها ، وهو رجل  
عجوز نصف مجنون كان يعمل فى تسجيابه مدرسا . وما ان  
سئلوا حول الكوخ وبنجاذبوا أطراف الحديث حتى ندمهم  
رياح الخوف وعسدم التكه وذكريات حوادث الطريق وطبوف  
حرفاتهم القديمة . وبطل المسرحية الآن هو الطريق نفسه رغم  
انه لا يظهر كثيره معلوس ، وأما هو يظهر لهذه المصبة من  
سائقى اللورى وسفارة الركاب وسارقى قطع ليار السيارات ،  
فيكون نارة مصدر حياتهم وحيوسهم ، ونارة اخرى تكون مصدر  
قتلتهم وموتهم .

وسونكا مؤلف هذه المسرحية مولود فى قبيلة يودويا . وفى  
قبيلة نمكس هالديشا على مسرحيه ، عمده ٣٢ عاما ، بدأ  
جوى التمثيل فى المدرسه ، ثم كتب الشعر وهو طالب بجامعة  
ابادان ، وقد فقى ثلاث سنوات بجامعة لينز الانجليزية ووفى  
كذلك ١٨ شهيرا فى المسرح القومى البريطانى للدراسه  
والدرسيه . ومسرحيه هذه هى العائره بن مسرحياته ، وله

سواها رواية وسيناريوهاو وعديد من الفسائلد . وحين عاد  
الى بلاده عام ١٩٦٠ جمع حوله فى لاجوس مجموعه من اساتذ  
الجامعة والمدرسين والعمال وكون بهم فرقة مسرحية . وهو  
اليوم يدير مسرحين فى كل من مدينى لاجوس وابادان . لكنه  
شكرو من الشكوى من قلة المال وانعدامه بالنسبة للمسرح فى  
بلاده ، وهو لا يدفع الا لن لا يعمل من الممثلين فى وظائف  
اخرى .

وقد قابل النقاد الانجليز هذين الصوفيين برحيب كبير  
وساروا سونكا بكتاب المسرح الايولنديين الكبار وغيرهم من  
المحدثين للانجليزية من غير الأهل الانجازى ، لكن عيب على  
الممثلين المحترسين لكتهم الانجليزية العسويه . وقد وجه  
المالك المسرحى المعروف هارولد هوسون نصحه فحده لكتاب  
العاره الافرنقيه على صفحات اللطفى الأسبوعى لصحيفه « دى  
صنداي تايمز » وهى نصيحة قيمة لا شك أنها تعنيا أيضا .  
يقول هوسون : « اسوأ أتكم متعفسون ، وأتكم درسهم  
بالجامعة » . وأضاف ان مسرحيات الكاتلين الايرلنديين « لا  
تخطى طريقها الا حين يتكلمان تحت التأثير الواضح للخصامه  
الأوردية . أما ما يمكن ان بقولاه لنا ، وما نريد نحن ان نعرفه  
منهما فهو حفسارهما . ان فى القريه اسبباء ذات قيمة  
ومواطف ، وامورا متعشبه فيها وراء الطقس البارد ، وهذه  
ممكن ان تصبح مادة لدراما ذات قيمة » .

ARCHIVE

www

# رسائل جامعية

## تقدمها نجاة شاهي

وفي عهد عثمان رضي الله عنه ، بدأت المرحلة الثالثة لتوليق النص القرآني ، وكاتب هذه المرحلة امتدادا للمرحلة السابقة التي قام بها أبو بكر ، غير أن الجديد في حركة عثمان أنه جمع النص على مصحف واحد وحرق مخطوطة ، على حين كانت مصاحف كبار الصحابة تقرأ على عهد أبي بكر وكانت مصنوعة من نسي .

وحدث حدث عن رسم المصحف بين أن رسم المصحف في القرآن كان غاية ما وصل إليه من الرسم الإملائي في ذلك العهد ، وسجل في القرآن وأطلق عليه اسم الرسم الشجاني . فقول على الرسم يستعمل فيه ، في مصاحفنا لا تقطع للتغيير أو التغيير في ذلك حكمه ، فإن رسوم الهجاء تغير جريا على رسم الألف ، والفتحة في تغيرها من زمن إلى زمن ، بسب من شغب إلى شغب فيزيهه لكتاب الله والألفا لبب التغيير فيه ، أصبح هذا الرسم معدا لا يمس .

وقد بين أن الرسم لمير الفوائد ، لأن القراءة مصدرة الرواية والرسم مصدرة طريقة الكتابة المعروفة إذ ذلك .. وقال أننا لو سرقنا في طريق الرسم وحده لغرنا بالقرآن عن حقيقة التي نزل بها .. وترتب على ذلك أننا نقرأ كالمصاحف من القرآن بطريقة لم ترد عن التي عليه الصلاة والسلام .



وقد استطاع أن يوفق في فهم معنوس الروايات التي نعيد أن الرسم التسميني اشتمل على حروف من الشن ، تلك الروايات التي رفض الأخذ بها وانكرها بشدة الإمام السجوطي ذلك الذي حر عليه أن يعرف مدلولها أو يلف على سرها ولا لا أنكرها ..

أما مدلولها فله وفق الباحث للوصول إليه وكشف الثبام منه ، ذلك لأن القراءة غير الرسم ، والعبارة جيتل بالفوائد لا بالرسم .. ومن هنا فإن عثمان رضي الله عنه حينها رأى أن هذه الحروف تختلف عن القراءة أطلق عليها لفظا ، ولم يسميها بلفظ منه أن العرب حينها يعرفون لا يعرفون بالرسم بل بالقراءة والنقل ..



## القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية

كلية دار العلوم بوقف الرسائل  
القائمة من السيد عبد المال سالم ..  
لنيل درجة الدكتوراه ، وعنوانها  
القرآن الكريم ، وآثره في الدراسات



النصوص .

وقد رسم لهذا الموضوع منهجا أخرجه في تمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة .

وتحدث في التمهيد عن توليق النص القرآني ، والمراحل التي مر بها .. ففي عهد الرسول عليه السلام كان أهم عمل قام به لتوليق النص القرآني كتابته عند نزوله ، ومنع كتابة شيء سواه حتى لا يخلط به خالسه منه .. وفي عهد أبو بكر بدأت المرحلة الثانية من مراحل التوليق . وهي تمثل في جمع القرآن في مصحف موحد .

هـ - علاج القضية التي تتمثل في أن عمر بن الخطاب هو الذي أمر أبا الأسود بوضع النحو كما أثبت ذلك ابن الجبلي والزمخشري .

وهذه القضية خطأ تاريخي يجب أن يصحح لأن عمر بن الخطاب لم يقد إلى العراق زمن الإسلام ، والنحو العربي نشأ في البصرة كما اتفق المؤرخون على ذلك .

وفي الفصل الثاني من هذا الباب وهو « أثر القرآن في مدارس النحو ومناهجها » وصل إلى ما يأتي :

أ - وصل إلى أن القرآن الكريم أثر في نحو هذه المدارس المتعددة تأثيراً كبيراً ، أثر في المنهج ، وفي التخریجات والتأويلات ، وأثر في إيجاد مشكلات نحوية كانت سبباً في إشغال نيران الخلاف بين هذه المدارس بصفة عامة ، وبين النشأة ومدارسهم وأرائهم الخاصة بمسألة خاصة .

ب - في حديثه عن مدرسة البصرة تعرض لنهجها مبيناً أنه منهج مضطرب ، فالفقائل البدوية التي يعقون لغتها ، لأنها بعيدة عن اللغات الأجنبية لو كانت لغتها ترتدي نوب القدسية لنزل بها القرآن ، ولكن القرآن الكريم نزل بلغة فريش ، وهي لم تكن في عزول عن العالم الفلجسج ، ولم يقل احد أن لغتها ضعيفة ، ولو قيل لرغبي الاحتياج بالقرآن القرآن في مجال النحو واللغة لأن كل ما فيه نزل بلغة فريش .

ونقد البصريين في إيمانهم القراءات عن مجال الدراسة النحوية أنهم إلا في بعض المسائل التي توافقت فيها أصولهم مع القراءات وبين أنهم بهذا الإيعاد حرموا النحو عن مصدر كبير كل من السككن أن يثنى في أسلوبه القواعد وتبصر الأصول ، وبذلك تنمو اللغة وتزدهر أساليبها .

وتقدم أيضاً في اعتقادهم بالتعلق والنقل وتبنيهم الرواية والنقل ، لأنه من الظلم أن نطعم اللغة السائيس توفيقاً من الانطلاق والحركة ، وكان من أكبر أخطائهم تركهم الاستدلال بالقرآن الكريم في كثير من مسائل نحوهم متعدين على متابعيهم ، وكان الآخري بهم أن يعقلوا هذه القاييس بأعطوا بالقرآن الكريم الذي لا ياله الباطل من بين يديه ولا من خلفه . كما أنه بالرغم من عدم استدلالهم بالقرآن متعدين على غاييسهم التي نسجوها من خيوط التعلق واللسلسلة - كاستصحاب الحال ، وكان يعمل في اسم واحد عتلان ، وكتسوية الفرع بالأصل إلى آخر هذه الأصول - لم دفعهم تعصيم لها إلى تجنب الاستشهاد بالقرآن - فقد اعطروا إلى تعطيم هذه السائيس وتناسوا هذه الأصول في مسائل قليلة اعتمدوا فيها على القرآن الكريم .. ومن هنا كان منهجهم مضطرباً .

وحينما تعرض لآثر القرآن في مدرسة الكوفة ، كشف ما يأتي :

أ - أنهم كانوا في مجال القرآن الكريم أكثر استدلالاً بإياته من البصريين .

ب - كشف أنهم في قليل من المسائل تسجوا على متوال البصريين في الاعتداد بالقاييس ، والاعتماد على الأصول .

ج - استطاع أن يرجع سبب هذا الاضطراب في المنهج القوي إلى أن مصدر الدراسات النحوية للكوفيين هو الاذهب

وقد ظل الرسم الشامي محتفظاً بجوهرة وادخلت عليه بعض تحسينات لا تسمى كيمانه . وتحدث الباحث عن ظاهرة « الإصم » في القرآن الكريم ، وبين الزمن الذي حدثت فيه وعرض للروايات التي تنسب لتقليد المصحف لصفة رجال ، وبين أن هذه الروايات غير متضاربة ، لأنهم جميعاً اشتركوا في هذا العمل الظاهر الذي لا ينهض به فرد بل يحتاج إلى جهود أفراد .

وفي التمهيد عدة فضايا سجلت وناقش أصحابها وخرج منها برأي ، وأهم هذه القضايا ما يأتي :

أولاً : قضية ادعاء بعض المستشرقين أن النبي صلى الله عليه وسلم قبل من يجمع من القرآن شيء . ناقشهم وبين أن هدفهم من هذه القضية التشكيك في النص القرآني ، لأن الاعتماد على الذاكرة يؤدي أحياناً إلى نفي أو زيادة في النص القرآني شأن الشعر . وقد قند الأدلة وبين أن القرآن الكريم كتب كله ولم يسقط منه شيء في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام .

ثانياً : ثورة ابن مسعود على عثمان بن عفان رضى الله عنه . لقد صور كتاب البلاغات والتاريخ أن ابن مسعود كان لا يقرأ على عثمان لتعريضه المصاحف ، وبعد بحث طويل في هذه القضية وضع أن هذه الروايات مبسوسة على ابن مسعود ، وأثبت أنه كان رافضياً من عمل عثمان .

ثالثاً : قضية تغيير الحجاج في الرسم الشامي .. يذكر ابن أبي داود أن الحجاج أبق في الرسم الشامي ( أحد عشر حرفاً ) فجعل الآلة التي ثبت أن الحجاج يرى من قبله الإبداع ..

وفي الفصل الأول « أثر القرآن الكريم في نشأة النحو ونظوره إلى عصر سيبويه » من أبواب الأول ، وصل إلى الخفايا الآتية :

أ - نشأة النحو العربي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالقرآن الكريم ، ولولا هذا القرآن لما نشأ هذا العلم الذي تمت له السيطرة فيما بعد على كل علم من علوم اللغة العربية وأدائها .

ب - عرض آراء القدماء والمحدثين في نشأة النحو والزمن الذي ولد فيه هذا العلم ، ورجح أنه نشأ على يد أبي الأسود وما تليق المصنف الذي يجمع معقن الروايات أنه صاحب الخطوة أولى من السير بهذا العلم إلى غايته ، والأساس الأول للتطور النحوي بعد ذلك .

ج - لأول مرة في التاريخ النحوي امكن تسجيل مظاهر الحركة النحوية منذ بدأت على يد أبي الأسود إلى أن انتهت عند سيبويه . على أن هذه الحركة في هذه الفترة كانت غامضة في تاريخ النحو بل كانت حلقية مغلوبة في سلسلة التطور النحوي ، ووفق إلى أن يرد هذه الحلقة إلى مكانها ، وبذلك تكون ولادة كتب سيبويه مسبوقة بعركات نحوية مهدت له .

د - عرف بشاعة هذه الفترة ولزجهم في إيجاز ، وبين أهم آرائهم النحوية في مجال القرآن الكريم .

٢ - ناقش بعض الباحثين الذين يرون أن نشأة القياس في النحو العربي ترجع إلى تأثر نحاة العرب بالنطق اليوناني، وقد سجل رأي في هذه القضية معزواً بالأدلة التي تثبت أن نشأة القياس في النحو العربي نشأة فارقة .

٣ - ناقش الدكتور عبد الفتاح شليبي في ميله إلى أنكار مدرسة بغداد ، وبين له أن اختيار البغداديين لأرى بصري أو كوفي لا يدل على فقدان المدرسة ، وإنما يدل على أن لهم نظرات خاصة وطائيس معينة يستخدمونها في التأصيل رأى على رأى أو إشاراً مذهب على مذهب .

وفي الفصل الأول ، وهو « نشأة القراءات ونظورها » من الباب الثاني ، استطاع أن يقرر موضوعاً حسناً بمنهج ارتاح له ، وقد تحدث في هذا الموضوع بما يأتي :

تحدثت عن القراءات ورسم المصحف .. ثم تحدثت عن القراءات وبلهجة قرشي ، وعرض في هذا الفصل للأحرف السبعة والقراءات وسجل آراء القدماء والمحدثين ، وناقش هؤلاء ، وهؤلاء ، ووصل إلى أن القراءات مقيمة بالسماع ، وليس لأحد أن يقرأ ببلهجة كما يشاء ، وبين في هذا الفصل العلاقة بين رسم المصحف والأحرف السبعة ، وهل كتب عثمان رضي الله عنه المصاحف ببلهجات العرب التي أنزل بها القرآن ، أو كتب ببلهجة قرشي بخاصة ، وإذا كان كتب ببلهجة قرشي ، فبماذا وكيف إذن نمر نشأة القراءات مع هذا المصحف ، ونظن رأي في هذا الوطن معزواً بالأدلة ، مبيناً أن المصحف لم يكتب ببلهجة قرشي بحددها ، وعرض في هذا الفصل إلى الروايات المتواترة التي تثبت أن عثمان رضي الله عنه حذر من مخالفة رسمه ، والروايات التي تقول ، أنه أطلق القراءة وفق بين هذه الروايات بأدلة عديدة حلت هذا الإشكال .

وفي هذا الفصل أيضاً علمية ناقش أصحابها أهمها :

١ - مناقشة المستشرق « جولده زهير » في رأيه أن نشأة الكثير من القراءات ترجع إلى رسم المصحف ، واستطاع التعرف على المصدر الذي أوحى إلى هذا المستشرق بهذا الرأي الصحيح ، وأوضح له أن مصدره في ذلك « الزمخشري » حينما أرجع خطأ ابن عامر في آية الإتمام الشهيرة إلى رسم المصحف .

ب - وناقش الدكتور طه حسين والدكتور آتيس في رأيهما أن القراءات السبع ليست من الوحي لأنها فراءات مصفوها اللهجات ، وأثبت أن القراءات مرجعها الرواية والسند ، وقد أورد الأدلة العديدة التي تؤيد هذا الاتجاه .

وفي الفصل الثاني من هذا الباب وهو « أثر القراءات في الدراسات النحوية » بين أن القراءات شملت أذهان النحاة منذ نشأة النحو ، لأن النحاة الأول الذين نشأ النحو على يدهم كانوا قراء ، لذلك اهتموا بالدراسة النحوية ليسألوا بين القراءات وبين ما روي من كلام العرب .

وفي هذا الفصل عرض لوفاء البصريين والسكوفيين من القراءات لم تعرفي للقراءات المتكثرة ، ومواقف النحاة منها ، وللقراءات التي استخدموها النحاة لتقوية الأصول النحوية ، أو تعزيز الآراء الفردية ، أو دعم الأقوال والتخريجات التي لجأوا إليها في مجال هذه القراءات ..

البصري الذي احتواه كتاب سيبويه ، ومن أجل هذا كان من البديهي أن يترك المذهب البصري رؤاياه في الذهب الكوفي . وقد عقد موازنة بين منهجي البصرة والكوفة فبين له أن منهج الكوفة في مجال السماع أسلم بكثير من منهج البصريين .

وعرض لآثر القرآن في مدرسة بغداد ، وكشف عن المسائل التي تازروا فيها بالقرآن الكريم والتي نسبت إليهم بصفة عامة ، كما كشف عن الآراء الخاصة لرجال هذه المدرسة في إطار القرآن الكريم منذ بدأت بغداد تحتضن الدراسة النحوية إلى أن لعبت بها حوادث الدهر على يد أكثر فتحوالت عنها الثقافة إلى الأندلس ومصر والشام .

وعرض لآثر القرآن في مدرسة الأندلس ، وتناول آراء المدرسة الأندلسية في محيط القرآن من زاويتين مختلفتين : زاوية محافظة ، دعماً لكتاب سيبويه مع توجهات خاصة ، وآراء معينة ترتبط بالنحو القرشي تمام الارتباط ، وهذه الزاوية يمثلها ابن عسكور . وزاوية أخرى تائرة مجيدة ، تدعى على النحاة تصفهم بأنفاً وتاريخهم بسبويه ، وهذه الزاوية يمثلها ابن مضاء القرطبي .

وكشف أن دعوة ابن مضاء ، ولوربه عبد النحو الموروث ، كان التحول لها ، والباحث إليها القرآن الكريم ، فقد اتاده أن يكون القرآن مسجراً للتأويلات والتخريجات . والتأويلات والمطلوبات . وكان شعاره من قال في كتاب الله براهي فاصب فقد أخطأ .

ومن أجل هذا صرح لباحث أن يقرر أن دعوة ابن مضاء ، كانت متأثرة بالقرآن الكريم ، وأقام الأدلة التي تثبت هذه الحقيقة ، والتي تتلخص في إلغاء القياس ، ومضى ذلك إلى المنهج السليم في نظره هو السماع لأن القياس يخشى الزيادة والتخلف في كلام الله تعالى .

وحيث تحدثت عن أثر القرآن في مدرسة مصر والشام بين أن اتجاهات النحو فيها كانت تنحى إلى وجهتين .

وجهة متأثرة بالنحو البصري ، وهذه يمثلها ابن الحماصج وأبو حنيفة بالاندلس .. وجهة ثانية لا تشكر النحو البصري ولا الكوفي ، ولا تكرر أيضاً أن لها رأياً في هذه المشكلات ، ويمثلها « ابن مالك وابن هشام » ..

وقد عرض الباحث لهاتين الوجهتين من خلال القرآن الكريم ، مبيناً أثره في كل وجهة ، حتى لا تختلط الوجهات ، وتبرز المسائل .

والحق الذي يقال أن ابن هشام أول نحوي أكثر من العرضي للآيات القرآنية ، حيث جعلها محور إعراب ، وميدان تدريسه ومجال تأويل وتخرج . كما أن ابن مالك أول نحوي في عصره استشهد بالقراءات المتشابهة ، وجعلها أملاً يحتذى ، وأنها في مجال التوثيق والتبديد أقوى من الشعر . وفي هذا الفصل فضاءاً بارزة آثار حولها مناقشات .

١ - ناقش المستشرق « فايل » في أفكاره مدارس النحو ، وتبين له أن هذا الإكثار لا يقوم على أساس علمي متين ، وذلك لأن اشتراك مدرستي البصرة والكوفة ، في بعض الأساليب معناه امتزاجهما ، وكان هذا المستشرق يريد أن يعول الفكر إلى مادة تغلب التجزئة والتقسيم مع أن الحركات النحوية تتداخل في الصور المختلفة ، ولكل نمر سماته ومميزاته .

٢ - بين أن للنشر العربي عيوباً أهمها التصحيف والاضطراب في الرواية لهذا غايتهم هو المصدر الذي يجب أن تنتجه اليه في كل قاعدة نقيجها ..

٣ - فقد موازنة بين الاستشهاد بالقرآن والحديث وبين أن الحديث الشريف لا يصل في باب التوثيق للقرآن الكريم .

٤ - ناقش فصلاً مهماً :

أ - قضية انكار الدكتور طه حسين للنشر الجاهلي .  
ب - قضية انكار الدكتور الحوفي تعليق المصنفات على الكتب اعتماداً على أن العرب أمة جاهلة لاقرأ ولا تكتب .

وقد ختم سيادة البحث بمقتضيات مؤداهما أننا يجب أن نعتمد النثر في قواعدها الموثوقة ونعرضها على القرآن الكريم بقراءاته العديدة لتصحيحها أو تعديلها أو إضافتها جديد إليها.

وقد بدأ مناقشة الباحث الاستاذ عبد الصالح سالم وهو مدرس أول لغة عربية بمعلمات العاصمة ، فقال أن الرسالة في الحقيقة مهمة ، ويتضح فيها العمق والإسالة ، والمجهود الفني ، والرسالة دليل قاطع على أن الباحث درس النحو كله فوصل إلى أدق المسائل ، ولكنه كان يود أن يتعرض الباحث لبعض النماذج التي ألفت في الرسم العشوائي .

لم تحدث الدكتور « حسن عون » فقال أن الرسالة تصور في الواقع سمة الإطلاع على التراجم العلمية القديمة مطبوعاً ومخطوطاً وأصالته هذه التراجم المتصلة بموضوع البحث في أغلب الأحيان ، كما تصور الرقبة في تحري اللغة بالنسبة لكل النصوص في الاستشهاد والتطبيق .

ومن الجاهليين الذين أيضاً ما يوجد فيها من لغات طيبة أصبح لنا من أراء الباحثين المتسربين أو مناقشة نظرية علمية الخبيث بدونه وفي كامل أو أدراك عميق .. فما أوجعنا في هذا العصر إلى أن نكف على ماضيها الديني والعلمي والآدبي ندرسه بعق ونشره بطريقة تلام روح العصر ..

وأهم الملاحظات العامة التي أخضعها على البحث هو اعتماد الجراة العلمية في كثير من المواطن ، وعكاد القاريه يحس أن الباحث يغتني، خلف غيره من العلماء ، وقد كان ينبغي أن يرى شخصية الباحث أكثر وضوحاً .. كما أخذ عليه تفسيره للبحث بكثره النصوص العديدة بحيث لا تغطي صفحة من نص أو نصين .. كما أنه غريب وفقاً قياضياً في ذكر الآيات القرآنية وقد رد عليه الباحث . فقال أن هذه الأكثر من الآيات هي دليل على أن موضوع البحث كان تصب عينيه ، وأنها ملاحظة معه وليست غريبة .

وأخيراً تحدث الاستاذ الشريف عبد السلام هارون فشكره على عنايته بالفهارس الفنية التي قام بها وعلى مجهوده ودأبه وسعة اطلاعه .

وقد نال السيد عبد الصالح على رسالته درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الأولى والتوصية بطلبها على نفقة الجامعة .

والسيد عبد الصالح سالم خريج كلية دار العلوم وقد حصل على درجة الماجستير عام ١٩٦٤ في موضوع بعنوان « المدرسة النحوية في مصر والشام » .

واستطاع في هذا الفصل أن يصل إلى حقيقة جسيمة تمثل في أن كثيراً من القواعد النحوية بني على أساس من الفراءات من غير نظر إلى أدلة أخرى من شعر أو نثر ومقاييس وأصول ، وقد سجل في ذلك نماذج عديدة ، وبين أن الفراءات أوتت في المؤلفات النحوية ، بل بسببها ألفت كتب عدة ، امتلات صفاتها بالتوجيهات والآراء التي تعددت حولها .

وعرض لأهم الكتب في ذلك محاولاً تعريفاً ، مبيهاً مناهجها ومعظم هذه المؤلفات مخطوطة لم يتعرض لها أحد من الباحثين قبله ما عدا كتاب العجوة لابن علي الفارسي الذي خصسه بالدراسة الدكتور عبد الفتاح شلبي . أما هذه الكتب المخطوطة التي ظهرت نتيجة تأثير الفراءات في النحو فهي .. العجوة لابن علي الفارسي .. العجوة لابن خالويه ، والعصبة لابن جني ، والكشف عن وجوه الفراءات لمكي بن أبي طالب ، وأعراب الفراءات الشواذ للكلمبري .

وفي الفصل الأول « مصادر النحو القرآني » من السبب الثالث : حاول أن يتعرف على مصادر النحو القرآني فأرجعها إلى عدة مصادر أهمها : كتب التفسير ، كتب أعراب القرآن ، كتب معاني القرآن ، كتب أعراب القرآن ، ومن أهم ما وصل إليه في هذا الفصل ما يأتي :

أ - كشف لأول مرة أن « تفسير الكشاف » للزمخشري صويرة من التفسير الكبير للرماني ، فالمقارنة وجد أن تفسير جزء عم للرماني المخطوطة في دار الكتب ، هو نفسه تفسير الزمخشري وبذلك أثبت أن الزمخشري تأمل عن الرماني دون أدنى إشارة إلى ذلك .

ب - تعرض لأهم الكتب المخطوطة في معاني القرآن فحقق كتاب « معاني الفسران » للزجاج اليه ، ووضح منهجه في النسخة التي وثقها ، وتناول أهم كتب أعراب القرآن المخطوطة منها والمطبوع ، مبيهاً مناهجها ، مسجلاً أصولها الفنية والنهج ، وتفسير اليه . وقد قام في هذا الفصل بتعليق وتوثيق لبعض مصادر النحو القرآني على توثيقه لكتاب « أعراب القرآن » للزجاج بين أن دار الكتب لا تضم في مكتبته إلا نسخة واحدة منه ، وقد عرض لهذا الكتاب شكلاً وموضوعاً .

وفي توثيقه لكتاب « البرهان في علوم القرآن » للحوفي وصل إلى أن النسخة ( رقم ٢٥٠٣ ب - دار الكتب ) والنسخة المصورة منها رقم ( ٢٧٨٥ ب ) ليست للحوفي وإنما هي نسخ أخرى من أعراب القرآن لابن جعفر النحاس وأن النسخة الصحيحة للحوفي هي النسخة رقم ( ٥٩ - تفسير - دار الكتب ) وفي الفصل الثاني : « نماذج من أئمة القرآني » من هذا الباب استطاع أن يسجل نماذج من النحو القرآني قامت على أسس من أسلوبه وقواعده من صيغه وأصول من قراءاته .

وقد أثبت أن للقرآن نوعاً خاصاً به بعيداً عن ألية النحاة وتطبيقاتهم ، أو شواهدهم الشعرية وغيرها بما سجله من النماذج العديدة .

وفي الفصل الأخير : « منزلة القرآن الكريم بين أصول الاستشهاد النحوية » :

أ - عقد مقارنة بين الاستشهاد بالقرآن والاستشهاد بالشعر ، فبين أن جمع الشعر العربي هو أي من آثار القرآن وفصل من لفصله هي النحو واللغة .

## رسم هنري من العصر المملوكي



وانتم من « الكارنار » في الأزمنة السالفة في تمثيل حيوانات تصرف كلها بشر . ويرجع الزما الهنلي على الاكثر الى الحركات غير العادية وغير المناسبة مثل هذه الحيوانات .

ونتيجة لاطلاق أسماء بعض الحيوانات على الناس بقصد المدح أو كنوع من التحقير - أصبحت أسماء بعض الحيوانات تشير إلى المدح والتقدير أو الإحتقار والكرهية . فالأسد = الشجاعة ، والنعار = العناد ، والفرد = التقليد ومن الأشياء التي أصبحت تثير الضحك العاهات الإنسانية كالأرجل المتوربة والتطويع الحدية وغيرهما من ميوب التفسير الجسماني ولكن هذا لم يمنع من أن يصل الأفرام إلى أصل مراكز الدولة في مصر القديمة .

غير أن رسم من العصر المملوكي بفرشة سريفة عن ثلاثة مساجين مريطين بالقبائل ، وربما كانت هذه هي المرة الأولى التي يرى فيها العالم رسماً كاريكاتورياً ، ويستمر أول نموذج يتشابه لهذا مع النموذج الثالث لرسم الكاريكاتيري الذي استعمل في بداية هذا القرن ونقصت الرأس الكبيرة بمقارنتها بالجسم الضئيل . وربما كان رسماً هذا قد حصل خطأ تسمية في نهاية التجربة . فالخط الخارجي للوجه قريباً منخطي وملامح الوجه تعدها علاقات خطية تكاد تكون عكسية ، ففلا يرى من العينين ينطلقين دون التماسه إلى الجفون . وشكلت الأنوف الثلاثة بواسطة خطوط أفقية متوازية وكذلك الشوارب التي عولجت وكالها مقابلي . وبالرغم من هذا التصميم الواضح فالصفات الفردية للمساجين الثلاثة ظاهرة بسهولة .

وأول شيء يحدد اختلاف الملامح رسم العواجب مستقيمة أو منحنية أو مقلعة ، كما يجب ألا ننسى اختلاف حجم النقطة السوداء التي تمثل العين ووضعها بالنسبة للفرع الذي حولها . كل ذلك بالإضافة إلى اختلاف حجم غطاء الرأس لكل منهم .

ومن الشمال إلى اليمين نجد الأول يبدو مدنياً ولكنسه متدحني بعض الشيء وغير مقدر لأي نتائج يمكن أن نلحقه . أما الثاني فهو في شرس من ذلك النوع الذي اعتاد مثل هذه التجارب من قبل ولذلك فهو يحافظ على هدوئه . أما الثالث فيجمل صمته ميولا عدوانية يكاد لا يكتفي .

يكشف الفنان بطريقة رسمه الهيئة هذه من استاذية وجرة نادرة في الرسم بالرشارة ، كل ذلك صنع بنضارة اللامبالاة . أنه رسم نتيجة للحظة الهام . عمل يتحدى الزمن ويستحق إعجابنا المتجدي بهجة .

لغلاف هذا العدد نهى سلسلة المقالات عن « الوجه المصري » خلال العصور المختلفة . وربما كان من الأصوب تسمية هذه السلسلة « وجوه مصر » بدلاً من « وجوه مصرية » . وتتضح أهمية هذه التسمية من تمثال السيدة البطلمية بعينها المسكتين ، أو رسم عازف اللود ذي الملامح الفارسية الصنيعة . إذ تمثل الفتتان بعض الإجابات في بلادنا ، ولكن هذه الإنشغال على الأقل استوجبت وصيغت وشكلت في مصر . ولذا فاني أرجو من القاري أن يتسع صدره لترى تباين هذه السلسلة من المقالات كما هو بدون تعديل .

وقبل أن ندخل في تفاصيل التصميم العالي ، دعنا نأخذ فكرة مختصرة عن روح الهزل لدى الفنان الشعبي ، أن موهبة الصوري في خلق الكثرة ، وفعل المقالب ، والتهمك الذي يصل أحياناً إلى حد الكثرة اللاعبة . كل هذا اتجاه معروف في الأدب المصري على مر العصور . وإن كان لم يتضح أو يؤكد بالنسبة للفنون الجميلة .

ويحتوي متحف توري في إيطاليا على زفاف زندي عليها رسم هنلي من الأسرة الثامنة عشرة ، يعطينا صورة مثيرة لأوركسترا وهي تمثل حماراً يقف على رجليه الغفلتين يساهب أوتار الهارب الرقيقة بخواهره الغفلة . ولقد خلفه أسد على رجليه الغفلتين ويحلب بالظفر الأمامية أوتار الفشارة ، ومن فكيه اللافزين نشمر كانه يدوي بالقنية سميدة . ومن خلفه يسك تصاح بمود مجنون من الخسوس ، أما الأخير في الأوركسترا فهو فرد ينطق في زمراء مزفوج وهو مسائر . وبالرغم من حركاتهم الغريبة فإن ملامحهم يدل على أنهم يستمتعون بأخراج الأصوات التي يؤمنونها .

ويضم المتحف القبطي في مصر رسماً حائفاً بظهور فيه مجموعة من الشران يتلفون لها منجرها حاملين له الهدايا دليلاً على خضوعهم . وفي نفس المتحف نجد قطعة من الحجر عليها رسم لولد يسقط بطريقة غيالية من أعلى لطفه بينما كان يسرق الخبث . ويعلمك متحف كرنيليس بلطانيا قطعة صغيرة من النسيج القبطي تمثل منظرًا من الأساطير اليونانية « المتصايب أوريا » وفيها ترى امرأة متجردة من ملابسها تجلس على ظهر ثور وتحركه بسعادة وساحاها ولا يبدو عليها أي خوف من الاتصايب بينما هي ذيل أثور يتصايب فرد صغير لثوم بالغاب بهلوانية . وما هذه سوى نماذج قليلة من أمثلة كثيرة ، كما أحب أن تلح دون ذكر أي تفاصيل إلى الانشغال المدينة المضحكة المستوية من الفخار الحصري في العصر اليوناني الروماني .

ولم يبق لنا